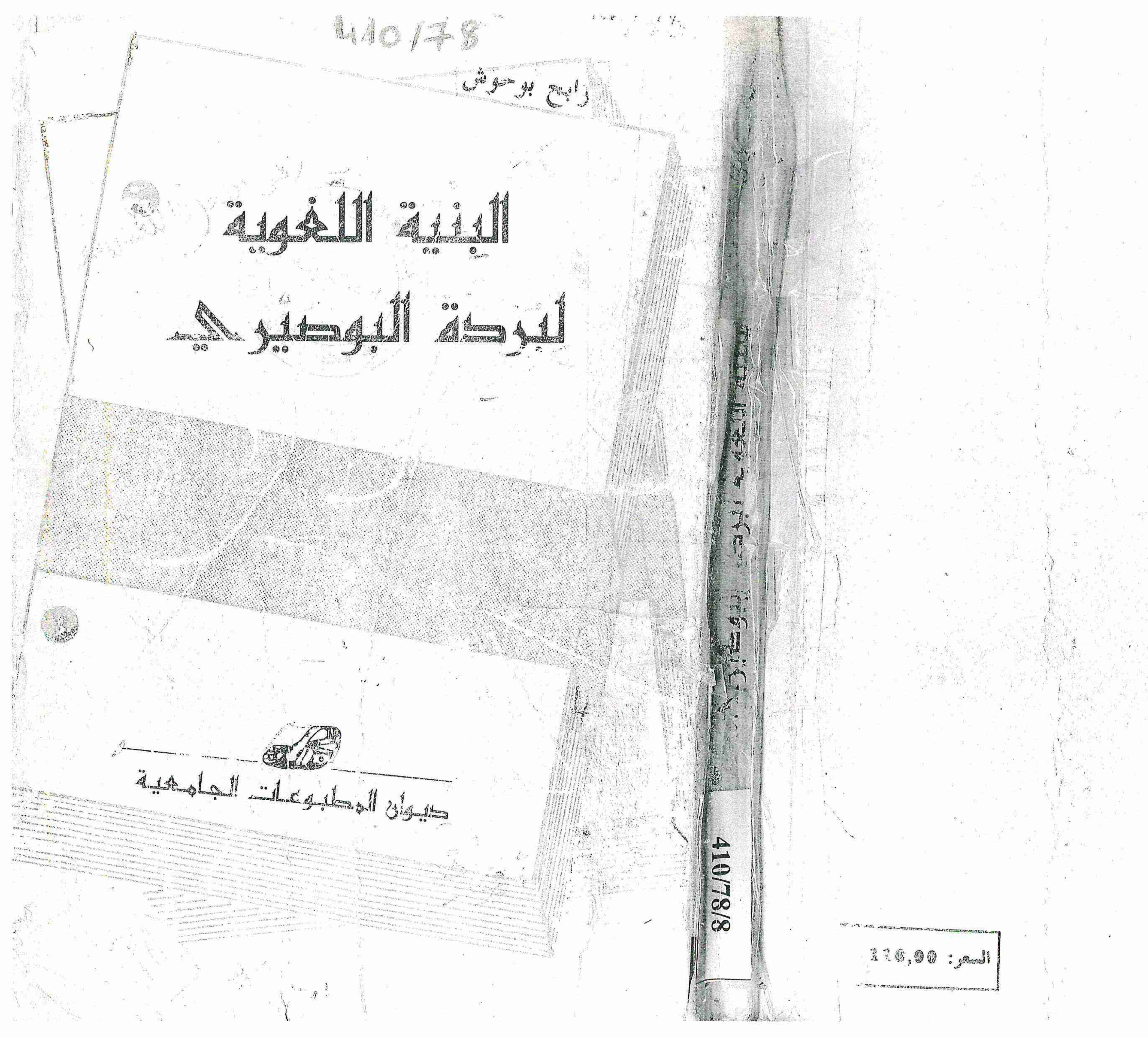


السعر: 136,00

رقم النشر: 4.09.5115

الإهداء

إلى ولدي: بلال وأسامة وإلى أسرتي الكريمة وإلى أستاذي الدكتور مختار نويوات أقدم هذا العمل هدية تقدير وعرفان.

ر. بُوحُوش

بعض الرموز المستخدمة في الرسالة

الرمز		المعنى
جا. م	=	جار ومجرور
ج	=	جملة
س	=	سبب خفيف
سَ	=	سبب ثقيل
ص	=	صائت
ص ص	=	صائت طويل
مفع	=	مفعول به
م ص	=	مقطع قصير مفتوح
م ص ص	=	مقطع طويل مفتح
م ص م	=	مقطع طويل مغلق
م ص ص م	=	مقطع مغرق في الطول منته بصامت
م ص م م	=	مقطع مغرق في الطول منته بصامتين
م	=	صامت
و	=	وتد مجموع
وَ	=	وتد مفروق
//	=	وحدة صوتية متميّزة
//	=	الاتفاق
و ص م	=	خ عدم الاتفاق
(؟)	=	عدم ظهور العنصر في البنية السطحية
(..)	=	مكان العنصر الموجود في البنية السطحية

مقدمة

يرمي هذا البحث إلى هدفين:

1 — وصف النظام اللغة العربية باعتماد نصّ شعريّ عربيّ يمثلها في طور من أطوارها، ليبيّن أسرارها، ومظاهر أستعمالها، ويكشف عن مدى حظ الشاعر في التصرف في اللغة، والأثر الذي يتركه فيها، والخصائص التي تتميّز بها في شعره.

2 — الوصول إلى منهج علميّ يمكّن من دراسة الأدب، لأن الأدب يمد اللسانيات[1] بمادة غزيرة وميدان خصب، واللسانيات تبرز ما في هذه المادة من مقومات الابداع وخصائصه. ومن هنا يفترض الباحث افتراضين أساسيين:

أ — أنّ اللسانيات تستطيع أن تضيف إلى المناهج التقليدية في دراسة الأدب.

ب — أنّ الابداع في المادة الأدبية يتحقّق إمّا بعدول الأديب عن المألوف في نظام اللغة، وإما بتصرفه في نظامها دون تجوّز أو خروج.

وقد ولّدت صلة اللسانيات بالأدب في ممارسة نصوصه مذهبا جديدا أطلق عليه إسم الأسلوبيات (stylistique)، وهو علم يدرس الأسلوب من خلال الأعمال الأدبية[2]، وقد وضع أسسه الأولى العالم شارل بالّي

---

(1) اللسانيات (linguistique) تعرفها المعاجم اللسانية بأنها الدراسة العلمية للغة الانسانية. ويسهّل للقاريء العربي الأطلاع على هذا العلم ما كتبه الدكتور الحاج صالح عبد الرحمن بعنوان: «مدخل الى علم اللسان الحديث» أنظر مجلة اللسانيات، الأعداد، 1، 2 سنة 1971، و 3 سنة 1972، و 4 سنة 1973—1974.

(2) Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique (styliq ue)

أوائل هذا القرن في كتابيه (محاولات في الأسلوبيات الفرنسية[1]، و (المجمل في الأسلوبيات)[2] ويعدّ ليوسبتزر (6leo Spetzer) من العلماء الذين ساهموا في تطويره، وهو متميز بآرائه ومنجيّته التي يدعو فيها إلى اصطناع الحدس (intuition) لتجلية الظواهر الأسلوبية التي تميّز الأديب من غيره[3].

وقد سعينا من هذه المنطلق إلى ابراز الظواهر اللغوية والأسلوبية التي تميزهم البردة، فحددنا عنوان البحث بـ (البنية اللغوية لبردة البوصيري) لأن المعتمد الأبنية: الصوتية والصفرفية والنحوية.

وقد يقتضي ذكر البوصير والبردة في هذا الرسالة تقديما، يعرف بهما تعريفا ولو موجزا.

1 — البوصيري:

هو شرف الدين أبو عبد الله بن سعيد بن حمّاد بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجي[4]، الدّلاصّي المولد[5]، المغربّي الأصل، البوصيري المنشأ[6]، من قلعة بني حمّاد ببلاد المغرب، من قبيل يعرفون (ببني جبنون)[7]، ولد سنة (608 هـ / 1212م)، وتوفي بالأسكندرية سنة (696 هـ / 1297م)[8].

ويبدو أن البوصيري في صغره قد بحث عن أسباب الثقافة، فحفظ القرآن ثم درس الأدب والعلوم الدينية، وشيئا من علوم اللغة كالنحو والصرف

(1) Traité de stylistique française.

(2) Précis de stylistique.

(3) Pierre Guiraud, la stylistique, pp. 71-83.

(4) استفاد البحث في تقديم البصيري من جهود على محمد بن شاكر التكبي، فوات الوفيات، ج3، ص 362 — 369. ومحمد صلاح، البوصيري ومدائحه النبوية، ص 43 وما بعدها، ومقدمة ديوان البوصيري.

(5) كورة بصعيد مصر تشمل قرى وولايات واسعة، ودلاص مدينتها.

(6) بوصير أو أوبو صير إسم لأربع قرى بمصر.

(7) الزركلي، الأعلام، مجلد 7، ص 11.

(8) المؤرخون مختلفون في سنة وفاته.

والعروض، كما أخذ آداب التصوف عن أبي العباس المرسي[1] خليفة أبي الحسن علي بن عبد الله[2]، مؤسس الطريقة الشاذلية[3]. وقد تأثر بتعاليهما، وظهر أثر ذلك في شعره واضحا[4].

ورحلات البوصيريّ متنوعة، فقد ذهب إلى بيت المقدس، وقضى بها عشر سنوات، ثم الى المدينة، فمكة، فبلبيس[5]، وبها اشتغل مباشرا[6].

وكان صاحب البردة من الخطّاطين الماهرين، والمحدثين، والقراء المشهورين، وقد كان محل إعجاب الشعراء والعلماء فأحمد شوقي يقول فيه[7] (بسيط):

«المادحـون وأربـاب الهوى تبـع لصاحب البردة الفيحاء ذي القـدم
الله يشهـد أني لا أعـارضه من ذا يعارض صوب العارض العرم»

ودوزي (Dozy) يقول فيه أيضا[8]: إنه عجيب رهيب، كما ذكر ابن حجر الهيتميّ بأنه من عجائب الله في النثر والشعر[9]. غير أن نثره ضاع، وكلّ ما نعرف عن آثاره أن له ديوانا طبع مرّتين وعليه اعتمدنا في دراسة البردة.

(1) هو أحمد بن عمر بن محمد الأنصاري، الملقب بالمرسّي نسبة إلى مَرسية بالمغرب، ويكني بأبي العباس، نشأ في مرسيه، وفقد أباه وأمه وهو صبيّ، فاتصل هو وأخوه عبدا الله محمد بالشيخ أبي الحسن الشاذلّي في تونس، فاحتضنهما وأخوه عبد الله محمد بالشيخ أبي الحسن الشاذلّي في تونس، فاحضنتها وحنا عليهما. وظل المرسّي ملازما للشاذلّي زاهدا متعبدا حتى جعله شيخه وحنا عليهما. وظل المرسّي ملازما للشاذلّي زاهدا متعبدا حتى جعله شيخه وارث طريقته من بعده، (أنظر د. علي صافي حسين، الأدب الصوفي، ص 78 — 79.

(2) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبّار الشاذلّي نسبة إلى شاذلة بالقرب من تونس، أنظر ابن الصباغ، درة الأسرار، ص 155. ود. علي صافي حسين، الأدب الصوفي، ص 60—61.

(3) هذه الطريقة اشتهرت في المشرق والمغرب، وهي تقوم على مبدإ أساسيّ يتمثل في أن للشريعة ظاهرا وباطنا، فالمظاهر جسمها والباطن روحها وكلاهما يكمل الآخر، وبهما يتحقق الدين كاملا (أنظر د. علي صافي حسين، الأدب الصوفي، ص 72).

(4) مقدمة ديوان البوصيري، ص 7. وانتهى إلى النتيجة نفسها الأستاذ المشرف.

(5) مدينة بمصر على طريق الشام وبالقرب من القاهرة.

(6) هو من اصطلاح المحاكم في العصر الأخير.

(7) الشوقيات، ج1، ص 199 — 200.

(8) أوحى لنا بها الأستاذ المشرف.

(9) مقدمة ديوان البوصيري، ص 7.

2 — البردة(*):

لقد نسجت حول البردة قصص كثيرة منها قصة مرض البوصيري بالفالج وشفائه بنظمها، وقصة رؤيا الشاعر للرسول ﷺ في منامه، وإعجابه بالردة وقصة أشفاء أحد الرجال من العمى بوضعها على عينيه. وليس هذا أدنى ما دار حول البردة، بل اشترط لقراءتها ما اشترط في تلاوة القرآن منها: التوضؤ واستقبال القبلة، والدّقة في تصحيح الفاظها، واعرابها، ومعرفة معانيها. كما أسند إليها من المناقب والفضائل ما لا يقع تحت حصر، فهي تشفي من عدة أمراض، وتفرّج الشدائد، وتسهّل العسير. واتخذوا منها تمائم وتعاويذ[1]. ولا شك أن هذا كلّه من اختراع الصوفية الذين أرادوا احتكار قراءتها، فيروي أن لهم فئة اشتهرت بقراءتها، وكانت تستدعي في الجنائز والأفراح نظير أجر معين.

وتعد البردة القصيدة العربية التي حظيت — دون غيرها — بمكانة وشهرة بين الناس[2]، فذاع صيتها في الآفاق شرقا وغربا[3]، وحفظها العام والخاص، وتغنى بها الناس في الموالد والأذكار. وأكثروا من تلاوتها في شتى المناسبات حتى قال فيها ابن حجر الهيتمي: لقد ازدادت شهرة البردة إلى أن صار الناس يتدارسونها في البيوت والمساجد[4] والجامعات[5]. فأقبل عليها الشعراء ونهجوا

(*) استفاد البحث في تقديم البردة من جهود محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج3، ص 362 — 369، ومقدمة ديوان البوصيري، ص 27 وما بعدها، وزكي مبارك، المدائح النبوية، ص 151 — 161، وعلي أبو زيد، البديعات في الأدب العربي، ص 20 وما بعدها.

(1) زكي مبارك، المدائح النبوية، ص 162.

(2) د. علي أبو زيد، البديعيات في الأدب العربي، ص 21.

(3) يقول زكي مبارك: «ومن أدلة الذيوع ما نراه من تعدد الطبعات، فقد طبعت في (فيينا) و (الأستانة)، ومكة، (بمباي)، وطبعت في القاهرة نحو خمسين مرة «أنظر كتابه، المدائح النبوية، ص 162.

(4) مقدمة ديوان البوصيري، ص 30. وفيما يتعلق بهذا الجانب يقول زكي مبارك: إن الأزهر في سنوات مضت، كان يسد دروس التاريخ الاسلامي باعتماد البردة إن الأزهر في سنوات مضت كان يسد دروس التاريخ الاسلامي باعتماد البردة وشروحها، كما كان يتخير يومي الخميس والجمعة لدراسة حاشية الباجوري على متن البردة. أنظر كتابه، المدائح النبوية، ص 164.

(5) فيما يتعلق بتدريس البردة في الجامعات يقول عمر موسي باشا: «كنت قد اتخذتها عمدة الدراسة خلال قيامي بالتدريس في كلية الآداب بجامعة دمشق... ورأيت من الفائدة أن أتابع العناية بتدريس هذا النص في كلية الآداب بجامعة الجزائر» أنظر مقدمة الزبدة في شرح البردة، لبدر الدين محمد الغزي، تح عمر موسى باشا، ص 5.

نهجا وأوسعوها شرحا وتعليقا[1]، كما ترجموها إلى لغات عالمية كثيرة[2].

سميت البردة بأسماء كثيرة: (الكواكب الدريّة في مدح خير البريّة) لاشتمالها على مناقب الرسول ﷺ، والبرءة) لأن الناظم برىء بسببها من علته، و (الشدائد)، لأنها تقرأ لتيسير العسير، و (البردة)، لأن الشاعر أراد التبرك بقصيدة كعب بن زهير.

تبدو البردة لأوّل وهلة أنها في مدح النبي ﷺ، غير أن تركيبتها قد جاءت في شكل معشير فيه عشر مجموعات دلالية مترابطة بتسعة مفاصل. وهذا تصميمها:

1 — (1 — 12) النسيب «النبويّ».
2 — (13 — 28) التحذير من هوى النفس
3 — (29 — 58) مدح الرسول ﷺ.
4 — (59 — 71) مولده.
5 — (72 — 87) معجزاته.
6 — (88 — 105) معجزة القرآن.
7 — (106 — 117) معجزة الأسراء والمعراج.
8 — (113 — 117) الجهاد.
9 — (140 — 151) التوسل والتشفع.
10 — (152 — 160) الاستئناس والدعاء.

فمن أهمية البردة، ومكانتها الأدبية الخالدة، تولدّت رغبة الباحث في اختيار هذا النص الرائع الذي يعد بحق رسالة لغوية وأدبية. ولكن بالرغم من هذا كلّه فان البردة لم تحظ بدراسة علمية شاملة ومن أجل ذلك أراد الباحث تخصيصها ببحث يقدمها تقديما عصريا يليق بمقامها.

(1) شرحت أكثر من تسعين شرحا بالعربية والفارسية، ولغة المغرب الأصلية، وأول شرح نعرفه لها شرح أبي شامة عبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقي (ت 665هـ / 1266م)، وهذا دليل على اهتمام الناس بالبردة في حياة ناظمها.

(2) ترجمت الى اللاتينية، والألمانية، والفرنسية، والأنجليزية، والايطالية، والفارسية والتركية وغيرها كثير.

وقد تنوّعت مراجع هذه الرسالة بتنوع فصولها، فركّز الباحث على الأمهات من كتب النحو والصرف والبلاغة، كما استفاد من الكتب الحديثة، لأنه أراد أن يجمع بين القديم والحديث. بيد أن هناك صعابا جابهته، تتمثل في ندرة المراجع التطبيقية، وفي مشقة الحصول على الأمهات. وربما كانت أشدّها عسرا غزارة المادة التي تتطلب إحاطة واعية بعلوم اللغة قديمها وحديثها، واتصالا بجهود اللسانيين ووسائلهم العلمية، والمنهجية.

وقد اصطنع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، واستفاد من الوصفي الوظيفي. كما كان يتجه الى التفسير والتعليل في بعض الأحيان، ويستعين بالاحصاء والجداول من أجل الموازنة وتوضيح بعض الحقائق. وكان ينزع إلى التطبيق متخليا عن المقدمات النظرية الطويلة المعروفة لدى جمهور الباحثين.

واقتضى ــ منا ــ البحث أن تكون الدراسة ثلاثة أقسام. ولم نرد تقديم البردة في صورتها المركبة: لأننا تأملنا في بنيتها اللغوية، فألفيناها ذات عناصر ثلاثة: الصوت، والكلمة، والجملة، فكان محتوى الرسالة ثلاثة فصول، تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة.

الفصل الأوّل ــ النبية الصوتية وفيه قسمان:

أ ــ موسيقى الأصوات ــ يعني الباحث فيه بالوزن (البحر، وأعارضه وأضربه، والزحافات الطارئة عليه)، والمقاطع الصوتية، والترصيع (المتوازي والمطرّف، المتوازن).

ب ــ الأصوات المكرّرة وعلاقتها بالمعنى ــ يعني فيه بتكرار الأصوات بعينها، وتكرار الأصوات مجتمعة، فيهتم بالتصدير، والتذييل، والتجنيس (الجناس التام، والتام المستوفي، واللاحق، والمضارع، والمحرّف، والمقلوب).

الفصل الثاني ــ البنية الصرفية وفيه قسمان:

أ ــ بنية الأفعال ــ يعني فيه بالصيغ البسيطة (فعل، والصيغ المزيدة) والصيغ المركبة (قد فعل، ولقد فعل، وكان يفعل، ولم يفعل...) فيبرز خصائصها التركيبية والدّلالية باعتماد السياق.

ب ــ بنية الأسماء ــ يعني فيه بوظائف الأسماء ومعانيها بالاعتماد على علم الأصوات، فيصنفها بحسب المقاطع الى أربعة أصناف: كلمات ذات مقطع واحد، وكلمات ذات مقطعين، وكلمات ذات مقاطع ثلاثة، وكلمات ذات مقاطع أربعة فيوزعها حسب أنماط وصور.

الفصل الثالث ــ البنية النحوية وفيه ثلاثة أقسام:

أ ــ الجملة الطلبية، وفيها ستة أنواع الأمر، والاستفهام، والنهي، والدعاء، والترجي، والنداء. فيحدد الباحث أنماطها، وصورها، ويحلل بعض النماذج منها بإبراز نظامها التركيبي، وخصائصها الأسلوبية والدلالية، ويسلك مسلكا يخالف القدامى إلى حد ما في تحديد النداء، فيعتبره جملة مركّبة يحدد أركانه أداة النداء والمنادي، والمنادى، ومضمون النداء.

ب ــ الجملة الشرطية ــ نقسمها إلى أنماط وصور ونحلل بعض نماذجها ونفسرها، ونبرز سماتها التركيبية والأسلوبية.

ج ــ الجمل ذات الوظائف ــ نهتم فيه بجملة الفاعل، والخبر، والمفعول به، والنعت، والحال والتعليل، والغاية، فنبرز نظامها وخصائصها التركيبية. ويزعم الباحث أن هذا القسم مهمّ، لأنه يفتح آفاقا واسعة لدراسة وظائف الجملة العربية من خلال النصوص الأدبية، وهو يرجو الاهتمام بهذا الجانب لتحديد خصائصه التركيبية والأسلوبية. وقد اقتصر الباحث ــ في هذه الرسالة ــ على ما يغني، لأن اتجاهه في البحث اتجاه لغوي أسلوبيّ.

هذا ونشكر الأستاذ المشرف مختار نويرات، وكل الأساتذة والزملاء الذين ساعدونا على إنجاز هذه الرسالة.

الفصل الأوّل

البنية الصوتية

1 ـــ موسيقى الأصوات
2 ـــ الأصوات المكررة وعلاقتها بالمعنى

أما حدّ اللغة فأصوات يعبّر بها كلّ
قوم عن أغراضهم

تمهيد:

أصوات الكلام تحيط بنا من كل جهة، فالانسان حينما يتصل بغيره، وحينما يغني أو ينظم شعرا يستعين بالأصوات. فالصوت إذن ضروريّ في الحياة كالهواء والماء والطعام. وضرورته تأتي من كونه يمثل الجانب العملي للغة، ويقدّم طريق الاتصال المشترك بين الانسان وأخيه الانسان مهما قل حظه من التعليم والثقافة[1].

وقد أدرك اللغوين العرب[2] قيمة الصوت، فاستعانوا به على قضاء حاجاتهم، ذلك أن آراءهم الكثيرة في إصلاح المنطق وفي وضع العروض والنحو والصرف والمعاجم، وفي تدوين القراءات القرآنية قد بنوها على الدراسة الصوتية[3](*).

وفي أوروبا بدأ الاعتناء بالأصوات في القرن الثامن عشر حينما استفاد اللغويون من التقدم العلمي الذي أحرزه علم الطبيعة وعلم ووظائف الأعضاء. أضف الى ذلك اتصالهم بلغات مختلفة واشتغالهم بفن المقارنة بين الأنظمة اللغوية والصوتية[4]. ومن ذلك الحين ما فتيء علم الأصوات يتطور شيئا فشيئا حتى غدا علما يطبقون عليه الدراسة العلمية، ويستفيد من الوسائل الآلية[5]، هذا التطور الذي حصل لعلم الأصوات، وهذه النتائج التي حققها باعتماد المناهج

---

(1) د. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، الصفحة الأولى من مقدمة الكتاب.

(2) للغويين اليونان والرومان والهنود جهود معتبرة في دراسة الأصوات اللغوية. لا مجال لتقويمها، هنا أنظر، محمود السعران، على اللغة، ص 92 وما بعدها. والحاج صالح «مدخل علم اللسان الحديث» — مجلة اللسانيات — المجلد الأول (2)، ص 36 وما بعدها.

(3) د. محمود السعران، علم اللغة، ض 132.

(*) فيما يخصر جهود اللغويين العرب في دراسة الصوت اللغوي، أنظر د. رمضان عبد التواب، المدخل الى علم اللغة، ص 16 — 18 أشار المؤلف في هذا الكتاب الى أعمال الخليل، وكتاب سيبويه، وسر صناعة الأعراب لابن جني، والمفصل في النحو للزمخشري، ومفتاح العلوم للسكاكي، وكتب القراءات، وهي بحق محاولات جادة، لأن الكثير من جوانبها قد وقف عندها علم الأصوات الحديث وأثبت صحتها.

(4) السعران، علم اللغة، ص 101، ومونان، تاريخ علم اللغة، ترجمة بدر الدين القاسم، ص 145 — 147.

(5) السعران، علم اللغة، ص 102.

العلمية، والوسائل التجريبية، خففت من حدّة الاختلاف بين رجاله، فأجمعوا على أن الأصوات تنقسم إلى قسمين رئيسيين: الصوامت (consonnes)، والوصائت (voyelles)[1]. وكان المنطق في هذا، الطبيعة الصوتية لكل قسم، ذلك أن الصفة المميزة للصوامت هي «إما [أن] ينحبس معها الهواء انحباسا محكما فلا يسمح له بالمرور لحظة من الزمن يتبعها ذلك الصوت الانفجاري(*)، وإما أن يضيق مجراه فيحدث النفس نوعا من الصفير أو الحفيف[2]». وأما الصوائت فيندفع الهواء من الرئتين عند النطق بها، مارّا بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل تعترض مجراه[3]. وهذه الصوائت تمتاز — أيضًا من الصوامت بخاصية الوضوح السمعي، وهو الفارق الأساسي بينهما[4].

وقد جرت عادة علماء الأصوات على تقسيم الصوامت والصوائت الى أصناف ومجموعات لمعرفة طبيعتها وخواصها، ولتبسيط الدراسة وتسهيلها[5].

---

(1) اختلف اللغويون العرب في تحديد هذين المصطلحين وتسميتهما، عكس ما هي الحال عند اللغويين الغربيين. فهما عند إبراهيم أنيس (أصوات ساكنة، وأصوات لين)، وعند محمود السعران (صوامت وصوائب)، وعند تمام حسان (أصوات صحيحة، وأصوات علّة)، وعند كمال بشر (أصوات صامتة، وحركات)، وعند صالح القرمادي (حروف وحركات)، وعند أحمد مختار عمر (سواكن، وعلل)، وعند أحمد نحلة (صوامت. وصوائب)، وعند رمضان عبد التواب (أصوات صامتة، وأصوات متحركة) وعند عبد الرحمن الحاج صالح، (حروف جوامد، وحروف مصوتة).

أما القدامى فقد جروا على استعمال المصطلحين (صائت، ومصوت)، فالمولى شمس الدين (المعروف بديكنقور) في كتابه: «شرح مراح الأرواح» استعمل المصطلح «صامت» ليعني ما سمّاه المعاصرون بالصامت (consonne). وقد رفق في هذه التسمية الى حدّ بعيد. وابن جني يسمي في كتابه: «الخصائص الصوائت الطويلة أو الصوات (بالمصوتة). و «هو في هذه الحالة يراعي خاصة مهمة من خواص الحركات بعامة، وهي قوّة الوضوح السمعي.... ولا فرق في هذا المعنى بين «مصوّت» و «صائت»، وهو المصطلح الثاني الذي استعمله آخرون إلاّ أن هذا الأخير من الفعل الثلاثي «صات» أما الأول [فمن] الرباعي المضعف «صوت».

ومما لا شك فيه أن كثرة الاختلافات تبعد عن روح العلم، وعن غاياته السامية، ذلك أنه مهما تكن مبررات كل باحث في الأصوات اللغوية وجب أن يبحث عن مصطلح موّحد لتكون قضايا علم الأصوات موّحدة يعرفها الدارس مهما كان البلد الذي ينتمي اليه. أما المصطلح الذي نؤثره وندعو اليه فهو الصامت، والصائت لدلالته على المقصود، ولبعده عن اللبس.

(2) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 26.

(3) المرجع نفسه، ص 26.

(4) د. كمال بشر، علم اللغة العام، ص 87.

(5) المرجع نفسه، ص 87 — 88.

وتختلف أسس التقسيم بحسب اختلاف وجهات النظر. والقاعدة العامة هي تقسيم الصوامت إلى اعتبارات ثلاثة[1].

1 — بحسب وضع الأوتار الصوتية من حيث ذبذبتها، وعدمها.
2 — بحسب مواضع النطق أو مخارج الأصوات.
3 — بحسب حالة مرور الهواء والحوائل التي تعترضه عند النطق.

وهم يقسمون الصوائت إلى اعتبارات عديدة مختلفة أهمها[2].

أ — بالنظر الى ذلك الجزء من اللسان الذي يفوق غيره.
ب — بالنظر إلى درجة العلو التي يرتفع اليها اللسان.
ج — بالنظر إلى وضع الشفتين من حيث انضمامهما وانفراجهما.

صفات الصوامت والصوائت:

نهتم في هذا القسم بصفات الصوامت والصوائت لما لها من علاقة بالبحث وقد اعتمدنا — بشيء من التحفظ — كتاب: علم اللغة العام / قسم الأصوات للدكتور كمال بشر. وذلك لما اتسم به هذا الكتاب من تجديد وتبسيط للعلم.

أولا — الصوامت:

الصوامت أنواع:

أ — الصوامت الانفجارية:

وتتكون بأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع من المواضع، ثم يضغط الهواء، ويطلق سراح مجراه فجأة، فيندفع محدثا صوتا انفجاريا. والصوامت الانفجارية هي: الباء، والتاء، والدال، والطاء، والضاد، والكاف، والقاف، والهمزة.

---

(1) المرجع نفسه، ص 87 — 88.

(2) المرجع نفسه، ص 189 وما بعدها.

ب ــ الصوامت الاحتكاكية(*):

وتتكون بأن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع بحيث يحدث الهواء أثناء خروجه احتكاكا مسموعا. والصوامت الاحتكاكية هي: الفاء، والثاء، والسين، والصاد، والشين، والخاء، والحاء، والهاء، وهذه صوامت مهموسة، والذال، والظاء، والزاي، والغين، والعين، وهي صوامت مجهورة.

ج ــ الصوامت الانفجارية ــ الاحتكاكية ــ أو المركبة:

وتتكون بأن يرتفع مقدم اللسان في اتجاه الغار فيلتصق به، وبذلك يحجز وراءه الهواء الخارج من الرئتين، ثم لا يزول هذا الحاجز فجأة كما في الأصوات الانفجارية، وإنما يتم انفصال العضوين ببطء، فيترتب على ذلك أن يحتك الهواء الخارج بالعضوين المتباعدين احتكاكا شبيها بالاحتكاك الذي نسمع صوته مع الشين المجهورة (ج). ومثل الصوامت الانفجارية ــ الاحتكاكية الجيم في اللغة العربية.

د ــ الصوامت المكررة(**):

يمثلها في العربية صوت الراء، ويتكون بأن تتكرر ضربات اللسان على اللثة تكرارا سريعا، بحيث يكون اللسان مسترخيا في طريق الهواء الخارج من الرئتين وتتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق به.

هـ ــ الصوامت المنحرفة أو الجانبية(***):

يمثلها في العربية صوت اللام، ويتكون بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة، بحيث توجد عقبة في وسط الفم تمنع مرور الهواء منه، ولكن مع ترك منفذ لهذا الهواء من جانبي الفم أو من أحدهما.

وتتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق به.

(*) يقابل (Fricatif)، وهو الصوت الرخو عند القدامى.

(**) يقابل (Vibrant)، والتسمية قديمة تعود الى سيبويه وابن جني.

(***) يقابل (Latéral)، والتسمية قديمة تعود الى سيبويه وابن جني.

و ــ الصوامت الأنفية: أو الغناء:

وتتكون بأن يحبس الهواء حبسا تاما في موضع من الفم، ولكن يخفض الحنك اللين يتمكن الهواء من النفاذ من طريق الأنف. وهما: الميم والنون[1]. هذه بعض الصفات، وهناك صفات أخرى لم نأت على ذكرها[2].

ثانيا ــ الصوائت:

الصوائت هي القسم الرئيسي الثاني من الأصوات بعد الصوامت. وهي مقسمة الى إعتبارات عدة[3]. أما صوائت العربية من حيث التعريف فيصدق عليها ما سمّاه نحاة العربية بالحركات «الفتحة، الضمة، والكسرة وبحروف المد أو اللين (مقصودا به لألف في مثل عدا، والواو في مثل قالوا، والياء في مثل القاضي[4]». غير أن هناك أنواعا أخرى تبدو من الصوامت وهي من الصوائت والعكس، وهذه الأنواع: أشباه الصوائت، وأنصاف الصوائت.

1 ــ أشباه الصوائت(*):

لقد عدّ علماء الأصوات المحدثون اللام، والنون، والميم، والراء، من الأصوات التي تشبه الصوائت، وذلك لقرب المخرج تشترك معها في صفة الوضوع السمعي. وتعد من أوضح الصوامت في السمع. وهي أيضا إلى جانب ذلك ليست انفجارية ولا احتكاكية[5].

2 ــ أنصاف الصوائت(**):

هذا النوع من الأصوات تبدأ أعضاء النطق به في منطقة حركة من الحركات، ولكنها تنتقل من ذلك بسرعة ملحوظة الى مكان حركة أخرى،

---

(1) السعران، علم اللغة، ص 184.

(2) لقد فصل القول فيها علماء الأصوات المتأخرون أمثال: السعران، وابراهيم أنيس، وبشر... وغيرهم.

(3) أنظر الصفحة 3 من هذا الفصل.

(4) السعران، علم اللغة العام، ص 161.

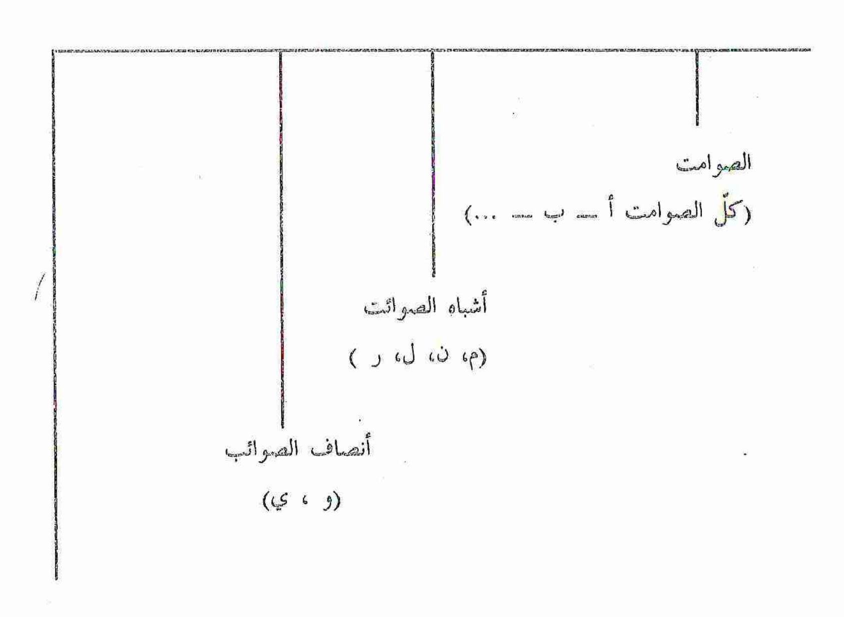
(*) يسمى هذا النوع أيضا، الأصوات المائعة (Liquide).

(5) ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 63 ــ 64.

ولأجل هذه الطبيعة الانتقالية أو الانزلاقية، ولقصر قلة الوضوح السمعي إذا قيست بالصوائت عدت صوامت لا صوائت، بالرغم مما فيها من شبه واضح بالصوائت. وفي العربية من هذا صوتان[1]: الواو في مثل «ولد»، و «حوض»، والياء في مثل يترك، و «بيت».

وعلى ضوء هذا التحليل يمكننا أن نرتب الصوامت والصوائب بحسب قوة الوضوح السمعي بادئين بأضعفها من حيث السمع. واليك البيان الآتي:

الصوامت والصوائت



الصوائت

(الحركات القصيرة + الحركات الطويلة)

بعد هذا العرض السريع للأصوات أحاول أن اتبين أثرها في البردة. غير أني ألفت الانتباه إلى أن هذه الظاهرة تخضع لرؤية الناقد، ودربته على تذوق

(1) د. كمال بشر، علم اللغة العام، ص 132 — 133.

النصوص الأدبية، لأن الأصوات المستخدمة، منها ما هو تلقائي (غير مقصود)، ومنها ما هو نتيجة للصنعة الأدبية، أو لضرورة الوزن.

وأمام هذه القضية المعقدة الشاقة أقول متمثلا قول الخليل بن أحمد الفراهيدي حينما سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو، فقيل له: عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال:

«إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها. وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتللت أنا بما عندي إنه علّه لما علّلته منه. فإن أكن أصبت العلّة فهو الذي التمست. وان تكن هناك علّة له فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل دارا محكمة البناء، عيجبة النظم والأقسام، وقد صحّت عنده حكمة بانيها، بالخبر الصادق أو البواهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنما فعل هذا هكذا لعلّه كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا. سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلّة، إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علّة لذلك. فإن سنح لغيري علّة لما علّلته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها[1]».

ونهتم في هذا الفصل بموسيقى الأصوات، والأصوات المكررة، وعلاقتها بالمعنى.

أولا — موسيقى الأصوات:

1 — الوزن(*):

تخصص هذا القسم للظواهر الصوتية التي لها علاقة بالوزن وهي: البحر، وأعاريضه وأضربه، والتحويلات الطارئة عليه (من زحافات وعلل)، ومظاهر الائتلاف والاختلاف بين المقاييس العروضية، والمقاطع اللغوية:

(1) أبو القاسم الزجاجي، الايضاح في علل النحو، ص 65 — 66.

(*) يشير الدكتور مصطفى الجوزو الى أن العرب بالرغم من عنايتهم بالعروض، لم يشغلوا أنفسهم بتعريف الوزن تعريفا دقيقا. غير أن المؤلف نفسه لم يستخلص من خلال عرض اراء بعض الذين أهتموا بالوزن. كالفارابي، والبلاقلاني، وابن سينا، وحازم القرطاجني... وغيرهم تعريفا للوزن يعتمد عليه، ويطمئن إليه. أنظر كتابه: نظريات الشعر عند العرب، ص 21 — 36.

أ ــ البحر:

اختار صاحب البردة من بحور الشعر العربي البسيط. وهو بحر مزدوج التفعيلة، حظي باهتمام بالغ عند الشعراء. فشكري عياد يشير في كتابه: موسيقى الشعر العربي إلى أن أربعة أوزان قيل فيها أكثر من أربعة أخماس ما أحصي من الشعر وهي: الطويل، والكامل، والوافر، والبسيط[1]. وهذا البحر من أكثر الأوزان شيوعا، ونسبة استعماله عند بعض الشعراء كالآتي:

النابغة: 26%، عنترة: 7%، امروء القيس: 7,5%، زهير: 25%، الأعشى: 11%، الفرزدق: 0,8%، بشار: 15,35%، أبو تواس: 14,21%[2]، الأصمعي والمفضل الضبي: 17%، جرير: 16% أبو العتاهية: 19%، المتنبي: 16%، البارودي: 15%، حافظ إبراهيم: 14%[3]، شوقي: 8,64%[4].

تبيّن هذه النسب أن البسيط من البحور الكثيرة الرواج عند الشعراء قديما وحديثا.

ففي هذا الوزن يقول حازم القرطاجني: «من تتبع كلام الشعراء في جميع الأعاريض وجد الكلام الواقع فيها تختلف أنماطه بحسب مجاريها من الأوزان ووجد الافتنان في بعضها أعم من بعض. فأعلاها درجة في ذلك الطويل والبسيط[5]» ثم يقول: «وتجد للبسيط سباطة وطلاوة[6]». وهو الذوق نفسه عند الناقد المعاصر عبد الله الطيب الذي يقول: «إن الطويل والبسيط أطول بحور الشعر العربي، وأعظمها أبهة وجلالة[7]».

(1) ص 13.
(2) د. مصطفى حركات، كتاب العروض، ص 85.
(3) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 191 ــ 200.
(4) د. محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في «الشوقيات»، ص 28.
(5) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، 268.
(6) المصدر نفسه، ص 269.
(7) شكري عياد، موسيقى الشعر، ص 151.

معاني البسيط:

يبدو أن الاهتمام بمعاني البحور لم يتبلور عند الدارسين القدامى بصفة دقيقة، لأن العروضيين وقفوا عند حدود التسميات دون التوسع في ربط الدوال بالمدلولات فقالو: هذا طويل وذاك بسيط، وذلك خفيف[1]. غير أن هناك من المتأخرين من حاول عقد الصلة بين الوزن والغرض. فإبراهيم أنيس يشير الى ذلك قائلا: «أما المدح فليس من الموضوعات التي تنفعل لها النفوس، وتضطرب لها القلوب، وأجدر به أن يكون في قصائد طويلة، وبحور كثيرة المقاطع كالطويل والبسيط[2]».

والواضح من هذا القول أن البسيط أليق بالمدح لخصائصه الفنية والمقطعية، ولذلك اختاره صاحب البردة. والبسيط يقرب من الطويل، ولكنه لا يتسع مثله لاستيعاب المعاني، غير أنه من جهة أخرى يفوقه رقة وجزاله[3]. فهو من البحور التي لها سباطة وطلاوة.

ب ــ أعاريضه وأضربه(*):

للبسيط ثمانية أجزاء، أربعة سباعية، وأربعة خماسية، والسباعية مقدمة على الخماسية، وكلاهما فروع عن (فعولن) و (مفاعيلن) وهي:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن   مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

وله ثلاث أعاريض، وستة أضرب موزعة على أعاريضه:

1 مستفعلن فاعلن مستفعلن فَعِلُن   مستفعلن فاعلن مستفعلن فَعِلُن (1)
مستفعلن فاعلن مستفعلن فَعِلُن   مستفعلن فاعلن مستفعلن فِعْلُن (2)
2 مستفعلن فاعلن مستفعلن   مستفعلين فاعلن مستفعلان (3)
مستفعلن فاعلن مستفعلن   مستفعلن فاعلن مستفعلن (4)
مستفعلن فاعلن مستفعلن   مستفعلن فاعلن مفعولن (5)
3 مستفعلن فاعلن مفعولن   مستفعلن فاعلن مفعولن (6)

(1) البتساني، مقدمة الألياذة، ص 59.
(2) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 178.
(3) المرجع السابق، ص 59.
(*) أفاد البحث من جهود موسى الأحمدي نويوات، المتوسط الكافي، ص 91 ــ 93، ود. مصطفى حركات، كتاب العروض، ص 51 ــ 52.

ج ــ الزحافات(*):

يطرأ على الوزن النموذجي للبيت تغيير قد يكون لازما، وقد يكون اختياريا، وقد يخص السبب[1] دون الوتد[2]، وقد يعتريهما معا.

وعلماء العروض يسمون هذا التغيير زحافا أو علة.

الزحاف ــ هو تحويل[3]:

1 ــ اختياري.
2 ــ يقتصر على الحرف الثاني من السبب الخفيف أو الثقيل، فيسكنه (// ــ /0) أو يحذفه (/ 0 ــ /)، (// ــ /).
3 ــ لا يخص الزحاف موضعا معينا من البيت.

والزحاف نوعان[4]: مفرد أو مزدوج.

أ ــ المفرد ــ وهو الذي يدخل على سبب واحد في التفعيلة الواحدة، وهو ثمانية أقسام.

1 ــ الخبن ــ وهو حذف الثاني الساكن من التفعيلة.
2 ــ الوقص ــ وهو حذف الثاني المتحرك من التفعيلة.
3 ــ الاضمار ــ وهو تسكين الثاني من التفعيلة.
4 ــ الطي ــ وهو حذف الرابع الساكن من التفعيلة.
5 ــ القبض ــ وهو حذف الساكن الخامس من التفعيلة.
6 ــ العقل ــ وهو حذف الخامس من التفعيلة.
7 ــ العصب ــ وهو تسكين الخامس من التفعيلة.
8 ــ الكف ــ وهو حذف السابع الساكن من التفعيلة.

(*) أنظر: موسى الأحمدي نويرات، المتوسط الكافي، ص 24 ــ 36. ود. حركات، كتاب العروض، ص 36 ــ 37.

(1) يتكون السبب من حرفين، وهو نوعان: خفيف وثقيل (أ) السبب الخفيف: متحرك يتلوه مثل: في. فن، ذا، نشير إليه بالرمز س، وتكتب س = / 0. (ب) السبب الثقيل: رك من الفعل ركب. نشير إليه بالرمز س ونكتب سَ = //.

(2) يتكون الوتد من ثلاثة أحرف، وهو نوعان: مجموع، ومفروق، (أ) الوتد المجموع: متحركان يتلوهما ساكن مثل: رمي:، لقد. ونشير إليه بالرمز (و)، ونكتب و = // 0. (ب) الوتد المفروق: متحركان يتوسطهما ساكن، مثل: قال، عند، ونشير إليه بالرمز (و)، ونكتب وَ = /0/.

(3) أنظر: د. حركات، كتاب العروض، ص 36.

(4) أنظر: الأحمدي نويرات، المتوسط الكافي، ص 25 ــ 32، ود. حركات كتاب العروض، ص 36 ــ 37.

ب ــ المزدوج:

وهو الذي يدخل على سببين في تفعيلة واحدة، وأنواعه أربعة:

1 ــ الخبل ــ وهو اجتماع الخبن والطي.
2 ــ الخزل ــ وهو اجتماع الاضمار والطي.
3 ــ الشكل ــ وهو اجتماع الخبن والكف.
4 ــ النقص ــ وهو اجتماع العصب والكف.

العلة ــ وهي «تغيير لا يلحق ثواني الأسباب فقط، بل يلحق الأوتاد أو الأسباب أو كليهما[1]»، أو هي بتعبير حديث تحويل[2]:

1 ــ يلحق الأسباب والأوتاد.
2 ــ يدخل على العروض والضرب.
3 ــ لازم في غالب الأحيان.

الزحافات في البردة:

أسفر إحصاء الزحافات في البردة عن النسب المئوية[3]. التالية:

(0 100) (000) (0 39) (00 51)
(0 100) (000) (0 46) (00 50)
(س س و)(*) (س و) (س س و) (س و)

يبيّن هذا الجدول أن بيت البسيط يحتوي على مواضع ثابتة هي: الأوتاد، ومواقع متغيّرة هي: الأسباب. غير أن التحويل يجري بحسب نسب متفاوتة:

---

(1) الأحمدي نويرات المتوسط الكافي، ص 33.

(2) د. حركات، كتاب العروض، ص 37.

(3) لم نعتمد الأرقام بعد الفواصل.

(*) السين: (س) رمز للسبب، والواو (و) رمز للوتد.

أ ــ سبب مستفعلن الأول (الشطر الأول) زوحف بنسبة 51%.
ب ــ سبب فاعلن (الشطر الأول) زوحف بنسبة 39%.
ج ــ سبب مستفعلن الأول (الشطر الثاني) زوحف بنسبة 100%.
د ــ سبب مستفعلن الأول (الشطر الثاني) زوحف بنسبة 50%.
هـ ــ سبب فاعلن الثاني (الشطر الثاني) زوحف بنسبة 46%.
و ــ سبب الضرب زوحف بنسبة 100%.

يتضح من خلال هذا الوصف أن المقياس الثالث (مستفعلن) الذي في حشو البيت خال من الزحافات. وهذا حسن، و «لا يستعملها المطبعون إلا كذلك»[1]. أما المقياس (مستفعلن) الواقع في أول الصدر والعجز فقد تغيّر بنسب متفاوته. وخبنه مستحسن[2]. وأما المقياس (فاعلن) الذي في حشو البيت فمتغير. وخبنه مستحسن[3] أيضا، وأما مقياس العروض والضرب فمتغيّر بنسب ثابتة ويفسر سبب ثبوت الزحاف في المقياسين المذكورين بأنه علامة على نهاية الشطر[4].

وقد تتضح بعض الحقائق الأخرى بالاعتماد على مقابلة زحافات بعض القصائد وهي[5]:

1 ــ يا دارمية بالعليا فالسند (النابغة).
2 ــ ودع هريرة ان الركب مرتحل (الأعشى).
3 ــ عيد بأي حال عدت ياعيد (المتنبي).
4 ــ يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر (المعري).
5 ــ أمن تذكر جيران بذي سلم (البوصيري).

---

(1) الأحمري، المتوسط الكافي، ص 96.
(2) المرجع نفسه، الهامش، ص 96.
(3) المرجع نفسه، ص 96.
(4) د. حركات، كتاب العروض، ص 86.
(5) اعتمدنا إحصاء الدكتور حركات في القصائد كلّها ماعدا البردة، أنظر كتابه العروض، ص 85 ــ 86.

النابغة	(00 40) (0 100) (0 00) (0 51) (00 40) (0 100 (0 01) (0 63)
الأعشى	(05 41) (0 100) (0 03) (0 50) (05 37) (0 100) (0 05) (0 63)
المتنبي	(00 50) (0 100) (0 00) (0 53) (00 27) (100 0) (0 00) (0 67)
المعري	(00 52) (0 100) (0 00) (0 52) (00 44) (0 100 (0 00) (0 64)
البوصيري	(00 50) (0 100) (0 00) (0 39) (00 51) (0 100) (0 00) (0 46)

يبيّن هذا الجدول ما يلي:

1 ــ المقياس الثالث (مستفعلن) الواقع في حشو البيت، لم يرد سالما من الزحافات مع شاعرين: النابغة والأعشى.

2 ــ لزوم الزحاف في سبب العروض والضرب في القصائد، يقوي الفكرة القائلة بأنّه علامة على نهاية الشطر[1].

3 ــ دخول الزحاف على سبب مقياسي: (مستفعلن، فاعلن) بنسب متفاوته في القصائد كلّها، يؤكد فكرة الاختيار عند الشعراء، وقد التمس له أحد الدارسين المعاصرين تفسيرا، إذ عدّه علامة لتفعيلتي نصف الشطر الأول[2].

4 ــ سلامة المقياس (مستفعلن) الواقع في الحشو من الزحافات في القصائد كلّها ما عدا النسب الضئيلة عند كل من النابغة، والأعشى، تبرز نوعا من التضاد بين نصفي الشطر[3].

---

(1) د. حركات، كتاب العروض، ص 86.
(2) المرجع نفسه، ص 86.
(3) المرجع نفسه، ص 86.

5 — يستخلص من هذه الدراسة التقابلية بحسب الرؤية الزمنية التطورية (Diachronique)، أن الأسباب التي تغيّرت بصفة ملحوظة أسباب المقاييس الموجودين في النصف الأوّل من كل شطر. أما الأسباب الأخرى فمتغيرة بنسب ضعيفة عند شعراء الجاهلية، ثابتة عند من تلاهم.

د — الوزن والواقع الشعري:

يرتبط الوزن في الدراسات اللسانية العربية بميداني الصرف والعروض. غير أن الوزن الصرفي يختلف عن الوزن العروضي. فالوزن الصرفي الذي مقياسه (فاعل) يحتوي على كلمات مثل: لائم، وساطع، وساجد. ويقتضي وجود المقطع الطويل المفتوح (م ص ص)(*)، وكسر الصامت الذي يليه في جميع حالات الاستعمال. أما الوزن العروضي الذي مقياسه «فاعلن» فيحتوي على كلمات مثل: مترف، نارها، مقلق، جوهر. ولا يقتضي أيّ قيد أو شرط.

وفي الوزن الصرفي يحتوي المقياس (مستفعل) على كلمات مثل: مستمسك، ومستأصل، ومستغفر، ومستعصم، ويقتضي وجود الوحدة الصرفية(1) (مست) وتسكين فاء الفعل وكسر ما قبل آخر.

أمّا الوزن العروضي الذي مقياسه «مستفعلن» فيحتوي على كلمات مثل: منقضه، موصوله، أمّارة، مثقالة، مستأصل، ولا يرتبط بأيّ قيد أو شرط كما هو الشأن بالنسبة الى الوزن الصرفي، لكن الوزن الصرفي لا يرتبط إلا بكلمات تامة، عكس الوزن العروضي الذي يرتبط بكلمات تامة، كما يرتبط بأجزاء من الكلمات.

الوزن وعلم الأصوات:

ما تقدم يلفت الانتباه إلى أن كلا الوزنين: الصرفي والعروضي لا يولي اهتماما للجانب الصوتيّ فمثلا وزن كلمة «مستقلي» عند الصرفيين «مستفعل»

(*) أنظر: أنواع المقاطع ورموزها ص: 27 — 28 من هذا الفصل.

(1) يقابل (Morpheme). وهي أصغر وحدة دلالية في الخطاب، غير قابلة للتقسيم أنظر: Dubois autres, Dictionnaire de lingiusfique

وعند العروضيين «مفعولن». الأولى وزنها المقطعي «م ص م + م ص م + م ص م». والثانية وزنها: «م ص م + م ص ص + م ص م» أما وزنها المقطعي عند علماء الأصوات فهو: «م ص م + م ص م + م ص ص» فالاختلاف إذن بين علم الأصوات، والوزنين: الصرفي والعروضي اختلاف مقطعي، ذلك أن ا لرؤية الصوتية تفرق بين أنواع المقاطع من حيث الطول والقصر، ومن حيث الاغلاق والفتح. والوزنان: الصرفي والعروضي لا يوليان ذلك اهتماما.

وقد حاولنا أن نتبيّن أثر مظاهر الموسيقي في البردة فوجدناها شيئا طريفا. واليك الجدول الذي يبرز مواطن الاتفاق والاختلاف بين الوزن العروضي والمقاطع اللغوية. والأعداد نسب مائوية(1).

مستفعلن(2)	فاعلن	مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	فاعلن	مستفعلن	فاعلن
+	+	+	+	+	+	+	+
45	28	22	53	43	36	37	
—	—	—	—	—	—	—	—
51	71	77	40	56	63	62	100

يبيّن هذا الجدول الاختلاف الواضح بين الوزن العروضي (البحر الذي اختاره الشاعر لنظم البردة)، والمقاطع اللغوية (الجانب الموسيقي كما يعكسه المقطع الصوتي في البردة)، ذلك أن المقياس (مستفعلن) شكّلت نسب اختلافه حالات تتراوح بين 51% و 77%. ونسب الاتفاق 22%، و 45%.

أما المقياس (فاعلن) فقد شكّلت نسب اختلافه حالات تتراوح بين 40% و 100%. ونسب الاتفاق 28% و 53%.

(1) لا نعتقد الأرقام بعد الفواصل.

(2) تعني العلامة (+) مواطن الاتفاق، والعلامة (—) مواطن الاختلاف.

بناء من هذا يتضح بعد الوزن العروضي عن الواقع الصوتي، لأن نسب الاختلاف بينهما أعلى بكثير من نسب الاتفاق. وعلّة ذلك أن المقطع الطويل المفتوح والمغلق هما على حد سواء عند علماء العروض. وهما غير ذلك عند علماء الأصوات، لأن المقطع المغلق يستغرق في نقطة زمنا مما يستغرقه نطق المقطع المفتوح.

2 ـــ القافية:

لقد حاول اللغويون القدامى تحديد عناصر القافية، فاختلفوا في ذلك، وذهبوا مذاهب شتى، قد يقتضي الاهتمام بها بحوثا موسعة، وفي عمل تطبيقي كهذا لا يعنينا التبسط في مختلف أوجه النظريات والآراء، وتتبع مواطن الوفاق والخلاف بقدر ما يعنينا تحديد الخطوات المنهجية التي نتمكن بمقتضاها من اكتشاف خصائص استعمالها في البردة.

فقد كان منطلقنا الأول ـــ في دراستها ـــ جهود القدامى. والمنطلق الثاني جهود المحدثين. فما هي القافية إذن في ضوء الرؤيتين؟ قال الخليل: «القافية من آخر حرف في البيت إلى أوّل ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن [علق ابن رشيق على التعريف فقال:]، والقافية ـــ على هذا المذهب وهو الصحيح ـــ تكون مرة بعض كلمة، ومرة كلمة، ومرة كلمتين[1]».

وليس ابن رشيق وحده الذي أقرّ سلامة مذهب الخليل، بل هناك من المعاصرين من انتابته الدهشة من فطنة الخليل فقال: «ولنا أنْ ندهش، لأنّ الخليل حين صاغ هذا التعريف المعقد لم يلتفت إلى فكرة المقطع. فلو التفت إليها لأصبح تعريف القافية عنده أنها المقطع الشديد الطول في آخر البيت أو المقطعان الطويلان في آخره مع ما يكون بينهما من مقاطع قصيرة[2]».

(1) ابن رشيق، العمدة، ج 1 / 151.
(2) د. شكري عياد، موسيقى الشعر العربي، ص 99.

وما دام الأمر كذلك فما القافية إلاّ عدة أصوات تكرّرت في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة[1]. فما خصائص هذه الأصوات؟ وكيف استخدمت في البردة؟.

الخصائص الصوتية:

نهتم في هذا القسم بالصوت الذي قبل الروي[2]، كما نهتم بشيوعه وانتشاره وخصائص استعمالاته من حيث الانفجار والاحتكاك، والمهمس، والمهجر، والتفخيم والترقيق، والتنويع في الصوائت.

أ ـــ الانفجار:

ورد المقطع الذي قبل الرّوى صامتا انفجاريا. والجدول يوضح أنواعه واستعمالاته:

الصوت	عدد التواتر	عدد الاستعمال بالفتح	عدد الاستعمال بالضم	عدد الاستعمال بالكسر
الدال (د)	14مرة[3]	12م	1 م	1 م
القاف (ق)	10م	4 م	3 م	3 م
الكاف (ك)	6 م	5 م	—	1 م
التاء (ت)	4 م	2 م	1 م	1 م
الطاء (ط)	3 م	—	1 م	2 م
الضاد (ض)	3 م	3 م	—	—
الهمزة (ء)	3 م	1 م	—	2 م
الباء (ب)	1 م	—	—	1 م

(1) د. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 246.
(2) هو المقطع الذي تبنى عليه الأبيات، ويراعي تكراره، ويجب أن يكون مشتركا في كل قوافي القصيدة. أنظر إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 247.
(3) نرمز لكلمة «مرة» بحرف الميم (م).

ب ـــ الاحتكاك:

ورد المقطع الذي قبل الرّوى صامتا احتكاكيا. والجدول يوضح أنواعه، واستعمالاته:

الصوت	عدد التواتر	عدد الاستعمال بالفتح	عدد الاستعمال بالضم	عدد الاستعمال بالكسر
الهاء (هـ)	11 م	4 م	1 م	6 م
السين (س)	11 م	5 م	2 م	4 م
الصاد (ص)	7 م	2 م	1 م	4 م
الحاء (ح)	6 م	3 م	1 م	2 م
العين (ع)	4 م	4 م	—	—
الزاي (ز) 4 م	—	1 م	3 م	
الشين (ش)	3 م	2 م	—	1 م
الخاء (خ)	3 م	3 م	—	—
الظاء (ظ)	3 م	2 م	—	1 م
الثاء (ث)	1 م	—	—	1 م
الفاء (ف)	1 م	1 م	—	—
الغين (غ)	1 م	1 م	—	—

ج ـــ الهمس(*):

ورد المقطع الذي قبل الرّوى صامتا مهموسا. والجدول يوضح أنوعه، واستعمالاته:

الصوت	عدد التواتر	عدد الاستعمال بالفتح	عدد الاستعمال بالضم	عدد الاستعمال بالكسر
هـ	11 م	4 م	1 م	6 م
س	11 م	5 م	2 م	4 م
ق	10 م	4 م	3 م	3 م
ص	7 م	2 م	1 م	4 م
ح	6 م	3 م	1 م	2 م
ك	6 م	5 م	—	1 م
ت	4 م	2 م	1 م	1 م
خ	3 م	3 م	—	—
ش	3 م	2 م	—	1 م
3 م	1 م	— ء	2 م	
ط	3 م	—	1 م	2 م
ف	1 م	1 م	—	—
ث	1 م	—	—	1 م

(*) اعتمدنا على كتاب الألسنية العربية لريمون طحّان ج1/ 51.

د ـــ الجهر:

ورد المقطع الذي قبل الرّوى صوتا مجهورا والجدول يوضح أنواعه، وستعمالاته:

الصوت	عدد التواتر	هدد الاستعمال بالفتح	عدد الاستعمال بالضم	عدد الاستعمال بالكسر
ر	17 م	9 م	2 م	6 م
ل	17 م	11 م	3 م	3 م
د	14 م	12 م	1 م	1 م
م	12 م	11 م	—	1 م
ج	6 م	2 م	1 م	3 م
ن	6 م	4 م	—	2 م
ع	4 م	4 م	—	—
ز	4 م	—	1 م	3 م
ض	3 م	3 م	—	—
ظ	3 م	2 م	—	1 م
ب	1 م	—	—	1 م
غ	1 م	—	—	1 م

هـ ـــ التفخيم والترقيق(٥):

ورد المقطع الذي قبل الرّوى صوتا، فخما أو صوتا مرققا. والجدول يوضح أنواعه وستعمالاته:

الصوت	عدد التواتر	عدد الاستعمال بالتفخيم	عدد الاستعمال بالترقيق
ل	17	13 م	4 م
ر	17 م	1 م	16 م
ص	7 م	7 م	—
خ	3 م	3 م	—
ض	3 م	3 م	—
ظ	3 م	3 م	—
ط	3 م	3 م	—
ق	10 م	10 م	—

من هذه الجداول يتبين لنا أن المقاطع الصوتية الواردة قبل الرّوي متنوعة، فهي انفجارية واحتكاكية، ومهموسة ومجهورة، ومفخمة ومرقّقة.

ومن ينعم النظر فيها يستنتج أنها في شكل ثنائيات متصارعة متقابلة متكاملة، ذلك أن الصوت الانفجاري يقابل الصوت الاحتكاكي، والصورة نفسها واردة مع الصوت المهموس والمجهور، والصوت المفخّم والمرقق. وأمام هذه الثنائيات السّلبية العناصر الصوتية متناقضة، مولدة القيمة الخلافية.

(٥) استفاد البحث من كتاب الأصوات اللغوية، لابراهيم أنيس، ص 64، وكتاب دروس في علم أصوات العربية، لجان كانتينو، ص 37، وكتاب الألسنية العربية لريمون طحّان، ج 1 /51 ـــ52. وقد اكتفينا بعرض النوع المفخم، والنوع الذي يكون مفخما ويأتي أحيانا مرققا.

غير أن هذا التناقض يتلاشى بالتقابل بين الثنائيات، لأن بعض الأصوات تتداخل من حيث الصفات. فالقيمة الخلافية إذن ناشئة من تصارع وحدات الثنائيات وتقابلها في المحور العمودي، وهذه العملية عنصر حركي يقابل ظاهرة الانسجام في محور السلسلة الأفقية. ومن هنا فتصارع المحوارين: وتقاطعهما كان مولدا من مولدات عنصر التوازي في البردة.

هذه بعض ملامح القافية، وقد تزداد الرؤية وضوحا بالنظر الى عيوبها — إن وجدت — وبالنظر إلى الصوائت المتنوعة قبل الروي.

أما من حيث العيوب فقد تبين لنا أن قافية البردة خالية من ذلك.
وأما من حيث الصوائب (الحركات) فهي — في البردة — ظاهرة في صورة ثنائيات متقابلة دلاليا وصوتيا، ذلك أن الفتحة تقابل الكسرة، والضمة تقابل الفتحة والكسرة تقابل الضمة.

ونهدف من وراء العمل إلى غايتين:
1 — إبراز تنوع الصوائت قبل الرّوى، وحظها من الاستعمال في البردة.
2 — تحديد عناصر القافية.

وقد أسفر الاستقراء على ضوء هذا عن ثلاث مجموعات متباينة من حيث التقابل.

أ — التقابل بين الفتحة والضمة:

(اضم، يهم)، (مصطدم، العلم)، (منسجم، صمم)، (الهرم، محتشم)، (قسم، الدسم)، (الندم، اتهم)، (مقتحم، منفصم)، (النسم، منقسم)، (احتكم، عظم)، (الرم، نهم)، (منفحم، أمم)، (بهم، الظلم)، (متسم، همم)، (مبتسم، ملتثم)، (النقم، ملتقم)، (ضرم، كلم)، (صنم، منهزم)، (عمى، أرم)، (محتلم، متهم)، (العرم، علم)، (منتظم، الشيم)، (السأم، اعتصم)، (الفهم، سقم)، (مستنم، العلم)، (مكتتم، مزدحم)، (نعم، منهدم)، (تم، مصطدم)، (الم، منعجم)، (منقصم، أجم)، (سلم، منصرم)، (محترم، ملتزم)، (الأكم، هرم)، (منتقم، القلم)، (القسم، محترم)، (منسجم، النغم):

المقاطع الصوتية الأخيرة التي تتكون منها القافية جلّها أصوات من بنية الكلمات ما عدا كلمة الثنائية (بهم، الظلم)، حيث «هم» وحدة صرفية الحقت بحرف الجرب «ب»، تدل على الجمع الغائب المذكر.

أما الصوت الذي قبل الرّوى فهو مقطع قصير (م ص) مكرر مع كل كلمات القافية. وأما الصوائب التي صاحبته فمختلفة من حيث التقابل.

ب — التقابل بين الضمة والفتحة:

(الألم، تلم)، (الكتم، اللجم)، (الحكم، العقم)، (تشم، يقم)، (اللم، الدّهم)، (تدم، حكم)، (حمم، يقم)، (الرّخم، الحرم)، (كمى، الحزم)، (الندم، تسم).

المقاطع الصوتية التي تكونت منها كلمات القافية كلّها أصوات من بنية الكلمات. والصوت الذي قبل الرّوى مقطع قصير (م ص) مكرر مع جميع كلمات القافية. أما الصوائت التي صاحبته فمختلفة من حيث التقابل.

ج — التقابل بين الكسرة والضمة:

(استقم، أصم)، (الحلم، كلّهم)، (رومى، ملتقم)، (الرسم، مغتنم)، (البهم، تجم)، (خصم، اليتم).

المقاطع الصوتية التي تكونت منها كلمات القافية جلّها أصوات من بنية الكلمات ما عدا كلمة الثانية: (الحلم، كلهم)، حيث «هم» لاحقة ألحقت بلفظة «كل»، تدل على الجمع الغائب المذكر، ومن ثمة فهي وحدة صرفية ذات دلالة.
أما الصوت الذي قبل الرّوى فهو مقطع قصير (م ص) مكرّر مع كل الكلمات وأما الصوائت التي صاحبته فقد شكلت صورة من صور التخالف، وهي التقابل بين الكسرة والضمة.

نستنتج مما تقدم أن ظاهرة التقابل والتناوب بين صوائب الثنائيات هي — إلى جانب خصائص الصوامت — مولّد من مولدات القيمة الخلافية في البردة.

أما القافية من حيث عناصرها فهي صوتية وصرفية أحيانا. وأما الميمية(*). فقد اشتملت على ما يقرب من 160 بيتا، فيها حوالي 95 بيتا رويّها مسبوق بالفتح، وحوالي 45 بيتا رويّها مسبوق بالكسرة، وحوالي 16 بيتا رويّها مسبوق بالضم. فهذا الاحصاء إذن يبيّن بوضوح أن الشعراء لم يعنوا بالتزام الصائت القصير قبل الرّوى. على أنهم فرقوا فيما يظهر بين القافية المقيدة(1)، والقافية المطلقة(2)، وفرّق معهم أيضا أهل العروض والقوافي فرأوا أن مراعاة ما يجب أن يراعي من صوات وصوائب قبل الرّوى في القافية المقيدة حسن جميل، وعابوا على من لم يراع هذا من الشعراء وسموه «سناد التوجيه»(3).

3 ـ المقاطع الصوتية(**):

لقد اختلف اللغوين المحدثون في تعريف المقطع(4). ولعلّ السب في ذلك تعدّد المذاهب. وتباعد وجهات النظر. وأيّاما كان الاختلاف، فالمقطع أصغر كتلة نطقية يمكن أن يقف عليها المتكلم(5)، وهذه الكتلة تطول وتقصر بحسب طبيعة المقطع نفسه، وبحسب النظام المقطعي للغة أيضا، لأن لكل لغة نظامها المقطعيّ المتميز. فالعربية مثلا لها خمسة أنواع(6)(***).

(*) أعني بها «البردة».
(1) «وهي الساكنة الرّوي» أنظر، الأحمدي، المتوسط الكافي، ص 376.
(2) «وهي المتحركة الرّوى»، أنظر المرجع نفسه، ص 376.
(3) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، 267.
(**) أفاد البحث في هذا القسم من جهود علماء الأصوات المحدثين: ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، وكمال بشر، علم اللغة العام، وتمام حسان، مناهج البحث في اللغة، وجان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، وماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار، وعبد الصابور شاهين، في علم اللغة العام، وأحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي... وغيرهم.
(4) يقابل المصطلح الفرنسي (Syllabe).
(5) د. أحمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي، ص 21.
(6) لقد أضاف تمام حسان مقطعا سادسا مكوّنا من صائت قصير + هامت، وهو مقطع قرين همزة الوصل. لكن في الواقع هذا المقطع افتراضيّ لا وجود له في العربية الفصحى، أنظر كتابه، مناهج البحث في اللغة، ص 145.
(***) نرمز للصامت (consonne)، بحرف الميم (م) مقابل الرمز الفرنسي (c). وللصائت (voyolle) بحرف الصاد (ص)، مقابل الرمز الفرنسي (v). وللصائت الطويل بحرفين (ص، ص) مقابل الرمز الفرنسي (vv). وبناء على هذا يكون رمز المقطع الأول، (م ، ص) مقابل (cv). والمقطع الثاني (م ص ص) مقابل (cvv). والمقطع الثالث (م ص م) مقابل (cvc)، والمقطع الخامس (م ص م م) مقابل (cvcc).

1 ـ المقطع الأول ـ وهو مقطع قصير يتكون من صامت + صائت قصير نحو: واو العطف والكاف «ك» من الفعل كتب.

2 ـ المقطع الثاني ـ وهو مقطع طويل يتكون من صامت + صائت طويل نحو: «لا»، و «ما» النافتين.

3 ـ المقطع الثالث ـ وهو مقطع طويل يتكون من صامت + صائت قصير + صامت نحو: «لن»، و «لم».

4 ـ المقطع الرابع ـ وهو مقطع مغرق في الطول، يتكون من صامت + صائت طويل + صامت نحو: «قال»، ويباع بالوقف.

5 ـ المقطع الخاس ـ وهو مقطع مغرق في الطول، يتكون من صامت + صائت قصير + صامت + صامت، نحو: بحر وفقر بتسكين الراء.

أكثر هذه المقاطع شيوعا في العربية النوع الأوّل، والثاني، والثالث، أما النوعان الأخيران فقليلا الشيوع، ولا يكونان ـ في الغالب ـ إلاّ في أواخر الكلمات وعند الوقف.

والمقاطع في اللغة العربية إما قصيرة، وإما طويلة، وإما مغرقة في الطول. وتجمل في نوعين:

أ ـ المقاطع المفتوحة (syllabes ouvertes) وهي التي تنتهي بصائت.
ب ـ المقاطع المغلقة (sy llabes Fermées) وهي التي تنتهي بصامت.

ولما كانت الكلمات في اللغة العربية تتكون من مقاطع مفتوحة، أو مغلقة، وكان المقطع المغلق يستغرق في نقطة زمنا أقل مما يستغرقه نطق المقطع المفتوح، فان توفيق الأديب يكون في كيفية استغلال هذه الوسيلةالصوتية، واختيار المقطع المناسب للمقام الملائم. وأنظر قول الناظم:

أم هبّت الريح من تلقاء كاظمة ... وأومض البرق في الظلماء من إضم(238)
مثل الغمامة أني سار سائرة ... تقيه حرّ وطين للهجير حمي(243)
كأنهم هربا أبطال أبرهة ... أو عسكر بالحصى من راحتيه رمي(243)

ففي شطر البيت الأول صوّرت المقاطع الطويلة المفتوحة: «ري، وقا، وكا» صوت الريح. وما ساعدها على إبراز ذلك وجود الصوامت: «الهمزة، والميم، والهاء، والباء المشدّدة، والتاء، والراء الشمدّدة، والحاء».

أما في عجزه فاضطراب الصوائت القصيرة، وانتقالها من الفتحة إلى الكسرة الفتحة (— — ، —)، ووجود المقاطع الطويلة المغلقة «أو، ضل، بر، قط، ظل، من». كل هذا قد صوّر تصويرا حسيّا وميض البرق، واضطراب الحركة.

وفي البيت الثاني المقاطع الطويلة المفتوحةِ (ما، ني، سا، سا، قي، طي، جي، مي) ارتبطت بالمسافة البعيدة، وطول السير، والأناء، فانسجمت مع الدّلالة، وتحققت الصلة الطبيعية بين المد الصوتي وطول المسافة والسير.

أما مقاطع عجز البيت الثالث (صى، را، مي) فصورت المعنى أحسن تصوير. والمقطع في البردة متنوع المعاني، ومما دلّ عليه أيضا قوله:

وقاية الصب أن الحب منكتم — من الدروع وعن عال من الأطم(243)
أيحسب الصب أن الحب منكتم — ما بين منسجم منه ومضطرم(238)
محمد سيد الكونين والثقليـ — ـن والفريقين من عرب ومن عجم(240)

ففي البيت الأول المقاطع الطويلة المفتوحة (قا، لا، ضا، رو، عا) قد صوّرت الكثرة وشدة الارتفاع.

وفي البيت الثاني المقاطع الطويلة المغلقة (يح، بص، صب، أن، نل، حب، هن، من، بي، من، من، هن، مض) تحكي صوت احتدام النار. ومما ساعد على ابراز هذا الصوت وجود الصيغ: منكتم، منسجم، مضطرم، أما وفرة مقاطع البيت الأخير (حم، دن، سي، دل، كو، ني، وث، لي، ول، قي، من، عر، بن، من) وتكرار المثنى بالياء (الكونين، الثقلين، الفريقين) فقد جعلت البيت ثقيلا على السمع حتى ليخيل للقارىء انه غير موزون.

وشبيه بهذا أو قريب منه قوله:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد — وينكر الفم طعم الماء من سقم(245)
كالشمس تظهر للعينين من بعد — صغيرة وتكل الطرف من أمم(241)
أقسمت بالقمر المنشق إن لـه — من قلبه نسبة مبرورة القسم(243)
فالدر يزداد حسنا وهو منتظم — وليس ينقص قدرا غير منتظم(244)

فوفرة المقاطع الطويلة المغلقة في هذه الأبيات مرتبطة بالمحسوسات وهي سمة من سمات النظم في البردة، لأن الناظم في الأمثلة كلّها استخدم المحسوس لوصف شخصية الرسول ﷺ. فقد اختار من عناصر الطبيعة والانسان ما يلائم رسالته، لتنزيلها منزلة المدركات والمحسوسات، ذلك أن الرسول ﷺ في البيت الأول حقيقة كطعم الماء وضوء الشمس، وهو في البيت الثاني كالشمس. وفي البيت الثالث انشقاق قلبه كانشقاق القمر، وفي البيت الرابع جماله المطلق كحسن اللؤلؤ.

الكلام عن المقطع الصوتي يطول، ولو شئنا أن نتتبع الاستخدام الفني له لأتينا بأمثلة كثيرة تدل على ما بيّناه. غير أننا نجتزى بهذا القليل، ولعله يكفي في البرهنة على أنها سرّ من أسرار النظم في البردة.

4 — التوصيع(*):

الترصيع هو «أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد من التصويت»(1). أو «هو أن يكون حشو البيت مسجوعا... وأصله من قولهم — رصعت العقد — إذا فصلته»(2). والترصيع في الشعر كالسجع في النثر، وهو من حيث الوزن والرّوى ثلاثة أقسام(3): المتوازي، المطرف، المتوازن. وقد تقلّبت هذه التسميات تقلّبات كثيرة من حيث الحد، ومن حيث الزيادة والنقصان في بعض أقسامها حتى استقر

(*) قدامة، نقد الشعر، ص 80. وأبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص 416.
(1) أنظر قدامة، نقد الشعر، ص 80. وابن رشيق، العمدة، ج 26/2.
(2) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 416.
(3) أنظر الزركشي، البرهان، ج75/1. ويحي بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، ج 18/3 — 19. وعبد الفتاح لا شين، الفاصلة في القرآن، ص 19.

بها الحال على هذه الصورة. وقد أدرك القدامى قيمة السجع الفنية وأثره في النفوس. فالجاحظ في كتابه، «البيان والتبيين»، يروي أنه «قيل لعبد الصمد بن الفضل ابن عيسى الرقاشي لم تؤثر السجع على المنثور، وتلزم نفسك القوافي واقامة الوزن؟ قال: إن كلامي لو كنت لا آمل فيه الاسماع الشاهد لقلّ خلافي عليك، ولكني أريد الغائب والحاضر والراهن والغابر فالحفظ إليه أسرع، والآذان لسماعه أنشط وهو أحق بالتقييد[1].

وصاحب البردة من الشعراء الذين أحّسوا بفعالية هذه الوسيلة الصوتية البلاغية، وما لها من تأثير قوي في نفوس السامعين سواء أكانوا حاضرين أم كانوا غائبين، فاستخدمها استخدام العارف بأسرارها، فشملت تجربته الشعرية الرائعة الأقسام الثلاثة[2]: المتوازي، المطرف، المتوازن:

أ ــ المتوازي(*):

التوازي بمفهومه البلاغي سمة واضحة من سمات أسلوب البردة فهو بما يحمله من خصائص صوتية وبلاغية قد أثرى التعبير بنغمات نفسية أخاذة، وإيقاع، يعطي النفس متعة فنيّة مؤثرة تبعث في الفؤاد السكينة والطمأنينة. ومن أحسن الأبيات التي عبّرت عن ذلك:

وكلهم من رسول الله ملتمس ... غرفا من البحر أو رشفا من الديم(241)
كالزهر في ترف والبدر في شرف ... والبحر في كرم والدّهر في همم(242)
أبان مولده عن طيب عنصره ... يا طيب مبتدإ منه ومختم(242)
من كلّ منتدب لله محتسب ... يسطو بمستأصل للكفر مصطلم(246)
ومن هو الآية الكبرى لمعتبر ... ومن هو النعم العظمى لمغتنم(245)

---

(1) ج 287/1.
(2) عند الوصف تلغي علامات الاعراب، ويعتمد الوقف.
(*) المتوازي من أشرف الأنواع، وهو أن تتفق فيه الكلمات في الوزن والروي. أنظر: الزركشي، البرهان، ج 75/1. ويحي العلمي، الطراز، ج 18/3.

دامت لدينا ففافت كل معجزة ... من النبيين إذ جاءت ولم تدم(244)
أيحسب الصب أن الحب منكتم ... ما بين منسجم منه ومضطرم(238)
عدتك حالي لا سرّي بمستتر ... عن الوشاة ولا داي بمنحسم(239)
يارب واجعل رجائي غير منعكس ... لديك واجعل حسابي غير منخرم(248)
إن آت ذنبا فما عهدي بمنتقض ... من النبي ولا حبلي بمنصرم(248)

المطابقة بين كلمات القرائن:

غرف / رشف: م ص م م // م ص م م
زهر / بدر: م ص م م // م ص م م
مولده / عنصره: م ص م + م ص + م صم // م ص م + م ص + م ص م.
منتدب / محتسب: م ص م + م ص + م ص م // م ص م + م ص + م ص م.
كبرى / عظمى: م ص م + م ص ص // م ص م + م ص ص.
دامت / فاتت / جاءت: م ص ص + م ص م // م ص ص + م ص م // م ص صم + م ص م.
صب / حب: م ص م // م ص م.
منكتم / منسجم: م ص م + م ص + م ص م // م ص م + م ص + م ص م.
حالي / دائي: م ص ص + م ص ص // م ص ص + م ص ص.
رجائي / حسابي: م ص + م ص ص + م ص ص // م ص + م ص ص + م ص ص.
عهدي / حبلي: م ص م + م ص ص // م ص م + م ص ص.

ما يميز في التوازي في هذا الاستعمال هو تعادل كلمات القرائن في الوزن، وتوافق نهاياتها في المقطع الأخير. فالمقاطع متنوعة من حيث الاستخدام بين الطويلة المفتوحة، والطويلة المغلقة، والمفرقة، في الطول. وأما من حيث صفاتها فمنها: الاحتكاكي والانفجاري، ومنها ما هو لا احتكاكي ولا انفجاري.

ولئن كانت المقاطع ذات الصفة الاحتكاكية قد شكلت النسبة العالية فذلك راجع الى طبيعة الموضوع ــ وهو التنويه بأصل الرسول ﷺ وعظمة شخصيته ــ الذي اقتضى هذا الصوت العذب السلس ليتماشى مع المعاني وسياق المقام.

ومن الظواهر الأسلوبية الطريفة في هذه الأمثلة وجود الأزدواج في البيتين: الثاني، والخامس.

- «زهر / بدر».
- «ترف / شرف».
- «كبرى / عظمى».
- «آية / نعمة».

هذه الظاهرة تسمّى عند القدامى: «سجع في لفظين لفظين[1]» أو «سجع في سجع[2]» وهي إن سلمت من الاستكراه ــ ويبدو أن صاحب البردة قد أحسن استخدامها ــ تعد أحسن وجوه السجع[3] ومن أقسامه الأخرى التي تفنن فيها الناظم المطرف.

ب ــ المطرف(*):

من طرائف الاستعمال، وبراعة النظم والافتنان، استخدام أسلوب التطريف، وهو وسيلة من الوسائل البلاغية، تنشط المتلقي، وتبعث فيه المتعة الفنية. ذلك أن تكسير رتابة الايقاع، ونقل السامع من حالة الى أخرى دون الشعور بالسأم والضجر هي سمة من سمات النظم في البردة. فإذا كانت كلمات القرائن متفقة في الوزن والرّوى في أسلوب التوازي، فإن الوضع يختلف مع التطريف، لأن الناظم يعدل عن الوزن ويكتفي بالرّوي فقط. وفي هذا شدّ للانتباه، وربط للقاريء ــ أو المتلقي ــ بالرسالة. فالتطريف له من الحسن والأهمية ما لفن التوازي، فهو ــ إلى جانب ما ذكرنا ــ يضفي على الموسيقى لحنا عذبا، ونغما موحيا مؤثرا. فأدبيه[4]، البردة مدينة له بقسط وافر. ومن

(1) نقد الشعر، ج 76/1.
(2) أبو هلال العسكري، الصناعين، ص 288.
(3) المصدر نفسه، ص 288.
(*) هو أن تتفق فيه كلمتا القرينتين في الرّوي، لا في الوزن أنظر الزركشي البرهن، ج76/1.
(4) يقابل (poétique)، وهي عند ياكبسون إحدى الوظائف اللغوية التي تتحدد من خلالها قيمة الرسالة (Message). كإبداع فني. أنظر: Dubois et autres Dictionnaire de linguistiaue (poétique).

استعمالاته وسرّ نظامه هذه الأمثلة:

نعم سري طيف من أهوى فأرقني ... والحب يعترض اللذات بالألم(239)
واخشر الدساس من جوع ومن شبع ... فرب مخمصة شر من التخم(240)
محمد سيد الكونين والثقليـ ... ـن والفريقين من عرب ومن عجم(420)
فهو الذي تم معناه وصورته ... ثم اصطفاه حبيبا بارىء النسم(241)
لو ناسب قدره آياته عظما ... أحيا اسمه حين يدعي دارس الرم(241)
فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وانه خير خلق الله كلّهم(242)
لم تقترن بزمان وهي تخبرنا ... عن المعاد وعن عاد وعن إرم(244)
ومن تكن برسول الله نصرته ... إن تلقه الأسد في، آجامها تجم(247)
فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم(248)

اتفاق كلمات القرائن في الروي دون الوزن:

سرى / أهوى: م ص + م ص ص // م ص م + م ص ص.
جوع / شبع: م ص ص م // م ص + م ص م.
كونين /ثقلين / فريقين: م ص م + ص م م // م ص + م ص + م ص م م // م ص + م ص ص + م ص م م.
معناه / اصطفاه(*): م ص م + م ص ص م // م ص + م ص ص + م ص م .
قدره / اسمه: م ص م + م ص م // م ص + م ص م.
بشر / خير: م ص + م ص م // م ص م م.
معاد / عاد: م ص + م ص ص م // م ص ص م.
نصرته / تلقه: م ص م + م ص + م ص م // م ص ص م.
جودك / علومك: م ص ص + م ص م // م ص + م ص ص + م ص م.

كلمات القرائن متفقة في الرّوى، مختلفة في الوزن. والوزن متسع لأنواع المقاطع كلها:(م ص، و م ص ص ، و م ص م، و م ص ص م، وم ص م م). وهذا يحصل مع جنس التوازي.

(*) لا تعتمد همزة الوصل، وإنما الصوت الذي قبلها.

أما الرّوى فمتنوّع الاستخدام من حيث الصوت، ذلك أنه ورد صامتا (ع، ن، هـ، د، ك)، وشبه صائت (ن، ر)، وصائتا طويلا (الياي). وأما من حيث صفاته فمنه الانفجاري: (ك، د)، ومنه الاحتكاكي: (هـ، ع)، ومنه المهموس: (هـ، ك)، ومنه المجهور: (ع، ر، د).

هذا السّر في استخدام الوزن والرّوى — هو لا شك — الخصوصية الصوتية والدلالية التي ميّزت ظاهرة التطريف في البردة.

وإذا كان التطريف عدولا عن الوزن فإن هناك جنسا آخر يعدل عن الروي دون الوزن، وهو في اصطلاح البلاغيين «المتوازن».

ج — المتوازن(*):

التوازن بمفهومه البلاغي قسم من أقسام الترصيع، ضبط صاحب البردة استخدامه، فحقّق به التنوع الايقاعي. ذلك أنه إذا كان التوازي توافق أعجاز القرائن في الوزن والرّوى، وإذا كان التطريف اتفاقا في الرّوى دون الوزن، فإن التوازن اتفاق في الوزن دون الرّوى.

فالمراوحة إذن بين هذه الضروب — إذا سلمت من الاستكراه — تنشيء عنصر المفاجأة، وتوقظ النفس، وتحرك المشاعر، لأن الانتقال من التوازي الى التطريف إلى التوازن — أو العكس — أقرب إلى النفس والذوق من الرتابة الايقاعية لترديد الصوت الواحد. ومن روائع استعمالاته هذه الأبيات:

بعارض جاد أو خلت البطاح بها — سيب من اليم أو سيل من العرم(244)
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد — وينكر الفمّ طعم الماء من سقم(245)
فحزت كل فخار غير مشترك — وجزت كل مقام غير مزدحم(246)
وجل مقدار ما وليت من رتب — وعز إدراك ما أوليت من نعم(246)
أكرم بخلق نبيّ زانه خلق — بالحسن مشتمل بالبشر متسم(242)
أعيا الورى فهم معناه فليس يرى — في القرب والبعد فيه غير منفحم(241)

(*) هو «أن يراعي في مقاطع الكلام الوزن». أنظر الزركشي، البرهان، ج 76/1. ويحي العلون، الطراز، ج 19/3.

المطابقة في الوزن.

سيب // سيل: م ص م م // م ص م م.
ضوء // طعم: م ص م م // م ص م م.
فخار // مقام: م ص + م ص ص م // م ص + م ص ص م.
مقدار // إدراك: م ص م + م ص ص م // م ص م + م ص ص م.
جل // عز: م ص م // م ص م.
حسن // بشر: م ص م م // م ص م م.
بعد // قرب: م ص م م // م ص م م.
ورى // يرى: م ص + م ص ص // م ص + م ص ص.

الأجناس البلاغية في هذه الأمثلة متداخلة، فالتوازن والتوازي في: (حزت، وجزت)، و (ورى، يرى). والتطريف في: (خلف، وخلق). وكلمات: (حزت، جزت)، (يرى، ورى)، خلق، خلق) ثنائيات مرتبطة بدلالات مهمة(1).

هذا التداخل بين أجناس الترصيع، وبين الجناس والترصيع مسخّر في الغالب لوصف شخصية الرسول ﷺ، وصفاته المطلقة، ذلك أن الرسول نال كل فخار وتعظيم غير مشترك، وولاه الله الدرجات العالية. وهو الذي زانه الحسن والبشاشة. وأعجز الخلق فهم معناه.

ومن الظواهر الصوتية الأخرى تباعد مخارج أعجاز القرائن، ووفرة المقاطع: الخامس والثالث: (م ص م م، و م ص م).

ولئن كان الصوت في هذا القسم مرتبطا بالموسيقى، ومؤديا دوره في التبليغ، والتأثير. فإن الناظم يلجأ أحيانا الى تكرار أصوات مفردة أو مجتمعة ليحدث نوعا من الانسجام الطبيعي بين الدوال والمدلولات.

ثانيا — الأصوات المكررة وعلاقتها بالمعنى تمهيد:

قضية العلاقة بين الصوت والمعنى قضية قديمة آثارها الخليل بن أحمد وتبعه سيبويه، وأقرّ لطفها والاعتراف بصحتها أبو الفتح عثمان بن جني في كتابه

(1) أنظر الجناس، ص 50 وما بعدها، من هذا الفصل.

الخصائص بقول: «أعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له، والاعتراف بصحته[1]». أما فيما يتعلق بقضيّة العلاقة بين الألفاظ والمعاني فقال: «فأما باب مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج متلئبّ عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر بها عنها، فيعدّلونها بها، ويحتذونها عليها. وذلك أكثر مما نقدّره، وأضعاف ما نستشعره[2]. وأما فيما يتعلق بقضية العلاقة بين الصوت والمعنى في اللفظة المفردة فقال: «ومن ذلك قولهم خضم وقضم، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثّاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب. والقضم للصلب اليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها. ونحو ذلك[3]». فصوت الخاء لرخاوته ناسب المأكول الرطب، والقاف لصلابته ناسب اليابس، والأمثلة المشابهة هذه الظاهرة الصوتية كثيرة نحو: «النضخ والنضح»، و «القد والقط»، و «الوسيلة والوصيلة»، ؟ «السد والصد»، و «القسم والقصم».

من الواضح أن هذه الآراء تبحث في قضية الانسجام بين الدوال والمدلولات، بحيث تنسجم الأصوات القوية مع المعاني القوية، والأصوات اللينة مع المعاني اللينة[4].

ولقيت هذه القضية من آمن بها — بعد ابن جني — إيمانا قويا. فقد ذكر السيوطي — وهو من ا لمتأخرين — في المسألة العاشرة في كتابه: المزهر في علوم اللغة أن عباد بن سليمان الصميري — وهو من المعتزلة — ذهب إلى أن بين الدال والمدلول مناسبة طبيعية[5]. وهي القضية نفسها التي ذهب إليها علماء العربية القدامى وأكدها السيوطي فقال: «وأما أهل اللغة والعربية فقد كادوا يطبقون على ثبون المناسبة بين الألفاظ والمعاني[6]. غير أن هناك من أنكر الصلة بين الدوال والمدلولات، وهو عبد القاهر الجرجاني الذي نفي أن تكون

(1) ج 152/2.
(2) المصدر نفسه، ص 157.
(3) المصدر نفسه، ص 157.
(4) أنظر محمد المبارك، فقه اللغة، ص 102—103، وصبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص 150—151، وإبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 43.
(5) ج 47/1.
(6) المزهر في علوم اللغة، ج 47/1.

لنظم الأصوات وتواليها أمر عقلي ذلك أن «نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه، فلو أن واضع اللغة كان قد قال «ربض» مكان ضرب لما كان ذلك ما يؤدي إلى فساد[1]».

والقضية هذه كما شغلت أذهان علماء اللغة العربية شغلت أيضا أذهان بعض اللغويين المحدثين وبالأخص أولئك الذين استهوتهم بنية الصوت ودلالته، فكانوا لها بين متحمس ورافض. أما الذين تحمّسوا — وهم من الأوروبيين — فإنهم ظلوا ينتصرون لفكرة الصلة العقلية بين الأصوات والمدلولات. فاللغوي المشهور هبلت Huinbolt (ت 1835) يقول في هذا الصدد: «اتخذت اللغة للتعبير عن الأشياء طريق الأصوات التي توحي إلى الأذان بنفسها أو بمقارنتها بغيرها أثرا مماثلا لذلك الذي توحيه تلك الأشياء الى العقول[2]». ومن العرب من ناصر هذه القضية، ودعا إلى متابعة التحري والبحث فيها. اللغوي محمد المبارك الذي يقول: «لا شك أن في اللغة العربية خصيصة تبهر الناظرين وتلفت الباحثين، وهي تقابل الأصوات والمعاني في تركيب الألفاظ وأثر الحروف في تقوية المعنى أو إضعافه والانسجام بين أصوات الحروف التي تركّبت منها الألفاظ ودلالاتها[3]». فعلاقة الصوت بالمعنى إذن طريق ينبغي أن يشق، لأن ذلك سيؤدي إلى نتائج عظيمة في تاريخ الكلم العربي[4]. وهي عند صبحي الصالح فتح مبين في فقه اللغات عامة[5]. وقد اختصت اللغة العربية بهذا الموضع الشريف اللطيف دون اللغات الكبرى، لأننا «لا نعرف بين [هذه اللغات] أصلح من لغتنا العربية لهذا الباب من أبواب الدراسة اللغوية[6]».

(1) دلائل الاعجاز، ص 40.
(2) إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص 143.
(3) فقه اللغة، ص 105.
(4) المرجع نفسه، ص 105.
(5) دراسات في فقه اللغة، ص 151.
(6) عباس محمود العقاد، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، ص 49.

هذا الفن من الدراسة اللغوية لم يعد كلاما فلسفيا نظريا — كما يظن البعض — وإنما أصبح شيئا تطبقيا، يستنتج من خلال النصوص الأدبية بعدها عناصر حيّة تتفاعل فيها الظواهر الصوتية، والصرفية والنحوية، ذلك أن الصوت حينما يتردد في نص أدبي — إن لم يكن مبالغا فيه — يكون مرتبطا في الغالب بعاطفة الأديب من حيث قوتها وضعفها. واستمع مثلا لقول المتنبي:

ومن عرف الأيام معرفتي بها ... روي رمحه غير راحم

فترديد الراء ثلاث مرات في قوله: «روي رمحه غير راحم» قد جاء عاكسا لصفات الحقد والانتقام والقسوة، فقوي الانطباق على وخزة الرمح الذي أراد الناظم أن يغرسه بقسوة في جسم عدوه[1].

أو قول الشاعر:

وتسخن ليلة لا يستطي نباحا بها الكلب إلا هريرا
وتبرد برد رداء العروس في الصيف رقرقت فيه العبيرا

فترديد الراء والدال في هذا المثل اتصل اتصالا وثيقا بمعنى «البرد» فصارت العلاقة بين الدال والمدلول أمتن وأوضح[2]. وشبيه بهذا قوله تعالى: «يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة. قلوب يومئذ واجفة». فترديد الأصوات في هذه الآية يصور «الرجفة» أحسن تصوير[3].

ومن هذا تتضح أهمية الأصوات في دراسة النص الأدبي، وهو نهج اتبعه الكثير من اللغويين الذين استفادوا من اللسانيات عموما، ونتائج علم الأصوات خصوصا.

وأما من اللغويين المحدين الذين أعرضوا عن مناسبة الدوال للمدلولات واحتجوا على فسادها اللغوي Modving (ت 1842) الذي أورد مئات

(1) د. محمد النويهي، الشعر الجاهلي: منهج في دراسته ونقده، ج1/ ص 65—66.
(2) محمد عجينة، الألسنية والنص الشعري (تقرير مقدم للملتقى الدولي حول التحليل اللساني للنصوص)، ص 13.
(3) محمود أحمد نحلة، لغة القرآ، ص 348.

من كلمات الفصيلة الهندية الأوروبية، تناظر في معناها تلك الكلمات التي استدل بها همبلت [وهو من المدافعين] وتخالفها في الأصوات[1].

واللغوي فردیند دي سوسير — رائد اللسانيات في أوائل القرن العشرين — الذي أوضح أن العلاقة الطبيعية بين الدوال والمدلولات اعتباطية Arbitraire. غير أنه استثنى قضية الأسماء الطبيعية onomatopées التي بدت له بأنها ليست دائما اعتباطية[2].

وكادت الدراسات اللغوية بعد نظرية سوسير تسير في خط مستقيم. فلو استثنينا بعض المحاولات التي استفادت من التراث اللغوي القديم، واللسانيات — وهي في الواقع قليلة لا تطفيء ظمأ — لقلنا: كأن أبواب الاجتهاد في قضية العلاقة بين الدال والمدلول قد توقفت عند سوسير ومع سوسير، ذلك أن أغلب المحاولات التي جاءت بعده، إما شرح وترديد لما قاله، وإما إضافات وتنقيحات، تدعم الفكرة وتثبت صحتها.

وقضية الصوت والمعنى هي القضية التي سنحاول تلّمس أثرها من خلال «البردة»، وهي قضية صعبة لأن «العلاقة بين المعنى والصوت ليست علاقة مباشرة، بل تخضع لقواعد اللغة، وقواعد اللغة من التعقيد بحيث لا تجعل أمر استخلاص المعنى من الصوت أمرا سهلا»[3]. فدراسة معنى الصوت — إذن — شاقة[4]. لذلك وجب على الباحث في هذا الباب، وغيره من الدراسة اللغوية أن يكون حذرا ملما بقضايا علم الأصوات، لأن ما يتكرر من الأصوات في بعض النصوص الأدبية غالبا ما يكون ذا قيمة فنية وإبداعية، سواء أقصد الناظم ذلك أم لم يقصد. فربط الصوت المكرر بالمعنى من خلال بيت شعري أو جملة أو عبارة، هو أمر جدير بالاهتمام والدراسة، لأن ذلك له علاقة وطيدة

(1) د. ابراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص 144.
(2) أنظر: 102 — 100 cours de linquistique.
(3) د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة (سلسلة عالم المعرفة)، ص 79.
(4) تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص 45.

بالصناعة الأدبية وموسيقى الشعر. غير أنه يوصي الدارس بالتزام البعد عن الأفراط التوهم ومحاولة إيجاد علاقات مبتسرة، لاتمت بصلة إلى الموضوعية، وروح العلم الذي هو غاية كلّ باحث.

1 ـــ تكرار الصوت بعينة:

أ ـــ الصوت الانفجاري:

بدت الصوامت الانفجارية ـــ في البردة ـــ من حيث الشيوع، والتكرار من الأصوات التي تحقّق في جلّها عنصر الانطباق الدّلالي. ومن أحسن الصوامت المعبرة عن هذه الظاهرة اللغوية الأبيات الآتية:

ومبعدما عاينوا في الأفق من شهب ... منقضة وفق ماض الأرض من ضم(243)

أقسمت بالقمر المنشق إن له ... من قلبه نسبة مبرورة القسم(243)

تردد في البيت الأول كل من القاف والفاء ثلاث مرات، وهما صامتان انفجاريان قد صورا السرعة والسقوط بقوة، وساعدهما على نسج هذه الدلالة الطبيعية الصيغة «منقضة»، والهمزة، والباء، والتاء، وكلها صوامت انفجارية.

أما في البيت الثاني فتكرير القاف خمس مرات في: «أقمست، القمر، المنشق، -قلب، القسم»، ووجود الصوامت الانفجارية: «الباء، والتاء، والهمزة». كل هذا قد صور تصويرا حسّيا صوت الشق فانسجمت الأصوات مع المعاني، علما بأن القاف هنا قد ولّد موسيقى قوية وعنيفة.

ومثل هذا أو قريب منه يمكن أن يلحظ في قوله:

وأنت تخترق السبع الطباق بهم ... في موكب كنت فيه صاحب العلم(245)

ردت بلاغتها دعوى معارضها ... رد الغيور يد الجاني عن الحرم(244)

ففي البيت الأوّل اتّصلت الصوامت الانفجارية: «التاء، والباء، والطاء، والقاف، والهمزة» اتصالا وثيقا بمعنى الخرق. وساعد على ابراز هذه الدلالة صيغة «تخترق» وفي البيت الثاني صور الصامت الانفجاري «الدال» قوة التصدي للمعارضين.

وبعد نكتفي بهذه الأمثلة الدالة على أثر الصوت في المعنى، وهي قليل من كثير.

ب ـــ الصوامت الاحتكاكية:

تستخدم الصوات الاحتكاكية ـــ في البردة ـــ استخداما رائعا، فهي بصفاتها الصوتية الخاصة تصوّر المعاني تصويرا حسيا وتضفي عليه جرسا موسيقيا موحيا مؤثرا.

ومن الأبيات الدالة على ذلك:

ما رنحت عذبات البان ريح صبا ... وأطرب العيس حادي العيس بالنغم(249)

واخش الدساس من جوع ومن شبع ... فرب مخمصة شر من التخم(240)

نشأ في البيت الأوّل من تكرار العين والحاء، ووجود الذال، والصاد والسين ـــ وهي صوامت احتكاكية ـــ نوع من الحركة والطرب، ذلك أن هذه الأصوات بما تمتاز به من صفات كأن: «يضيق مجري الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكا مسموعا[1] ونوعا من الخفيف[2]، قد ارتبطت ارتباطا حسّيا بمعنى الحركة والطرب، والألحان العذبة والنغم، وأضفت على السياق طعما متميزا يستعذ به التذوق، ويتوق إليه الاحساس المرهف.

أما البيت الثاني فقد تكرر فيه كل من الخاء والشين ثلاث مرات في: «واخش، شبع، مخمصة، شر، تخم»، والخاء صامت احتكاكي مهموس يرتفع أقصى اللسان حال النطق، به، ويكاد يلتصق بأقصى الحنك، بحيث يكون هناك فراغ ضيق يسمح للهواء بالنفاذ[3]. قد صوّر فساد الطعام في المعدة ـــ بإحداث نوعا من الخشخشة ـــ وما ينجم عن ذلك من كسل وارتخاء، فإذا علمنا

(1) د. كمال بشر، علم اللغة العام / الأصوات، ص 118.
(2) ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 24.
(3) المرجع السابق، ص 121.

أن الرخاوة صفة من صفات الخاء والشين قلنا: في هذا المثل تكسر مبدأ الاعتباط، وتحقق بدله مبدأ الانسجام بين الدوال والمدلولات، وقد يلجأ الناظم الى تصوير هذه المعاني بأصوات أخرى، وانظر قوله:

دعـا الى اللـه فالمستمسكـون بـه   كشمل أصحاب كسرى غير منفصم(241)

وبات إيوان كسرى وهو منصدع   كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم(242)

والنفس كالطفل إن تهمله شب على   حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم(239)

فتكرار اللفظين في البيت الأول ـــ «فالمستمسكون، ومستمسكون» مرتين، وتكرار السين والكاف وما صاحبهما من صوامت احتكاكية (العين، والهاء، والخاء والغين، والصاد) جعل النطق بالكلمتين صعبا، يوحي بأحكام الفعل وشدته. وفي البيت الثاني ارتبطت الصوامت الاحتكاكية: (الصاد، والعين، والسين) ارتباطا وثيقا بقوة الصّدع. ومما قوى الصلة بين الأصوات والمعنى الصيغة (منصدع).

أما البيت الثالث فقد صوّر تكرار الفاء وما صاحبه من صوامت احتكاكية (السين، والشين، والهاء، والعين، والخاء) معنى الليونة والطوعية، وهي صفات أليق بالمقام من حيث انسجام الرخو مع معنى الطّوع.

ج ـــ الصوامت الانفجارية ـــ الاحتكاكية:

إذا نظرنا إلى الصوت المكرر بعينه ـــ في البردة ـــ لاحظنا أن الجيم تستعمل ببراءة وفطنة حادتين، وأنظر قوله:

من لي بـرد جماح مـن غـوايتها   كما يرد جماح الخيـل باللجـم(239)

فتكرار الجيم ثلاث مرات في: «جماح، جماح، الخيل، اللجم» مرتبط بمعنى الامتناع، وتكرار اللفظين: «جماح» مرتين مرتبط بموسيقى عذبة موحية مؤثرة وشبيه بهذا أو قريب منه.

جـاءت لدعوتـه الأشجـار ساجـدة   تمشي اليه على ساق بلا قـدم(243)

فالجيم ـــ وهو صامت احتكاكي انفجاري ـــ مرتبط بمعنى الخضوع والطاعة. وقد أبرز هذا الارتباط وجود الصيغة «ساجدة».

د ـــ الصوامت المكررة «الراء».

يكثر في البردة استخدام المكرر ـــ الراء ـــ ولا شك أن ما يمتاز به هذا الصامت من خصائص صوتية كأن «تتكرر ضربات اللسان على اللثة تكرارا سريعا»(1). قد انسجمت انسجاما وثيقا بالمعنى، وأنظر قوله:

وكلهـم مـن رسول الله ملتـمس   غرفا من البحر أو رشفا من الديم(241)

يجر بحر خميس فـــوق سابحة   يرمي بموج من الأبطال ملتطم(246)

فتكرار الراء في عجز البيت الأول ثلاث مرات في: «غرفا، وبحر، ورشفا» مرتبط بصوت الماء.

وتكرار الراء في البيت الثاني ثلاث مرات في: «يجر، وبحر، ويرمي» متصل اتصالا وثيقا بمعنى الجذب والسحب بشدة وقوة. فانسجمت الأصوات مع المعاني. وقد يدل الراء بصفته الجوهرية ـــ وهي التكرير ـــ على معنى التتابع والتوالي:

سريت مـن حرم ليـلا الى حـرم   كما سرى البدر في داج من الظلـم

وبت تـرق الى أن نـلت منزلـة   من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم(245)

فترديد «الراء» في هذا المثل ثماني مرات في: «سريت، (حرم + حرم)، سرى، يدري، ترق، تدرك، ترم» متصل بالحركة والتتابع، مه ذلك الانتقال من مكة الى المسجد الأقصى، إلى السموات العلى.

هـ الصوامت المنحرفة:

يؤدي الصامت المنحرف ـــ اللام ـــ دورا بارزا، فيتحد بالدّلالة ويضفي على البيت الشعري يقاعا متميزا. ومن أحسن الاستعمالات التي تجسد ذلك:

(1) د. كمال بشر، علم اللغة العام، ص 129.

كم حسنت لـــذة للمـــرء قاتلـــه   من حيث لم يدر أن السم في الدسم(240)

إن لم يكن في معادي آخذا بيـدي   فضلا وإلا فقل يازلة القـدم(248)

فتكرير الصامت المنحرف ـــ اللام ـــ في البيت الأول، وهو «يتكون بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا مع اللثة، بحيث توجد عقبة في وسط الفم، تمنع مرور الهواء منه، ولكن مع ترك منفذ لهذا الهواء من جانبي الفم أو أحدهما(1)» متصل بمعنى الانحراف الذي يبدو حسيا. غير أنه معنوي، لأن النفس تقتل المرء من حيث لا يدري. ومما قوّى هذا الزعم وجود الصوامت المدغمة: «السين، والذال، والنون، والدال، والميم»، فهي بأقصى ما وصلت إليه من تأثر بما جاورها حتى الفناء، والى عدّها أصواتا دالة على صوت واحد، قد جسّدت تجسيدا رائعا ظاهرة اختفاء السم عند امتزاجه بالدسم على طريقة اختفاء الأصوات المدغمة عند الأدغام، فانسجم الصامت المنحرف مع معنى الانحراف، وغدا التكرار ضربا من التفنن العجيب، لأنه في هذا البيت «كمثل الموسيقى حيت تتردد فيها أنغام بعينها في مواضع خاصة من اللحن، فيزيدها هذا التردد جمالا وحسنا(2)».

أما ترديد اللام بوفرة في عجز البيت الثاني في: «فضلا، والا فقل بازالة القدم» فقد اتصل اتصالا وثيقا بالانحراف من حيث زلّة القدم هي انحراف عن الصواب أو عن الحق. فانسجمت الأصوات مع المعنى، وتحقق الرابط الطبيعي بينهما. وقد يأتي الصوت لمجرد التكرار، فينتج عنه ثقل. وأنظر قوله:

كم جدّلت كلمات الله من جـدل   فيه وكم خصم البرهان من خصم(244)

فالثقل ناتج عن تكرار اللام في صدر البيت.

و ـــ أشباه الصوائت(*):

من الظواهر الصوتية الطريفة المستخدمة في البردة كثرة أشباه الصوائت وهي: اللام، والميم، والنون، والراء. فقد أوضح البحث الصوتي بأن هذا النوع

(1) د. كمال بشر، علم اللغة العام، ص 129.
(2) إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 41.
(*) قد فصّلنا القول في هذا الجانب، أنظر: ص 5.

كثير الشيوع، وذلك من خلال استقراء بعض معاجم اللغة العربية، والقرآن. أما فيما يتعلق بالمعاجم، وهي: الصحاح، واللسان والتاج فقد تبيّن أن الراء ـــ ر ـــ وردت بأعلى نسبة في المعاجم الثلاثة، ثم النون في اللسان والتاج، ثم الميم في اللسان، والتاج، أما النون فقد وردت بأعلى نسبة في الصحاح وكان اللام آخرها. وأما فيما يتعلق بالقرآن فقد تبيّن أن اللام وردت «33022 مرة»، والنون «26525 مرة»، والميم «26135»، والراء «11793 مرة(1)».

أما استقراؤنا ـــ للبردة ـــ فقد أسفر عن النتائج الآتية: اللام 709 مرة، ثم الميم 685م(*)، ثم النون 438م، ثم الراء 326م. فما علّة هذه الظاهرة؟ نشير أولا إلى أن علم الأصوات الحديث قد ميّز أشباه الصوائت عن غيرها من الأصوات بما يلي:

أ ـــ مجرى النفس مع هذه الأصوات تعترضه بعض الحوائل، وهي صفة من صفات الصوامت(2).

ب ـــ لا يكاد يسمع لهذه الأصوات أي نوع من الحفيف(3).

ج ـــ هذه الأصوات تعد من أكثر الصوامت وضوحا في السمع(4).

د ـــ وهي كثيرة الشيوع سهلة من حيث النطق(5).

إذا علمنا أن هذه السمات هي صفات أشباه الصوائت التمسنا لوجودها في البردة تعليلا، ذلك أنها مولّدة ـــ كما يبدو ـــ الوظيفة الانتباهية(6). التي ساهمت في الحرص على ابقاء التواصل بين طرفي الجهاز(7). والناظم كباث(8)

(1) أنظر د. عبد العزيز مطر، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ص 260.
(*) الميم (م) اختصار كلمة مرة.
(2) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 27.
(3) المرجع نفسه، ص 27.
(4) المرجع نفسه، ص 27.
(5) د. عبد العزيز مطر، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ص 260.
(6) تقابل في الفرنسية la fonction phatique. و «يمكن أن يدرج في هذه الوظيفة كل ما به يلفت الباث انتباه سامعه ـــ أو قارئه ـــ من تأكيد أو تكرار أو إطناب...» أنظر: د عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 156.
(7) د. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 156.
(8) يقابل Destinateur.

قد نجح في استخدام هذه الوسيلة الصوتية الفعّالة، لأن لتكرار أشباه الصوائت ووفرتها لفتا لانتباه السامعين أو القراء. كما أنها أدت دور القادح للفتيل حيث نجحت بصفاتها المتميزة كالسهولة والوضوح. السمعي، والتأثير في تبليغ الرسالة، وتوطيد الرابط الوجداني المشترك بين الباث ـــ الناظم ـــ وبين القراء ـــ المتقبلين ـــ وللتأكيد أنظر سحر هذه الأصوات وعذوبتها وقوة تأثيرها على السمع ـــ وهذا مثل قليل من كثير.

أمن تذكر جيران بذي سلم	مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
أم هبّت الريح من تلقاء كاظمة	وأومض البرق في الظماء من إضم(238)

فبهذا النسج الصوتي ـــ وهو عنصر من عناصر كثيرة ـــ أقبل المتلقون على قراءة البردة وحفظها، بل حوّلوها إلى مديح يتغنون به في المواسم الدينية، فصارت البردة مجدا من الأمجاد الأدبية الخالدة. هذا المجد اختلف بعض الدارسين في تحديد علّته، فمنهم من أرجعه الى الاخلاص[1]. غير أن الاخلاص وحده لا يمكّن الشاعر من ناصية المجد الأدبي، ولا يرفعه الى منزلة الخلود[2]. ومنهم من أرجعه إلى السمات الملحمية في البردة[3]. وهذه ـــ أيضا ـــ حجة ضعيفة تحتاج الى سبر علميّ.

والواضح أن هؤلاء قد غاب عن أعينهم سر الصوت اللغوي، ودوره في البناء الشعري، وفي التبليغ والتأثير على المتقبلين ـــ أو القراء ـــ فهو كالملح بالنسبة للطعام، لا نحس بدونه طعم الأكل مهما تنوّعت أصنافه وألوانه.

فالصوت اللغوي بصفة عامة ـــ إلى جانب التركيب والدّلالة ـــ هو الذي أعطى البردة هذا الطعم اللذيذ، وهذا السحر الجميل، وهذه الموسيقى الموحية المؤثرة، لذلك يمكن القول ـــ وهو رأى بدالنا ـــ إن إقبال القراء والباحثين على البردة قديما وحديثا، لا يعود الى الاخلاص والخصائص الملحمية فحسب، بل إلى

---

(1) د. زكي مبارك، المدائح النبوية، ص 170.

(2) عمر باشا، الزبدة في شرح البردة، ص 88.

(3) المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

نسيجها المحكم الذي تمثل في شبكة العلاقات الصوتية، والصرفية، واللغوية، وستزيد الأقسام، والفصول الآتية هذه الفكرة وضوحا.

2 ـــ تكرار أصوات مجتمعة:

أ ـــ التجنيس(*):

توسع العرب كثيرا في دراسة الجناس، وأولوه من العناية والاهتمام حتى صار «موضة» العصر عند بعض الشعراء. فابن المعتز ألّف كتابا سمّاه «البديع» أفرد فيه بابا كاملا للجناس خصّه بأمثلة كثيرة. غير أن هذا النوع من البلاغة شهد خلافات كثيرة دارت حول مصطلحه وحدّه وأنواعه التي يندرج في صلبها.

ونحن أمام هذه الخلافات لا يعنينا التبسط في مختلف أوجهها، والبحث عن مواطن الوفاق والخلاف، وبالأخص في عمل تطبيقي كهذا، لا يسمح بالتوسع وبسط الآراء، لا يسعنا إلاّ اختيار ما غلب من الآراء عند العرب فيه، وإطرد في العمل به.

لكننا ـــ في هذا القسم ـــ نحاول أن نربط بين مبادىء علم الأصوات الوظيفي[1]، وبالأخص نظرية الوحدة الصوتية[2]، وبين فن الجناس. فالمنطلق إذن وصف نظام الجناس في ضوء نظرية الوحدة الصوتية التي تنطلق من فرضيّة وهي «أنه يوجد في كل لغة من لغات العالم عدد محدود من الوحدات الصوتية الأساسية... التي تستخدمها تلك اللغة للتفرقة بين الكلمات[3]». وتهدف هذه

(*) أنظر ابن المعتز، البديع، ص 25 ـــ 35. ووقدامة، نقد الشعر، ص 163 وما بعدها. وأبا هلال العسكري، الصناعتين، ص 353. وابن رشيق، العمدة، من ص 321. والسكاكي، مفتاح العلوم، من ص 202.

(1) أعلن عن نشأة هذا العلم «بلا هاي»، في ملتقى دولي، عقد بها سنة 1928، وهو فرع من فروع اللسانيات يهتم بوظائف الأصوات في اللغة. أنظر: phonologie George mounin Dictionnaire de la linguistique والحاج صالح، «مدخل الى علم اللسان الحديث»، مجلة اللسانيات، المجلد (1) ص 54ـ55.

(2) ما يقابل في الفرنسية phonéme. وهي الوحدة المميّزة في صلب الأزواج الدنيا. المرجع السابق Phonéme.

(3) د. فاطمة محجوب، دراسات في علم اللغة، ص 29.

النظرية إلى إبراز الوحدات الصوتية التي تستخدمها تلك اللغة للتفرقة بين المعاني، وذلك بمقارنة ثنائيات من الكلمات إذا استبدلت وحداتها الصوتية بوحدات أخرى تغير معنى[1]. وتعرف هذه الثنائيات بالأزواج الدنيا[2]، ومن أنواع الجناس التي يمكن أن يطبّق عليها مبدأ الثنائيات في العربية: المختلف أو الناقص، والمضارع، واللاحق، والمصحف[3].... وغيرها على أن عملنا هذا يتنزّل في إطارين[4]:

1 ـــ تكرار أصول الدال وأصول المدلول:

نهتم ـــ في هذا القسم ـــ بالجناس التام منطلقين من تجانس أصول الدال، وأصول المدلول في أمور أربعة: (الأصوات، وشكلها، وعددها، وترتيبها). وقد أستخدم هذا النوع استخداما هادئا راعي فيه صاحب البردة الانسجام بينه وبين الدّلالة، فجاءت المعاني ـــ في الغالب ـــ على سجيتها دون تكلف ومما دلّ عليه الجناس التام.

الربط بين المحسوس وغير المحسوس:

«فما لعينيك إن قلت اكففا همتا   وما لقلبك إن قلت استفق يهم(238)

الكلمتان: «همتا، ويهم» متفقتان في نوع الوحدات الصوتية، وفي النطق والهجاء، مختلتان في المعنى، لأن الأولى دالة على السيلان ـــ وهو مظهر حسّي ـــ والثانية دالة على التحير، وهو للمعنويات.

الربط بين المحسوس وغير المحسوس:

سريت من حرم ليلا إلى حرم   كما سرى البدر في داج من الظلم(245)

(1) المرجع نفسه، ص 29.
(2) ما يقابل في الفرنسية paires minimales.
(3) المرجع السابق، ص 29.
(4) صنفنا أنواع الجناس في إطارين كبيرين: أفردنا الاطار الأول للجناس التام، وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في الشروط الأربعة المذكورة أعلاه، وأفردنا الاطار الثاني للجناس غير التام وهو ما اختلف فيه اللفظان المتجانسان في شرط من الشروط الأربعة.

اتفاق الوحدات الصوتية المكوّنة لأصول الدال، وأصول المدلول أحدثت اختلافا دلاليا متميزا لأن كلمة «حرم» الأولى دالة على حرم مكّة وهو المسجد الحرام، والكلمة الثانية دالة على حرم بيت المقدس وهو المسجد الأقصى.

الربط بين العام والخاص:

تمضي الليالي ولا يدرون عدّتها   ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم(246)

الكلمتان: «الليالي، وليالي» متفقتان في أنواع الوحدات الصوتية مختلفتان في المعنى، لأن الأولى دالة على الليالي والأيام. وخصّ الناظم الليل بالذكر، لأن مقاساة الهموم فيه أشد. والثانية دالة على ليالي الأشهر الحرم: وهي أربعة: «رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم*.

وقد يرد التجنيس تكرارًا لمجرد جمال الصوت:

شاكي السلاح لهم سيمى تميّزهم   والورد يمتاز بالسيمى عن السلم(247)

فالكمتان: «سيمى، وسيمى» متفقتان في الوحدات الصوتية من حيث النطق والعدد والترتيب وفي الدّلالة. وبناء على هذا يكون هذا النوع الى التكرار أقرب منه الى التجنيس.

ومما دلّ عليه الجناس التام المستوفي[*]:

المبالغة:

كم جدّلت كلمات الله من جدل   فيه وكم خصم البرهان من خصم(247)

الكلمتان: «جدّلت وجدل» متفقتان في نوع الوحدات الصوتية، مختلفتان في المعنى؛ لأن الأولى دالة على الغلبة والقطع، والثانية دالة على الجدال.

(*) نعني بالتام المستوفي ما كان من نوعين مختلفين كفعل واسن، أو اسم وحرف، أو فعل وحرف. وقد التزمنا بهذا في النوعين: التام، والمستوفي.

التكرار لمجرد جمال الصوت:

لـو كـنت أعلـم أني مـا أوقـره   كتمت سرا بدالي منه بالكتم(239)

ومـن تكـن بـرسول الله نصرتـه   إن تلقه الأسد في آجامهـاتهم(247)

وراعهـا وهـي في الأعمـال سائمـة   وإن هي استحلت المرعى فلا تسم(240)

يـوم تفـرس فيـه الفـرس أنهم   قد أنذروا بحلول البؤس والنقم(242)

ظلمت سنة من أحيا الظـلام إلى   أن اشتكت قدماه الضرّ من ورم(240)

ما حوربت قط الاعاد من حـرب   أعدى الأعادي إليها ملقي السلم(244)

قـرّت بها عين قـاريها فقـلت لـه   لقـد ظفـرت بحبل الله فاعـتصم(245)

خدمتـه بمديح استقيـل بـه   ذنوب عمر مض في الشعر والخدم(247)

أبرز مظاهر الجناس التام والمستوفي — في البردة — تتمثل في التكرار، وإعادة أصول الدال وأصول المدلول بالشكل نفسه مع الاختلاف في الدّلالة. غير أن النوع الأول، لم يكن لمجرد التكرار، وإنما كان مولّدا لايقاع موسيقي متميز. والنوع الثاني ساهم في إحداث التوازن بين الدوال والمدلولات.

2 — تكرار أصول الدال دون المدلول:

نهتم — في هذا القسم — بأنواع الجناس التي تقاربت أو اتحدت في الأصوات واختلفت في الدّلالة:

1 — الجناس اللاحق(*):

هذا النوع من أكثر الأجناس تواترا في البردة، وهو مستخدم بأوجهه المختلفة وهي:

أ — الاختلاف بين الوحدتين الصوتيتين في الأوّل:

أيحسب الصب أن الحب منـكتم   مـابين منسجم منه ومضطرم(238)

والنفس كالطفل إن تهمكله شب على   حب الرّضاع وإن تفطمه ينفطم(239)

(*) الأزواج الدنيا متباينة في الدّلالة، مختلفة في الوحدات الصوتية من حيث النوع والتباعد في المخرج.

أعيا الورى فهم معناه فليس يرى   في القرب والبعد فيه غير منفحم(241)

كالزهر في ترف والبـدر في شرف   والبحر في كرم والدّهر في همم(242)

عموا وصموا فإعـلان البشائـر لم   تسمع وبارقة الانـذار لم تشم(243)

وأنت تخترق السبـع الطبـاق بهم   في موكب كنت فيه صاحب العلم(245)

راعت قلـوب العـدا أنبـاء بعثتـه   كنبأة أجفلت عقلا من الغنم(246)

من حسن الصياغة، وحذق الصناعة أن يستخدم الجناس بهذا النسج، وهذه الهندسة العجيبة، فقد توزّع توزيعا فنيا محكما على أبيات البردة، ذلك أنه مرّة في صدر البيت، وأخرى في عجزه. وأحيانا يجمع بينهما. وكان الناظم في كلّ هذا ينتقي من وحدات أصوات اللغة العربية ما يلائم وينسجم مع الدّلالة، فقد كان لاختلاف الوحدات الصوتية المتميزة في صلب الأزواج الدنيا اختلاف وتباين في المعنى.

وعليه فالجناس اللاحق مولّد مو مولّدات الطاقة الدّلالية الخلافة، وذلك بمقتضى تفاعل نظام وحداته الصوتية في نظام الأصوات التي تخضع له لغة البردة. والجدول الآتي يوضح هذا النظام الصوتي:

المتجانسان		و.ص.م(1)		نوع التباين في المخرج(2)		نوع التباين في الدّلالة	
صب	حب	ص	ح	أسناني	وسط حلقي	العاشق	صفاء الحال بين الحب والمحبزب
شب	حب	ش	ح	أدنى حنكي	وسط حلقي	كبر	الألفة
ورى	يرى	و	ر	بين الشفتين	أدنى حنكي	الخلق	يبصر
ترف	شرف	ت	ش	أسناني	أدنى حنكي	اللطافة والنعومة	الرفعة وعلو المنزلة
عموا	صموا	ع	ص	وسط حلقي	أسناني	ذهاب البصر	ذهاب السمع
أنت	كنت	أ	ك	أقصى حلقي	أقصى حنكي	للمخاطبة	الزّمن الماضي
جفل	غفل	ج	غ	أدنى حنكي	لهوي	الفزع	الغفلة

(1) هذه الرموز اختصار لكلمات: «وحدة صوتية متميزة».
(2) اعتمدنا في تصنيف مخارج الوحدات الصوتية على: جان كاتينو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، ص 30 وما بعدها.

ب ـــ الاختلاف بين الوحدتين الصوتيتين في الوسط:

تهدي السيك رياح النصر نشرهم   فتحسب الزهر في الأكمام كل كمي(247)

نجد في الثنائية: «نصر، ونشر» وجود الوحدتين الصوتيتين في الوسط، الوحدتان الصوتيتان: «الصاد، والشين» بما امتازتا به من تباين في المخرج (لأن الصاد أسناني، والشين أدنى حنكي) قد أدتا إلى تغيير دلالة المتجانسين: فكلمة النصر دالة على التأييد وقهر الأعداء، وكلمة النشر دالّة على الخبر السار.

ج ـــ الاختلاف بين الوحدتين الصوتيتين في الآخر:

استغفر الله من قول بلا عمل   لقد نسبت به نسلا لذي عقم(240)
ولا تزوّدت قبل الموت نافلة   ولم أصل سوى فرض ولم أصم(240)
ومن يبيع آجلا منه بعاجله   يبن له الغبن في بيع وفي سلم(248)
بعارض جاد أو خلت البطاح بها   سيب من اليم أو سيل من العرم(244)

تنتشر في هذه الأبيات سلسلة من الثنائيات: «نسب، نسل»، «أصل، أصم»، «بيع، يبن»، «سيب، سيل».

هذه الثنائيان بتنزّلها في هذا النظام الصوتي صارت ضربا من الأزواج الدنيا، حيث تتباين في الوحدات الصوتية، وفي الدّلالة. فالباء واللام في «نسب، نسل» مختلفان في المخرج بعد الباء من بين الشفتين، واللام أدنى حنكي، مؤديان إلى اختلاف في المعنى، لأن الأولى دالّة على الاضافة، والثانية دالّة على الولد. واللام والميم في «أصل، أصم» مختلفان في المخرج مؤديان إلى اختلاف المعنى، لأن الأولى دالة على صلاة الفرض، والثانية دالّة على صيام الفرض. والعين والنون في «بيع، يبن» مختلفان في المخرج (بعد العين وسطا حلقيا، والنون أسنانيا). مؤديان إلى اختلاف في المعنى؛ لأن الأولى دالة على الطعام، والثانية دالة على الظهور. والباء والميم في «سيب، سيل» مختلفان في المخرج (بعد الباء من بين الشفتين، واللام أدنى حنكي)، مؤديان إلى اختلاف في المعنى، لأن الأولى دالة على العطاء، والثانية دالة على الجري.

الوحدات الصوتية في نظام الأزواج الدنيا متنوّعة، فهي مختلفة في المخارج والدّلالة وقد تكون متفقة أو مقاربة في المخرج، ومختلفة في الدّلالة.

2 ـــ الجناس المضارع(٥):

يقوم هذا النوع على ثنائيات من الكلمات، لا تختلف إلا في وحدة صوتية واحدة هي التي تغيّر المعنى. غير أن الوحدة الصوتية في الجناس المضارع تشهد قيودا صوتية ـــ عكس ما هي الحال عليه في الجناس اللاّحق ـــ إذ يشترط أن تكون متحدة في المخرج أو متقاربة.

ومن صوره نوعان:

أ ـــ التقابل بين الوحدات الصوتية في الأوّل:

كالزهر في ترف والبدر في شوف   والبحر في كرم والدّهر في همم(242)
ومن يبيع أجلا منه بعاجله   بين لع الغبن في بيع وفي سلم(248)
ردّت بلاغتها دعوى معارضها   ردّ الغيور يد الجاني عن الحرم(244)

في هذه الأبيات ثنائيات من الكلمات: «زهر، دهر»، «آجل، عاجل»، «رد، يد» فالوحدتان الصوتيتان: «الزاي، والدال» متقاربتان في المخرج، إذ كل منهما أسناني، مؤديتان إلى تغيير المعنى، لأن الأولى دالة على نور الشجر، والثانية دالة على الزمان.

أما الثنائية الثانية ـــ «آجل، عاجل» فالوحتان الصوتيتان فيهما متقاربتان في المخرج، إذ الهمزة أقصى حلقي، والعين وسط حلقي، موديتان إلى تغيير في المعنى؛ لأن الأولى دالة على ثواب الآخرة، والثانية دالة ثواب الدنيا.

وأما الثنائية الثالثة ـــ «رد، يد» فالوحدتان الصوتيتان فيهما متقاربتان في المخرج إذ كل منهما أدنى حنكي، مؤديتان الى تغيير المعنى؛ لأن الأولى دالة على الصرف والبطلان، والثانية دالة على يد الجاني.

ب — التقابل بين الوحدات الصوتية في الوسط:

محكمات فما تبقين من شبه لذي شقاق وما تبغين من حكم(244)

نجد في هذا البيت الوحدتين الصوتيتين: «القاف، والغين» في وسط الكلمتين «تبقين، تبغين». وهما متحدتان في المخرج، إذ كل منهما لهوى، مؤديتان إلى تغيير في المعنى، لأن الأولى دالة على الترك، والثانية دالة على الطلب.

الوحدات الصوتية في هذه الأمثلة — وفيما سبق — تشكلت من الصوامت. غير أننا وجدنا في البردة نوعا آخر، وحداته الصوتية صوائت.

3 — الجناس المحرّف(٥):

إن حالات هذا النوع التي استخدمت في البردة قد تفرّعت وشكلت صورا اعتمدنا في توزيعها على فكرة الفواصل[1] بين ركني الجناس. وهذا تصنيفها بحسب البسيط فالمركب.

أ — ما كان الفاصل بين ركنيه حرفا:

فاصرف هواها وحاذ رأن تولّيه إن الهوى ما تولّى يصم أو يصم(239)
فاق النبيين في خَلْق وفي خُلُق ولم يدانوه في علم ولا كرم(241)
طارت قلوب العدا من بأسهم فرقا فما تفرق بين البهم والبُهُم(247)

نجد في هذه الأبيات ثنائيات من الكلمات: «يصم، يصم»، «خلق، خلق»، «بهم، بهم». ففي الثنائية الأولى المتجانسان متساويان في عدد الأصوات، متفقان في أنواعها وترتيبها. لكنهما مختلفان في نوع الصوائت، حيث الضمة على مقطع الكلمة الأول، والفتحة على مقطع الكلمة الثانية، والضمة والفتحة وحدتان صوتيتان قد غيّرتا المعنى على عدّ كلمة يصم دالّة على القتل، وكلمة يصم دالّة على العيب.

---

(٥) هو ما اتفقت كلماته في نوع الأصوات وترتيبها، وعددها، واختلفت في نوع الصوائت والدلالة.
(1) نعني بها الحروف، والأسماء والجمل التي فصلت بين ركني المتجانسين، والغرض لتوزيع المادة والتحكم فيها لا غير.

وفي الثنائيات الأخرى: «خلق، خلق»، و «بهم، بهم» الدّلالة متغيرة بالصوائت التي هي وحدات صوتية.

ب — ما كان الفاصل بين ركنيه لفظتين أو أكثر:

كأنهم في ظهور الخيل نبت ربا من شدّة الحزم لا من شدة الحزم(247)
كم جدّلت كلمات الله من جدل فيه وكم خصم البرهان من خصم(247)

شكلت الثنائيات: «حزم، حوز»، «خصم، خصصم» — في هذه الأمثلة — إيقاعا متميّزا، وولّدت طاقات دلالية خلاقة. وهذا بتنوّع الوحدات الصوتية وما نجم عنها من تغيير في الدلالة.

ج — ما كان الفاصل بين ركنيه جملة:

أكرم بخلق نبيّ زانه خلق بالحسن مشتمل بالبشر متّسم(240)
وراوته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيّما شمم(240)

الثنائية في البيت الأول: «خلق، خلق» ركناها متفقان في الصوامت والترتيب، والعدد، مختلفان في الصوائت. فالفتحة القصيرة في الكلمة الأولى تقابل الضمة القصيرة، في الكلمة الثانية. والفتحة والضمة وحدتان صوتيان مؤديتان إلى تغيير الدّلالة. وشبيه بهذا ثنائية البيت الثاني «شم، شمم».

4 — الجناس المصحف(٥):

هذا النوع تناولته اللسانيات في معالجتها للنظم الخطّية للغات، حيث تجعل للخط وحدة أساسية، تقابل الوحدة الصوتية في علم الأصوات[1]. وقد اصطلح اللسانيون على تسميتها بـ Graphem، وهي الوحدة الخطية الدنيا التي تدخل في تكوين نظام الكتابة[2]». غير أن هذه الوحدة لها ارتباط وثيق

---

(٥) هو ما اتفقت كلماته في شكل الحروف، واختلفت في النقط والدّلالة.
(1) د. فاطمة محجوب، دراسات في علم اللغة، ص 82.
(2) mounix, Dictionnaire de la linguistique (Grapheme).

بالوحدة الصوتية، إذ هي التعبير الرمزي لها. كما أن للوحدة الخطية من الدّلالة ما للوحدة الصوتية حيث عند استبدال الوحدات يحدث تغيير في المعنى[1].

ومن أمثلته:

فهو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبا بارىء النسم(241)
فحزت كل فخار غير مشترك وجزت كلّ مقام غير مزدحم(246)

الوحدتان الخطيتان في الثنائية (ثم، تم) الثاء، والتاء، فالأولى فوقها ثلاث نقاط، والثانية فوقها نقطتان. وقد ترتب عن هذه السمات تغيير في المعنى، لأن الأولى دالة على الكمال، والثانية دالة على الترتيب. وفي هذا المثل تداخل بين الوحدات الخطية والوحدات الصوتية، لأن الفتحة والضمة وحدتان صوتيتان. وشبيه بهذا ما جاء في الثنائية «حزت، جزت» حيث الحاء والجيم وحدتان خطيتان.

وتغيير الدّلالة لا يتوقف على استبدال الوحدات الصوتية أو الخطية فحسب بل للترتيب أيضا دور في تغيير المعنى، فإن اختلف ترتيب الوحدات في الثنائيات نجم عنه اختلاف في المعنى.

5 ــ الجناس المقلوب:

تهتم نظرية الوحدة الصوتية بقضية الترتيب في المتجانسات، لأنه ــ غالبا ــ ما يفضي الى تغيير في الدّلالة. ومن أمثلته نوعان:

أ ــ جناس قلب الكل(*):

ولا التمست غنى الدارين من يده إلا استلمت الندى من خير مستلم(248)

في الثنائية (التمست، استلمت) وجود الوحدات الصوتية نفسها في الكلمتين. لكن من اختلاف في الترتيب. وهو الذى أدى إلى تغيير المعنى بين الكلمتين على عدّ كلمة التمست دالة على الطلب، وكلمة استلمت دالة على الأخذ.

ب ــ جناس قلب البعض(*)

ماسامني الدّهر ضيما واستجرت به إلا ونلت جوارا منه لم يضم(243)
فيا خسارة نفس في تجارتها لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم(247)
حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه أو يرجع الجار منه غير محترم(248)

في هذا السياق المشحون بالحسرة والندم استعمل الناظم ثنائيات ذات دوال ومدلولات (ضيما، يضم)، (الدين، الدنيا)، (الراجي، الجار). والذي أدّى إلى تغيير الدّلالة في هذه السلسلة الصوتية اختلاف ترتيب الوحدات الصوتية من حيث التقديم والتأخير. فالزوج الأول دالّ على الظلم والاحتقار، والزوج الثاني دالّ على العقيدة والأمور الخسيسية، والأخيرة دالّ على الطمع والجوار.

وبنظرة مركزة إلى ما تمّ تقديمه يتسنى لنا استنتاج النظام الصوتي الدّلالي لظاهرة التجنيس في البردة كالآتي:

1 ــ الوحدات الصوتية.
الوحدات الصوتية نوعان: صوامت وصوائت

ــ الصوامت:

أ ــ من حيث الأتفاق

اتفاق الوحدات + اختلاف في المعنى ⟵ الجناس ⟵ التام / المستوف
اتفاق الوحدات الصوتية في المخرج + اختلاف في المعنى ⟵ الجناس المضارع
اتّفاق في الدوال + اتفاق في المدلولات ⟵ تكرار

(1) المرجع السابق، ص 106.
(*) تكون فيه جميع الوحدات الصوتية مخالفة في الترتيب. ونعتمد الجذر.

(*) تكون فيه بعض الوحدات الصوتية متخالفة في الترتيب، كأن يتقدم البعض منها أو يتأخر.

ب ــ من حيث الاختلاف:

اختلاف الوحدات الصوتية في المخرج + اختلاف في المعنى ← الجناس اللاحق

اختلاف في ترتيب الوحدات + اختلاف في المعنى ← الجناس ← قلب الكل / قلب البعض

اختلاف الدوال + اتفاق في المدلولات ← ترادف

ــ الصوائت: الصوائت (الفتحة، والضمة، والكسرة).

اختلاف الوحدات الصوتية + اختلاف في المعنى ← الجناس المحرّف

أبرز مظاهر نظام الثنائيات ظاهرة تكرار الأصوات مجتمعه مبنى ومعنى، وهي الظاهرة التي «سمّاها القدماء التجنيس حيث يعاد اللفظ فيه مرة ثانية مع فارق مميز في الدّلالة ينبع من طبيعة السياق[1].

واللفظ المكرر ــ بوجه عام ــ مصدره الثورة وهدفه الاثار حبا أو بغضا في أي غرض من أغراض الكلام[2]، لأن المتكلم حينما يكرر شيئا إنما يريد تمييزه عن غيره. فصور الأشخاص التي تتكرر كثيرا على النظر تكون أكثر وضوحا في الادارك وأشد التصاقا بالذهن والدقات على القلب الصادي تكون أيضا أكثر أثرا من الرشفة الواحدة[3].

التكرار الصوتي إذن أسلوب يصور الانفعالات النفسية، ويسلط الأضواء عليها وذلك لارتباطه الوثيق بالوجدان، لأن المتكلم لا يكرر إلا ما يثير اهتمامه، ولا يكرر الا ما يهدف نقله إلى نفوس مخاطبيه على القرب كانوا أم على البعد[4].

---

(1) محمد عبد المطلب، التكرار النمطي في قصيدة المديح عند حافظ، فصول مجلة النقد الأدبي، ص 48.

(2) د. عزالدين علي السيد، التكرير بين المثير والتأثير، ص 37ــ38.

(3) المرجع نفسه، ص 138.

(4) المرجع نفسه، ص 137.

وعليه فالتكرار الصوتي الذي ولّده الجناس ــ في البردة ــ هو إحدى الفعاليات المؤثرة في الأداء الشعري على المستوى الصوتي والدّلالي تكثيفا وتعميقا. وهو أحد مصادر الثورة والاثارة المتجلية في صراع الناظم النفسي الذي انفجر وفاض على السطح من خلال المدّ والجزر الناتجين عن عاملي الائتلاف والاختلاف في صلب بنية الثنائيات.

وهذا الصراع في الواقع، صراع نابع من طبيعة الدوافع المتضاربة المتناقضة في نفسه صاحب البردة. فمنها المطالب بالحاجات المادية الزائلة، ومنها المطالب بالغذاء الروحي. والشاعر أمام هذا المد والجزر يقوى أحيانا، ويلين أخرى.

يارب واجعل رجائي غير منعكس لديك واجعل حسابي غير منخرم

والطف بعبدك في الدارين إن له صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم(248)

لذلك لا نعجب إن رأينا الناظم يوجه الرسالة مشحونة بمعاني السخط الشديد على النفس، الأمّارة بالسوء إلى المتقبلين ــ وكل من تهمه الرسالة ــ مبرزا فضائل الرسول ﷺ، محذرا في الوقت نفسه من مكايد النفس وما تحوكه للانسان من دسائس قالته، عبر قنوات توصيلية تمتاز بقوة التأثير وسرعة النفاذ إلى الأذن. والقنوات هذه هي في الواقع أنواع الجناس المختلفة التي تفنن فيها صاحب البردة تفنّن الصائغ الماهر والمهندس الخبير. فعلى هذا الضرب من الاستخدام كانت «شعرية» البردة مدينة له بقسط وافر.

ب ــ أصوات المقاطع والمطالع(*).

نعني بالمقطع العنصر المتخير لختام البيت الذي يضم كل عناصر القافية، والمطلع العنصر المتخير لصدارة البيت. وكل من المقطع والمطلع وطيد الصلة بالموسيقى والمعنى.

(*) استفاد البحث في هذا القسم من جهود د. الهادي الطرابلس، خصائص الأسلوب في «الشوقيات»، ص 87 ــ 94.

أ ــ أصوات المقاطع: التصدير(*):

التصدير جنس من الأجناس الصوتية الخاصة بالمقطع، ويتمثل في رد أعجاز الكلام على صدوره، وهو ترديد للفظ من الألفاظ في البيت الشعري. وإذا كان اللفظ الثاني مضبوط المرتبة، لأنه يقع في آخر البيت ويكون إطارا لقافيته، فإن اللفظ الأوّل تختلف مرتبته وتتنوّع. ولذلك نعتمد في تصنيف أشكال التصدير في البردة على مرتبة اللفظ الأول.

ــ أشكال التصدير:

اللفظ الأول في أوّل الصدر.

وشكله:

(ــــ) ـــــــ ـــــــ (ــــ)

ومن أمثلته الناقص ــ وهو ما اختلف فيه اللفظان في الصيغة:

أقسمت بالقمــــر المنشق إن لــــه   من قلبه نسبة مبرورة القسم(248)
دامت لدينا ففاتت كـلّ معجــزة   من النبيين إذ جاءت ولم تدم(244)
محكّمـات فما تبـقين مـن شبـــه   لذي شقاق وما تبغين من حكم(244)
خدمتـــه بمديح أستقيـــل بـــه   ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم(247)

وبقطع النظر عن بعض أدوات الصدارة:

يالائمي في الهوى العـذري معـذرة   منّي إليك ولو أنصفت لم تلم(239)
إني اتهمت نصيح الشيب في عــذل   والشيب أبعد في نصح عن التهم(239)
ومنـذ ألـزمت أفكـاري مدائحــه   وجدتـه لخلاصي خير ملتـزم(248)

(*) أنظر أبا هلال العسكري، الصناعتين، ص 429 ــ 433، وابن رشيق العمدة،، ج 3/2ــ4.

يمثّل البيت الشعري في هذه الأمثلة وحدة منغلقة، نقطة النهاية فيه هي نقطة البداية. وهذا النوع أكثر شيوعا في البردة، لأنه يجمع بين التصدير والتذييل(1). ومن بعض دلالته التأكيد المرتبط بالقسم، والمبالغة المرتبطة بالآيات القرآنية. وقد يرد لمجرد الترديد الصوتي أو لضرورة اقتضاها النظم.

اللفظ الأوّل في آخر الصدر(*).

وشكله:

ـــ (ـــ) ــــــ (ـــ)

يتنزل هذا الشكل في إطارين صوتين متجانسين أو متقاربين، يختم اللفظ الأوّل الصدر، والثاني الصعجز، فيولدان ايقاعا متميزا.

ومنه التام، وهو ما تردد فيه اللفظ نفسه.

ولا تطع منهما خصما ولا حكما   فأنت تعرف كيد الخصم والحكم(240)
حتى غدا عن طريق الوحي منهزم   من الشياطين يقفو أثر منهزم(243)
فالدّر يزداد حسنا وهو منتظم   وليس ينقص قدرا غير منتظم(244)

والناقص، وهو ما اختلف فيه اللفظان في الصيغة:

وراعها وهي في الأعمال سائمة   وإن هي استحلت المرعى فلا تسم(240)
فالصدق في الغار والصديق لم يرما   وهم يقولون ما بالغار من أرم(243)
لعلّ رحمة ربي حين يقسمها   تأتي على حسب العصيان في القسم(243)

في هذه الأمثلة يكون البيت الشعري وحدة شعرية منفتحة في بدايتها منغلقة في موطنين، آخر الصدر نهايتها الأولى، وآخر العجز نهايتها الثانية.

تكاد معاني التصدير في هذه الأبيات تدور حول النصيحة والترجي أو بعض الظواهر الأخرى كالتكرار الذي اقتضته الضرورة الشعرية.

(*) إن تناسب عناصر قافية الصدر، وعناصر قافية العجز كان البيت مصرعا.

اللفظ الأوّل في أوّل العجز:

وشكله:

———— (——) ———— (——)

ومنه التام، وهو ما اتفق فيه اللفظان في الصيغة. وبقطع النظر عن بعض أدوات الصدارة.

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت بـه ... وما استقمت فما قولي لكل استقم (240)

والناقص، وهو ما اختلف اللفظان في الصيغة:

لو كنت أعلم أني مـا أوقـره ... كتمت سردا بدالي منه بالكتم (239)
دع ما ادعتـه النصاري في نبيهم ... وأحكم بما شئت فيه مدحا واحتكم (241)
آيـات حـق مـن الرحمن محدثـه ... قديمة صفـة الموصوف بالقـدم (244)

وبقطع النظر عن بعض. أدوات الصدارة:

كم جدّلت كلمات الله من جـدل ... فيه وكم خصم البرهان من خصم (247)
ولا التمست غنى الدارين من يـده ... الا استلمت الندى من خير مستلم (248)

اختص التصدير في هذه الأمثلة بالعجز الذي مثّل وحدة شعرية منغلقة، بدايتها أوّل العجز، ونهايتها آخره، لكن التصدير في التام مصحوب بتذييل، دالّ على الانكار المرتبط بالاستفهام، وفي الناقص دال على الامتناع المرتبط بالشرط في البيت الأوّل، وعلى المبالغة والقصر في البيتين الآخرين. وما عدا ذلك فيبدو أن التصدير ورد لضرورة اقتضاها النظم.

بقية أنواع التصدير:

قد يرد التصدير غير خاضع لشكل معين:

ما سامني الدّهر ضيما واستجرت به ... إلا ونلت جوارا منه لم يضم (243)
لا تنكر الوحي من روياه ان لـه ... قلبا إذا نامت العينان لم ينم (243)

لئن اختلفت مرتبة اللفظ الأوّل في هذه الأمثلة، وتنوّعت دون التقيد بشكل معين من الأشكال التي رتّبنا، فإن شيوعه في البردة يكاد يكون له ما للأنواع الأخرى من فضل في تعزيز موسيقى البيت.

ويتضح مما تقدم أن التصدير وسيلة أسلوبية تساهم في تركيز الاهتمام في البيت، الأول فيدل بعضه على بعض ويسّهل استخراج قوافي الشعر، وهو يكسب البيت أبهة ويكسوه رونقا وديباجة. فاللفظ المعتمد فيه هو بمثابة اللفظ الجامع للمعنى، إذ فيه تتولد الدّلالة وفيه تتبلور إذا كان اللفظ يحتل صدارة البيت أو صدارة العجز، وتنتهي إليه مجمل الدّلالة إذا كان اللفظ الأوّل منه في آخر الصدر أو في منزلة معينة.

فالتصدير إذن عملية رصد ينطلق فيها الناظم من المقطع لتحقيق غرضه والتأثير على المتلقى.

2 — أصوات المطالع: التذييل(*):

نعني بالتذييل ضربا من الترديد الصوتي يتمثل في استعمال اللفظ الأوّل في صدر البيت وتكراره في أي موضع من البيت الشعري ما عدا المقطع. وإذا كان اللفظ الثاني مضبوط المرتبة في التصدير، فان اللفظ الأوّل في التذييل هو الذي لا تتغير مرتبته وله الصدارة دائما.

والتذييل يلفت الانتباه من عدة نواح، إذ غالبا ما يؤدي دورا دلاليا متميزا.

— المبالغة:

كم جدّلت كلمات الله من جـدل ... وكم خصم البرهان مـن خصم (247)

يصوّر التكرار الصوتي عدد المرّات التي كانت فيها الغلبة مع شد القطع للقرآن.

(*) أنظر أبا هلال العسكري، الصناعتين، ص 413 — 415.

ـ التقابل والتقارب:

كأن بالنار ما بالماء من بلل حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم(242)

ولّد ترديد كلمتي: «النار والماء» في صدر البيت وفي عجزه ضربا من التقابل والتقارب. أما التقابل فناتج عن حرارة النار وبرودة الماء، وأما التقارب فحاصل في سلب كل منهما خصائصه الطبيعية، وانتقالها من عنصر إلى آخر. فطبع الماء استحال إلى النار، وطبع النار استحال إلى الماء، فصارت النار باردة، وصار الماء حارّا.

ـ التأكيد:

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم(241)

وقد مستك جميع الأنبياء بها والرّسل تقديم مخدوم على خدم(245)

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به وما استقمت فما قولي لك استقم(240)

ارتبط الترديد الصوتي في هذه الأمثلة بالتأكيد. غير أن معنى الأمر بالخير وعدم الائتمار به في الوقت نفسه، في البيت الأخير قد تبلور تدريجيا مع التصدير حتى انتهى إلى الانكار المستفاد من الاستفهام.

وقد يرتبط التذييل باحدى ضروب الحكمة:

ومن يبع آجلا منه بعاجله يبن له الغبن في بيع وفي سلم(248)

التذييل أسلوب استخدمه البوصيري ليعزز به موسيقى البيت، وليوازي بين الدّلالات، ويحدث أثرا موسيقيا متميّزا.

الخاتمة:

أولا ـ موسيقى الأصوات:

1 ـ البسيط من البحور الكثيرة المقاطع والرواج عند الشعراء قديما وحديثا، وهو متميز بجزالته وطلاوته.

2 ـ سلامة المقياس (مستفعلن) الواقع في حشو البيت من الزحاف أنزل صاحب البردة منزلة الفحول، إذ «لا يستعملها المطبعون إلا كذلك»(1).

3 ـ بعدُ الوزن العروضي عن الواقع الصوتي، قد يكون حافزا لتعاون علم العروض، وعلم الأصوات للتغلب على ذلك.

4 ـ التقابل بين المقاطع الصوتية قبل الرّوى ظاهرة مولّدة القيمة الخلافية التي تقابل ظاهرة الانسجام في الحشو.

5 ـ التقابل والتناوب بين الصوائت القصيرة قبل الروي يؤكدان عدم عناية الشاعر بالتزام الصائت القصير قبل الرّوى.

6 ـ القافية من حيث مكوناتها، صوتية وأحيانا صرفية.

7 ـ اختيار الرّوى المكسور وهو الميم أضفى على البردة طابع القدم والأصالة.

لأنه إذا علمنا أن الميم يقرب من الشفتين قلنا: «إن الصو ت بقدر ما يكون مخرجه أقرب إلى الشفتين يكبر حظه من الاستعمال رويا»(2). فقافية البردة عموما «عذبة الحرف سلسة المخرج(3)، خالية من العيوب متماشيّة مع سنن العرب وذوقهم.

8 ـ المقطع الصوتي ـ في البردة ـ عملية حركية نفسية، ينبع من الوجدان

ويضفي على المتلقي نشاطا نفسيا. وهو في الغالب ـ مرتبط بدلالات حسيّة هادفة الى اثارة العواطف والأحاسيس.

---

(1) الأحمدي نويرات، المتوسط الكافي، ص 96.
(2) د. الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في «الشوقيات»، ص 45.
(3) قدامة، نقد الشعر، ص 86.

9 — الترصيع بأقسامه الثلاثة أسلوب أخّاذ أثري التعبير بنغمات موسيقية عذبة، وإيقاع يعطي النفس متعة فنية مؤثرة تبعث في الفؤاد السكينة والطمأنينة. وهو — إلى جانب كل هذا — وسيلة من الوسائل المنشطة والمخففة من سأم الطول. وقد كان له دور بارز في شدّ المتلقي، وجعله أكثر التصاقا بأهداف الرسالة.

ثانيا — الأصوات المكررة وعلاقتها بالمعنى:

1 — ولّد التكرار الصوتي — في البردة — طاقة دلالية خلاّقة، وإيقاعا متميزا.

2 — ارتباط الصوت بالمعنى في البردة أفضى إلى طرح قضية العلاقة المبررة(1) بين الدوال والمدلولات أي بين الأصوات أثناء تركيبها والمعاني.

ونحن إذ نبشّر بوجود هذه الظاهرة اللغوية في البردة لا يعني أننا ننفي قضية العلاقة غير المبررة بين الدوال والمدلولات في اللغة. بل على قدر إيماننا بفكرة الاعتباط، بقدر إيماننا بقضية التبرير في اللغة، وبالأخص في الأعمال الأدبية(2) والأسماء الطبيعية onomatopées.

3 — التجنيس نظام صوتّي دلالي، ووسيلة من وسائل التوصيل المتميزة بقوة التأثير والإيحاء، وسرعة النفاذ إلى الأذن — وهو — أيضا إحدى صور «شعرية» البردة.

4 — التصدير أسلوب ساهم في تركيز الاهتمام في البيت الشعري، وسهّل استخراج قوافي الشعر.

---

(1) يقابل في الفرنسية motive motivé أنظر معناه Dubpois et autres Dictionnaire de l'inguistigue.

(2) إلى النتيجة نفسها انتهى الدكتور الهادي الطرابلسي، وجان كوهين، أنظر خصائص الأسلوب في «الشوقيات»، ص 59. ودعا إلى هذه القضية «بنفنست» أنظر: Dublois et autres Dictionnaire de linguistique motivation.

5 — التذييل أسلوب من الأساليب البلاغية المعزّزة لموسيقى البيت الشعري، والمؤدية إلى تفجير دلالات عميقة.

البناء الصوتي في البردة عموما ليس عنصرا مباشرا، ولا هيكلا ثابتا. فهو نمط حركّي يحمل أعباء المعنى والايقاع، وينفذ الى ما وراء الخصائص الواعية للتفكير والشعور، ويعبر من خلال تنوّعه عن أهداف ومعان، تساعده في تجسيدها عناصر صرفية ونحوية نشرع في تفصيل القول فيها في الفصول الآتية:

الفصل الثاني

البنية الصّرفية

1 — بنية الأفعال
2 — بنية الأسماء

«وعلم آدم الأسماء كلّها، ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم».

سورة البقرة الآية 31 و 32

نهتم في هذا الفصل بالظواهر الصرفية التي شكّلت ظاهرة ذات بال في البردة.

وقد انطلق البحث من علم اللغة العربية القديم في ضوء المورفولوجيا[1]. ولعلّ من المفيد — في هذا المقام — أن يشير الى أن المعاجم اللسانية في تعريف الصرف (مورفولوجيا) تميز بين المفهوم «التقليدي» والمفهوم «الجديد» ويقصد بالمفهوم التقليدي ما يرجعَ الى التقاليد اليونانية. ففي هذا الاتجاه يطلق علم الصرف (مورفولوجيا) على دراسة أبنية الكلمات انطلاقا مما يطرأ على أشكالها من تغيير يرجع الى الاعراب من جهة، أو ما يدخل عليها من زوائد ترجع الى الاشتقاق من جهة أخرى. فالمورفولوجيا من هذه الناحية إذن تجمع بين الدراسة الوظيفية وعلم التركيب syntaxe. أما في اللسانيات العصرية فإن للفظ معنيين أساسيين: الأول وصف القواعد التي تحدد البنية الداخلية للكلمات أي قواعد ترتيب الوحدات الصرفية التي تكوّن الكلمات. وكذلك وصف مختلف أشكال هذه الكلمات حسب العدد (الأفراد، والتثنية، والجمع)، والجنس (التذكير والتأبيد)، والزمن (الماضي، والحاضر والمستقبل)، والأشخاص (متكلم، مخاطب، غائب)، والأعراب (نصب، رفع، جر، جزم). والثاني هو في الوقت نفسه وصف قواعد البنية الداخلية للكلمات، وقواعد الترتيب التركيب للجمل[2]، وهي في نظر تدروف Todorov وديكرو Duerot علم يبحث في كيفية حدوث الوحدات الدلالية monémes فونولوجيا حسب السياق الذي تظهر فيه[3]. ويقابل هذه التحديدات مفهوم أوسع يجمع الفنين في باب واحد وهو المورفولوجيا والتركيب[4] morpho-syntaxe، لأنهما يؤديان الخدمات نفسها[5].

أما علم الصرف عند اللسانيين العرب فهو علم يدرس بنية الكلمات وأشكالها لا لذاتها وإنما لغرض دلالي أو لغرض صرفي يفيد خدمة الجمل والعبارات.

(1) morphologie، ترجمت بعلم الصيغ، وعلم الصرف، وتركت على أعجميتها.
(2) أخذنا هذا التعريف — بتصرف — من Dubois et Auteres; Dictionnaire de linguisti (morphologie).
(3) أنظر: oswald et tzvetan, Dictionnaire en cyclopedique des (morphologes) sciences du langage (4).
(5) أنظر: لانسون وما ييه، منهج البحث في اللغة والأدب، ترجمة محمد مندور، ص 75.

ومن أهمّ قضاياه: المشتقات وأزمنة الأفعال، والتصريف والتنكير، والتعدي واللزوم، والمغايرة في الصيغ[1]. يضاف إلى هذا كلّه الأوزان ودلالاتها والجموع بأنواعها[2](*).

وأما أسس دراستنا هذه فتنطلق من التراث اللغوي العربي القديم في ضوء اللسانيات[3]. ذلك أن الوصف يقوم على رؤيتين: أولاهما ـ تقسيم ركّزنا على الصيغ التي ولّد استخدامها دلالات متميزة، وبنية الأسماء ويها ركّزنا على المصادر والمشتقات وأنواع الجموع، والأسماء بصفة عامة. وثانيتها: استفادة من علم الأصوات والبحوث التطبيقية الجادة التي أحسنت استغلال هذا العلم.

وأملنا من هذا كلّه وصف النظام الصرفيّ في البردة لكشف أسرار اللغة وتحديد نظامها المتين في فترة من فتراتها التاريخية بالاعتماد على نص حيّ يعدّ من روائع الأدب العربي.

أولا ـ بنية الأفعال:

نهتم في هذا القسم بالتركيب الافرادي ودلالاته في البردة. وقد حدّدناه في بناءين: البناء الأول ويشمل الصيغ الصرفية كفعل، وفعّل وفاعل... وغيرها. وقد أطلقنا عليه اسم الصيغ البسيطة، وسمينا البناء الثاني الصيغ المركبة.

أ الصيغ البسيطة:

توزّع هذا البناء على النحو التالي:

---

(1) د. كمال بشر، مفهوم علم الصرف، عن محمود أحمد نحلة، لغة القرآن، ص 383.
(2) د. عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، ص 147.
(*) نشير إلى أنه لا يعنينا مواطن الوفاق، والخلاق في هذه التعريفات القديمة والحديثة، لأن البحث تطبيقي ولا يتسع لمثل هذه القضايا.
(3) من البحوث التي استفاد منها بحثنا ـ بحق ـ إبراهيم مصطفى، «النبية اللغوية لشعر عروة بن الورد» (رسالة ماجستير غير منشورة)، قسم الدراسة الصرفية. والطيب البكوس «علم الصرف بين النظريات العربية والألسنية الحديثة» المجلة التونسية للعولم الاجتماعية، العدد 66، ص 7 وما بعدها. و «محاولة تطبيق منهجية الوصف الهيكلي الآني على نماذج من الأبنية الصرفية العربية»، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعي، العدد 67، ص 136 وما بعدها.

1 ـ فعِل(*):

ورد بناء فعل في البردة ست مرات دلّ فيها على الأعراض من العلل وغيرها، وذلك في ستة أفعال: أرقت، تربت، ظميء حمي، عمي، ظفر، فالأرق، والترب، والظمأ، والحمى، والعمى، والظفر أعراض وأدواء، فكما أن العمى داء فان الظفر وهو الفوز من باب فرح الذي يضاد الأحزان وهي أدواء في القلب[1]. وقد جاءت هذه الأفعال في قوله:

لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل ولا أرقت لذكر البان والعلم(239)
ولن يفوت الغنى منه يدا تربت إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم(248)
وساء ساوة أن غاضت بحيرتها ورد واردها بالغيظ حين ظمي(242)(**)
مثل الغمامة أنّي سار سائرة تقيه حروطيس للهجير حمي(243)
وما حوى الغار من خير ومن كرم وكلّ طرف من الكفّار عنه عمى(243)
قرّت بها عين قاربها فقلت له لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم(245)

كل الصيغ المذكورة في هذه الأمثلة أفعال لازمة ما عدا صيغتي: «ظفر، وعمي» فهما متعديان بحرف (ظفر به، وعمي عنه).

2 ـ فعّل(***):

ورد بناء فعّل بتضعيف العين عشر مرات توزّع حسب المعاني التالية:

(*) أنظر معاني فعل سيبويه، الكتاب، ج 17/4 ـ 21، وابن يعيش، شرح المفصل، ج 157/7. وابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ص 196. والشيخ رضى الدين، شرح شافية ابن الحاجب، ج 72/1 ـ 73 (نشير له بشرح الشافية). والطيب البكوش، التصريف العربي، ص 85. ومما يلاحظ في هذا الكتاب أن المؤلف قد أسند الصيغ اللازمة الى الصفات، وأسند الصيغ اللازمة الى الصفات، وأسند الصيغ التعدية الى الأفعال، لأنها متضمنة معنى الحركة والمجهود الجسمي والعقلي. وقد عثرنا على صيغتين في البردة من هذا الوع: «ظفر، وعمي».
(1) ابن يعيش، شرح المفصل، ج157/7.
(**) حذف الناظم همزة «ظميء» اضطرارا. وهذا جائز في الشعر. أنظر عبد الله محمد. ابن جعفر القيراوني، ما يجوز للشاعر في الضرورة، ص 95 ـ 96.
(***) أنظر ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 354. ابن يعيش، شرح المفصل، ج 159/7 وابن عصفور، الممتع في التصريف، ج 189/1.

أ ــ التعدية:

والتعدية تعني أن الفعل إن كان لازما صار متعديا الى مفعول، وإن متعديا الى مفعول صار متعديا الى مفعولين، وإن كان متعديا الى مفعولين صار متعديا الى ثلاثة.

جاء لهذا المعنى أرّقني، يقوي، في قوله:

نعم سرى طيف من أهوى فأرقني   والحب يعترض اللذات بالألم(239)
فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها   إن الطعام يقوي شهوة النّهم(239)

الفعلان: أرّق، ويقوّي لازمان في صيغة الثلاثي، وقد تعديا الى مفعول.

ب ــ المبالغة(*):

من الأفعال التي دلّت على هذا المعنى جدّلت، قدّمتك، تفرّق، ولويت. في قوله:

كم جدّلت كلمات الله من جدل   فيه وكم خصم البرهان من خصم(247)
وقدّمتك جميع الأنبياء بها   والرسل تقديم مخدوم على خدم(245)
طارت قلوب العدا من بأسهم فرقا   فما تفرّق بين البهم والبهم(247)
وجلّ مقدار مولّيت من رتب   وعزّ إدراك ما أوليت من نعم(246)

الفعل: «جدّلت» يدل على عدد المرات التي كانت فيها الغلبة مع شدة القطع للقرآن الكريم. والفعل «قدّمك» يدل على المبالغة والتعظيم، غير أن الناظم ــ في البيت ــ قد جانب الوصف والكياسة، لأن صورة تقديم الرسل والأنبياء للرسول ﷺ على أنفسهم تقديم الخدم لسيدهم وهذا تشبيه غير لائق، لأن في الأنبياء جدين عظيمين للرسول ﷺ هما: إبراهيم وإسماعيل عليهما

(*) انظر ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 354. وابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص 222 (نشير له بالصاحبي). وأحمد بن محمد الميداني، نزهة الطرف في علم الصرف، ص 146 (نشير له بنزهة الطرف).

السلام(1). والفعل «تفرق» يدل على المبالغة في وصف قوة أبطال المسلمين وشدتهم والفعل وليت يدل على الكثرة والمبالغة في وصف الرتب والأماكن المرموقة التي تولاّها الرسول ﷺ.

ج ــ جاء فعّل «بمعنى جعلته كذا(*)»:

ورد لهذه الدّلالة الفعل حسّنت في قوله:

كم حسّنت لذة للمرء قاتلة   من حيث لم يدر أن السم في الدّسم(240)

الفعل «حسّنت» بتضعيف العين يدل على التجميل. فحسّنت لذة للمرء أي جعلتها جميلة أو جمّلتها. وهذه صفة من صفات النفس الأمّارة بالسّوء.

د ــ فعّل بمعنى فعل(**):

ورد لهذا المعنى محّضتني، ومحضاك في قوله:

محضتني النصح لكن لست أسمعه   إن المحب عن العذال في صمم(239)
وخالف النفس والشيطان واعصهما   وان محضاك النصح فاتهم(240)

الفعلان: محضتني، ومحضاك استخدما بمعنى فعل، فتقول محّضتني النصح، ومحضتني النصح. لكن الزيادة المتمثلة في تضعيف العين تفيد التأكيد، لأن الزيادة بلا غرض لفظي أو معنوي عبث(***).

ورد لهذا المعنى «أكدت»، «أوقره»، «تميزهم»، رنّحت»، في قوله:

وأكّدت زهده فيها ضرورته   إن الضرورة لا تعدو على العصم(240)
لو كنت أعلم أني ما أوقّره   كتمت سرا بدا لي منه بالكتم(289)

---

(1) د. أحمد الحرفي، «حول البوصيري»، مجلة الثقافة، العدد 49، ص 44.
(*) أنظر الميداني، نزهة الطرف، ص 146.
(**) أنظر الميداني، نزهة الطرف، ص 148.
(2) الرضي، شرح الشافية، ج1 / 83 ــ 91.
(***) أنظر الميداني، نزهة الطرف، ص 148.

شاكي السلاح لهم سيمى تميزهم … والورد يمتاز بالسيمي عن السلم(247)

ما رنّحت عذبات البان ريح صبا … وأطرب العيس حادي العيس بالنغم(249)

الواضح أن الضيغ: «أكّدت»، «تميزهم»، «رنّحت»، ـــ ليست لها دلالات مباشرة أي محدّدة كما هو الشأن في الصيغ السابقة. لكن إذا عمقنا النظر في استخدام هذه الأفعال نستنتج أن لها دلالات غير مباشرة، حيث نستمد من الفعل «أكدت» قوة عقيدة الرسول ﷺ، ومن الفعل «تميزهم» الخصوصية التي تفرق بين المسلمين والمشركين، ومن الفعل «رنّحت» نشوة الاحساس بالجمال والفن والطرب. فالقول إذن بأنها بنيات لايراد بها زيادة معنى. هذا من حيث الدّلالة المباشرة، أما من حيث الاستعمال فإننا نؤمن بأن البناء الصرفي ليس صيغا متميّزة أو مستنقلة مضموما بعضها الى بعض دون تفاعل أو تداخل، بل هي عناصر حيّة تستمد من السياق نشاطها وحيوتها، فتؤثر فيه ويؤثر فيها، يخلقها وتخلقه، لأن الصيغ مثلها مثل الكائن الحي يكتسب حياته بالتفاعل مع أبناء جنسه من حيث التأثر بهم والتأثير فيهم.

3 ـــ فاعل:

الأصل أن يكون هذا البناء بين اثنين وذلك أن يفعل كل واحد منهما ما يفعل الآخر. ويعبر عنه أيضا بالمفاعلة(1). وقد وردت صيغة فاعل للدلالة على المشاركة والبالغة.

أ ـــ المشاركة (المجازية):

لو ناسبت قدره آياته عظما … أحيا اسمه حين يدعي دارس الرّم(241)

يبدو أن الفعل «ناسبت» يحمل معنى الاشتراك بين شيئين أو أكثر والاشتراك هنا حاصل بين قدر الرسول ﷺ وبين آياته.

(1) حول هذه الدّلالة أنظر ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 358، وابن فارس، الصاحبي، ص 222، ود. مزيد اسماعيل نعيم، الصيغ الرباعية والخماسية، ص 249.

ب ـــ المبالغة:

وراودته الجبال الشم من ذهب … عن نفسه فأراها أيما شمم(240)

أفادت صيغة «راودته» المبالغة، اذ تعني أن الجبال العوالي من ذهب قد طلبت من الرسول ﷺ أن يطاوع نفسه، لكنه أعرض إعراضا شديدا. والتعبير مقتبس من القرآن الكريم(1).

4 ـــ أفعل:

جاء هذا البناء ـــ في البردة ـــ دالا على المعاني التالية:

أ ـــ التعدية(*):

ورد لهذه الدّلالة: أثبت، أطلقت، أعيا، أغنت، أجفلت، أحيت، أحيا، أطرب، أطفأت، يظهر، تبقين، ينبت، أحلّ، ألزمت، أراها، تهمله، تكل.

وأثبت الوجد خطي عبرة وضني … مثل البهار على خديك والعنم(289)

كم أبرأت وصبا باللمس راحته … وأطلقت أربا من ربقة اللمم(244)

أعيا الورى فهم معناه فليس يرى … في القرب والبعد فيه غير منفحم(241)

وقاية الله أغنت عن مضاعفة … من الدر ع ن عال من الأطم(243)

راعت قلوب العدا أنباء بعثته … كنبأة أجفلت عقلا من الغنم(246)

وأحيت السنة الشهباء دعوته … حتى حكت غرة في الأعصر الدهم(244)

ظلمت سنة من أحيا الظلم الى … شتكت قدماه الضر من ورم(240)

ما رنّحت عذباد، البان يح … طرب العيس حادي العيس بالنغم(249)

ان تتلها خيفة من حرب … أطفأت نار لظى من وردها الشبم(245)

فإنه شمس فضل هم كواكبها … يظهرن أنوارها للناس في الظلم(242)

محكّمات فما تبقين من شبه … لذي شقاق وما تبغين من حكم(244)

(1) يوسف (23).

(*) أفاد البحث من: ابن منظور، لسان العرب، وموسى بن محمد بن الملياني والأحمدي نويوات، معجم الأفعال المتعدية بحرف.

ولن يفوت الغنى منه يدا تربت — إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم(248)
أحلّ أمته في حرز ملته — كالليث حلّ مع الأشبال في أجم(247)
ومنذ ألزمت أفكاري مدائحه — وجدته لخلاصي خير ملتزم(248)
وراودته الجبال الشم من ذهب — عن نفسه فأراها أيما شمم(240)
والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على — حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم(239)
كالشمس تظهر للعينين من بعد — صغيرة وتكل الطرف من أمم(241)

كل هذه الصيغ لأزمة وصارت بدخول همزة القطع عليها متعدية الى مفعول ما عدا الصيغ: أحلّ، «ألزمت»، «أراها» فهي متعدية إلى مفعولين.

ب ــ جعل الشيء ذا أصله(*):

جاء لهذا المعنى: أعدّت، تهدي:

ولا أعدّت من الفعل الجميل قرى — ضيف ألم برأسي غير محتشم(239)
تهدي اليك رياح النصر نشرهم — فتحسب الزهر في الأكمام كل كمي(247)

وردت الصيغتان: أعدّ، وتهدي بمعنى جعل الشيء ذا أصله أو نفس أصله ذلك أن الفعلين: أعدّ جعله عدّة، وتهدي جعله هدية، والهدية هنا الخبر السار.

ج ــ الازالة والسلب(**):

ورد لهذه الدّلالة: «أبرأت»

كم أبرأت وصبا باللمس راحته — وأطلقت أربا من ربقة اللمم(244)

الفعل «أبرأت» يفيد الازالة والأزاحة على قراءة «وصب» بفتح الصاد، وقد يكون بمعنى جعل الشيء ذا أصله على قراءة «وصب» بكسر الصاد.

(*) أنظر الشيخ الرضي، شرح شافية ابن الحاجب، ج 87/1. وعصام نور الدين أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، ص 147.
(**) أنظر ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 348. وعصام نور الدين، أبنية الفعل، ص 149.

د ــ أفعل بمعنى صاحب كذا:

ورد لهذه الدّلالة: «أنصفت»:

يا لائمي في الهوى العذري معذرة — مني إليك ولو أنصفت لم تلم(239)

جاء الفعل «لو أنصفت» بمعنى لو كنت صاحب نصف أي صاحب عدل.

هـ ــ أفعل بمعنى فعل(*):

ورد لهذا المعنى: أومض، ألمّ، أطعمت، تنكر.

أم هبّت الريح من تلقاء كاظمة — وأومض البرق في الظلماء من إضم(238)
ولا أعدّت من الفعل الجميل قرى — ضيف ألمّ برأسي غير محتشم(239)
أطعت غيّ الصبا في الحالتين وما — حصلت إلا على الآثام والندم(247)
ولا تطع منهما خصما ولا حكما — فأنت تعرف كيد الخصم والحكم(240)
لا تنكر الوحي من رؤياه إن له — قلبا إذا نامت العينان لم ينم(243)

جاءت هذه الصيغ بمعنى فعل. غير أن زيادة همزة القطع تفيد التأكيد، لأن الزيادة مفيدة وإلا كانت عبثا(1).

و ــ أفعل بنية لا يراد بزيادتها معنى:

ومن صيغ هذا البناء: أدرك، أقسم.

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته — قوم نيام تسلوا عنه بالحلم(241)
أقسمت بالقمر المنشق إن له — من قلبه نسبة مبرورة القسم(243)

5 ــ تفعّل:

ارتبط هذا البناء بدلالات توزّعت على النحو التالي:

(*) انظر ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 356. وابن يعيش، شرح المفصل، ج 159/7.
(1) انظر الشيخ الرضى، شرح الشافية، ج 83/1 و 91.

أ ــ تفعّل بمعنى استفعل(*):

من الصيغ الدالة عليه: تولّى.

فاصرف هواها وحاذر أن توليّه … إن الهوى ما تولّى يصم أو يصم(239)

تفعّل بمعنى استفعل على نحو ما في البيت: «تولّى أي أستولى». لاعتقاد في الشيء أنه على صفة أصله أي اعتقد فيه أنه واليّ.

ب ــ الاتخاذ(**):

من الصيغ الدالة على هذا المعنى: «تزوّدت»، «تحلّى».

ولا تزودت قبل الموت نافلة … ولم أصل سوى فرض ولم أصم(240)

ولن يضيق رسول الله جاهك بي … إذا الكريم تحلّى باسم منتقم(248)

الفعل (تزوّد) يعني الاتخاذ، وهو بمعنى جعل الشيء ذا أصله، إذ تزوّد معناه اتخذ زادا. وقد تعدى إلى مفعولين. أفاد المفعول الثاني بيان أصل الفعل باعتبار الزاد بيان التزوّد. وقد ورد هذا البيان منفيا، لأن الناظم لم يبادر إلى فعل الخير والأعمال الصالحة.

والفعل (تحلّى) ورد بمعنى اتخذ حليا، والمراد به في هذا البيت هو أن الله تعالى أوقع الانتقام، لأن التحلية تجدّد الصفة وهي في حق الله تعالى محال باعتبار أن صفاته قديمة لا تزول(1).

ج ــ صيرورة الشيء ذا أصله(***):

من الصيغ الدّالة عليها: «تفرّس»:

يوم تفرّس فيه الفرس أنهم … قد أنذروا بحلول البؤس والنقم(242)

(*) المصدر نفسه، ص 106.

(**) انظر ابن يعيش، شرح المفصل، ج 158/7. وابن مالك، تسهيل الفوائد، ص 199 والشيخ الرضى، شرح الشافية، ج 104/1، وعصام نور الدين، أبنية الفعل، ص 159ــ160.

(1) انظر حاشية الباحوري على متن البردة، ص 78.

(***) انظر الشيخ الرضى، شرح الشافية، ج 107/1.

صيغة «تفرّس» بمعنى صيرورة الشيء ذا أصله ذلك أن تفرّس الفرس أي صاروا ذوي فراسة. والفراسة هي قوة تدرك بها الأمور الخفية(1).

6 ــ انفعل(*):

من الأفعال المرتبطة بهذه الصيغة الفعل «ينفطم». وقد دلّ على المطاوعة:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على … حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم(239)

الفعل في هذا مطاوع «فعل»، وهذه الصفة أصل فيه، لأنه يجوز أن يقال فطمته فانفطم. والمطاوعة ــ بحسب السياق ــ تصور طبيعة النفس اللينة وقدرة المرء على التحكم فيها.

7 ــ افتعل(**):

توزّعت صيغة افتعل في البردة على المعاني التالية:

أ ــ المطاوعة(***):

«وهي تعني قبول الأثر وعدم الامتناع عليه باعتبار المطاوع في الأساس هو المفعول به الذي يصير فاعلا»(2).

ومن الصيغ الدالة على هذا المعنى: «اتعظت»، «امتلأت»، «ائتمرت»، «اتصلت»:

فإن أمّارتي بالسوء ما تعظت … من جهلها بنذير الشيب والهرم(239)

واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت … من المحارم والزم حمية الندم(240)

(1) ابن منظور، اللسان. (فرس).

(*) انظر سيبويه، الكتاب، ج 65/4. والمبرد، المقتضب، ج 154/2.

(**) انظر معاني افتعل. ابن جني المنصف، ج 75/1. والميداني، نزهة الطرف، ص 150 وابن عصفور، الممتع في التصريف، ج 193/1. والشيخ الرضى، شرح الشافية، ج 108/1.

(***) انظر سيبويه، الكتاب، ج 65/4.

(2) الشيخ الرضى، شرح الشافية، ج 103/1.

امرتك الخير لكن ما ائتمرت بـه   وما استقمت فما قولي لك استقم(240)
وكل آي أتى الرسل الكرام بها   فإنما اتصلت من نوره بهم(242)

الصيغ في هذه الأمثلة لأزمة والمطاوعة فيها قائمة مقام «انفعل» مطاوع «فعل» نحو وعظته فاتعظ، وملأته فامتلأ، وأمرته فائتمر، ووصلته فاتصل.

ب ــ افتعل بمعنى فعل(*):

الصيغ الدالة عليه: «اشتكت»، «اقتطفت»، «التمست»، تخترق. وهي أفعال متعدية تحمل معنى فعلها الثلاثي المجرد:

ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى   أن اشتكت قدماه الضر من ورم(240)
ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطفت   يدا زهير بما أثنى على هرم(248)
ولا التمست غنى الدارين من يده   إلا استلمت الندى من خير مستلم(243)
وأنت تخترق السبع الطباق بهم   في موكب كنت فيه صاحب العلم(245)

ج ــ افتعل بمعنى تفعّل:

الصيغ الدالة عليه: «استلمت»

ولا التمست غنى الدارين من يده   الا ستلمت الندى من خير مستلم(243)

الصيغة «استلمت بمعنى تسلّمت».

د ــ افتعل بمعنى أفعل:

الصيغة الدالة عليه: «احتكم».

دع ما ادعته النصارى في نبيهم   واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم(241)

احتكم بمعنى أحكم وهي ــ في هذا البيت ــ تأكيد للفعل أحكم.

(*) انظر ابن جني، المنصف، ج 75/1. والميداني، نزهة الطرف، ص 150.

هـ ــ افتعل بمعنى استفعل(*):

الصيغة الدالة عليه: «اعتصم»

قرت بها عين قاريها فقلت لـه   لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم(245)

الفعل اعتصم ــ في هذا البيت ــ بمعنى استعصم، لأن اعتصم به واستعصم يرادفان امتنع وأبى.

و ــ الاتخاذ(**):

من الصيغ الدالة على هذا المعنى: «اصطفاه»:

فهو الذي تم معناه وصورته   ثم اصطفاه حبيبا بارىء النسم(241)

اصطفاه حبيبا «بمعنى اتخذه حبيبا، والمراد اتخذ الله الرسول ﷺ حبيبا أي جعله حبيبا له.

ز ــ افتعل بمعنى صار الشيء ذا أصله:

الصيغ الدالة عليه: يعترض:

نعم سرى طيف من أهوى فأرقني   والحب يعترض اللذات بالألم(239)

الفعل يعترض على زنة يفتعل، ورد بمعنى صار الشيء ذا أصله على نحو ما في البيت اعترض اللذات بالألم أي صار عارضا لها بالألم.

ح ــ افتعل للتعريض:

من الصيغ الدالة على هذا المعنى: «يمتحنا»، «اتّهمت».

لم يمتحنا بما تعيا العقول بـه   حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم(241)
إني اتهمت نصيح الشيب في عذل   والشيب أبعد في نصح عن التهم(239)

(*) انظر هامش نزهة الطرف للميداني، ص 153.
(**) انظر الشيخ الرضي، شرح الشافية، ج 109/1

في الفعل «يمتحن» معنى التعريض، لأنه تعريض المفعول لمعنى الفعل على نحو ما في البيت «لم يمتحنا» أي لم يعرّضنا لمحنة تتعب عقولنا. كما ارتبط الفعل «اتهمت» بالدّلالة نفسها، فاتهمه جعله عرضة للاتهام.

ط ـــ التشارك(*):

من الصيغ الدّالة على هذا المعنى: «تقترن»:

لم تقترن بزمان وهي تخبرنا — عن المعاد وعن عاد وعن إرم(244)

ورد الفعل «تقترن» على زنة تفتعل بمعنى التشارك، لأن الاقتران يفيد أن شئين قد اقترنا أو تقارنا(1). أي صار كل منهما قرينا مصاحبا. وقرين بمعنى مقرون (على المجاز).

استفعل:

توزع هذا البناء على المعاني التالية:

أ ـــ الطلب والسؤال:

الصيغ الدالة على هذا المعنى: «استغفر»، «استجرت»، «استقيل»:

استغفر الله من قول بلا عمل — لقد نسبت به نسلا لذي عقم(240)

ما سامني الدّهر ضيما واستجرت به — إلا ونلت جوارا منه لم يضم(243)

خدمته بمديح استقيل به — ذنوب عمرمضي في الشعر والخدم(247)

كل الصيغ في هذه الأمثلة تفيد الطلب، فاستغفر لطلب المغفرة، واستجار لطلب الجوار، واستقال لطلب الأقالة، وهي الأخذ باليد عند العثار(2).

ب ـــ المطاوعة(**)، في مثل «استقمت»، «استقم»:

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به — وما استقمت فما قولي لك استقم(240)

استقام مطاوع أقام نحو أقمته فاستقام.

(*) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 361.
(1) أنظر ابن منظور اللسان، مادة «قرن».
(2) أنظر ابن منظور، اللسان، مادة (قيل).
(**) أنظر ابن مالك، تسهيل الفوائد، ص 200، والميداني، هامش نزهة الطرف، ص 153.

ج ـــ استفعل بمعنى أفعل:

ورد لهذه الدّلالة: استفرغ، استفاق:

واستفرغ الدمع مع من عين قد امتلأت — من المحارم والزم حمية الندم(240)

فما لعينيك إن قلت اكففا همتا — وما لقلبك إن قلت استفق يهم(239)

«استفرغ، واستفق» بمعنى أفرغ، وأفق. وقد فضّل الناظم صيغة استفعل لقوتها الدّلالية، ولأنها تستعمل في المعنوي أكثر مما ترد للمحسوس.

د ـــ استفعل بمعنى وجد الشيء ذا أصله(*):

من الصيغ الدالة على هذا المعنى: «استحلت»:

وراعها وهي في الأعمال سائمة — وإن هي استحلت المرعى فلا تسم(240)

الفعل حلا في الأصل لازم، ولما أدخلت عليه الزوائد: الهمزة، والسين، والتاء صار متعديا الى مفعول على نحو ما في البيت استحلت المرعى أي وجدته حلوا.

ب ـــ الصيغ المركبة(**):

نعني بالصيغة المركبة البنية الصرفية المتكونة من «حرف + فعل» أو من «فعل الكينونة وما ماثله + فعل، حيث يعد الحرف والفعل أو فعل الكينونة وما ماثله صيغة واحدة ذات دلالة واحدة.

هذه الصيغ المركبة قد شكّلت ظاهرة أسلوبية متميزة في البردة. وهذا التميز آتٍ من كون اللغة العربية قد تفردت عن أخواتها الساميات بهذه

(*) سيبويه، الكتاب، ج 70/4.
(**) أفادت البحث من جهود، مهدي المخزمي ـــ في النحو العربي نقد وتوجيه، ص 141 ـــ 160، وتمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ص 240 وما بعدها، ومحمود أحمد نحله، لغة القرآن، ص 421 وما بعدها.

الميزة، لأن هذا التركيب يعطي أبنية الفعل تخصيصا وتنويعا أكثر بكثير مما يوجد في أية لغة من اللغات السامية[1].

وقد صنّفنا هذه الصيغ بحسب خصائصها مراعين القرائن والسياق. بحسب أنماط[2] وصور كالآتي:

النمط الأول: قد + فعل تام أو ناقص:

وردت الصيغ المركبة — في هذا القسم — متنوعة، فمنها ما هو مكون من (قد + فعل) أو (قد + أفعل)، ومنها ما هو مكون من (كان + يفعل) و (كاد + يفعل)، و (مازال + يفعل). وتبدو هذه الصيغ في: «قد امتلأت»، «قد أنذروا»، «قد جاءوه»، «قد تنكر»، «كنت أعلم»، «كادوا يغبطون»، «ما زال يلقاهم»:

واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت　　من المحارم والزم حمية الندم(240)

يوم تفرس فيه الفرس أنهم　　قد أنذروا بحلول البؤس والنقم(242)

كأنها الحوض تبيض الوجود به　　من العصاة وقد جاءوه كالحمم(245)

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد　　وينكر الفم طعم الماء سقم(245)

لو كنت أعلم أني ما أوقره　　كتمت سرا بدالي منه بالكتم(239)

ودوا الفرار فكادوا يغبطون به　　أشلاء شالت مع العقبان والرخم(246)

ما زال يلقاهم في كل معترك　　حتى حكوا بالقنا لحما على وضم(246)

الناظر في هذه الظاهرة الصرفية يجد أن بعض الصيغ المركبة تعبر عن وقوع الحدث في الزمان الماضي المنتهي بالحاضر. من ذلك أن الناظم في البيت الأول يربط الماضي المنتهي بالحاضر، والدّلالة الزمنية في الصيغة نفسها تكشف عن البرهة الزمانية التي عدل الناظم فيها من الماضي بطلب المغفرة من الله، والندم على ما وقع في ذلك الماضي. وشبيه بهذا: «قد أنذروا»، و «قد جاءوه، وقد تنكر».

---

(1) برجشتراسر، التطور النحوي. ص 57.

(2) لا نعني بالنمط اتجاها معينا في اللسانيات، وإنما هو بنية رياضيّة تضم عناصر لغوية تجمعهم علاقة واحدة. أنظر Dubois et autres Dictionnaire de linguitique (modéle).

أما الصيغ المركبة الأخرى فمنها ما دلّ على الزمن الماضي المتجدد[1] نحو «كنت أعلم[2]»، ومنها ما دلّ على المقاربة نحو «كادوا يغبطون».

هذا المركب(*) يصور تصويرا دقيقا فترة الزمن التي تمنّى فيها الأعداء الفرار من شدة هول الحرب، ولكنهم لم يدركوا ما تمنوا وإنما اقتربوا منه فكادوا يغبطون به. ومنها ما دلّ على معنى الماضي المتصل بالحاضر[3]، نحو «ما زال يلقاهم[4]»، وفي هذا الاستخدام الصرفي براعة وحسن بيان، لأن الوصف يدل على أن الرسول ﷺ مستعد للقاء أعدائه في أي وقت، فهو لم ينفك يلقاهم في كل معترك دون فرّ ودون كلل، بل يستمر في حربهم حتى يصيّرهم أجسادا هامدة.

النمط الثاني : اللام + قد + فعل:

لم يكثر في البردة استخدام هذا النوع. وما عثرنا عليه جد قليل. وقد ورد هذا البناء في الأبيات التالية:

استغفر الله من قول بلا عمل　　لقد نسبت به نسلا لذي عقم(240)

قرت بها عين قاريها فقلت له　　لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم(245)

يدلّ المركّبان: «لقد نسبت»، و «لقد ظفرت» على الزمن الماضي المنتهي بالحاضر[5] ففي المركّب الأوّل إحساس بالذنب بسبب التقصير في حق الله. وفي الثاني تأكيد لفوز قارىء القرآن، لأن القرار والطمأنينة نتيجه لتلاوة القرآن.

---

(1) تمام حسان، اللغة العربية، الجدول الأخير من الكتاب.

(2) أنظر الجملة الشرطية، الفصل الثالث، ص 208—209.

(*) نطلق على الصيغة المركبة اسم المركب للاختصار.

(3) تمام حسان، اللغة العربية، ص 246.

(4) أنظر الجملة الواقعة خبرا، الفصل الثالث، ص 225آ

(5) تمام حسان، اللغة العربية، ص 246.

النمط الثالث: أداة نفي + فعل:

يعد هذا الشكل من أكثر الأصناف تواترا في البردة. وقد توزّع بحسب الصور التالية:

الصورة الأولى: لم + يفعل:

عبّرت الصيغة المركّبة «لم يفعل» في البردة عن الزمن الماضي المستمر(1):

لم يمتحنـا بما تعيـا العقـول بـه   حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم(241)
من بعد ما أخبر الأقوام كـأهنهم   بـأن دينهم المعـوج لم يقـم(243)
لا تنكر الوحي من رؤياه إن لـه   قلبا إذا نامت العينان لم ينـم(243)
لم تقتـرن بزمـان وهـي تخبرنـا   عن المعاد وعن عاد وعن ارم(244)
دامت لدينـا ففـاقت كل معجـزة   من النبيين إذ جاءت ولم تـدم(244)
وكالصراط وكالميـزان معدلــة   فالقسط من غيرها في الناس لم يقم(245)
وبت تـرق إلى أن نـلت منزلـة   من قلب قوسين لم تدرك ولم ترم(245)
حتـى إذا لم تـدع شأ والمستبـق   من الدنو ولا مـرق لمستنـم(245)
مكفولـة أبـدا منهم بخير أب   وخير بعل فلم تيتم ولم تئـم(246)
لولا الهوى لم ترق دمعا على طلـل   ولا أرقت لذكر البان والعلـم(239)
ولا تـزوّدت قبـل الموت نافلـة   ولم أصل سوى فرض ولم أصم(240)
ظنوا الحمام وظنوا العنكبـوت على   خير البرية لم تـنسج ولم تحم(243)
فيـا خسارة نـفس في تجارتها   لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم(247)
ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطـفت   يـدا زهير بما أتى على هـرم(248)
يا لائمي في الهوى العذري معـذرة   منى اليك ولو أنصفت لم تلم(239)
وكيـف تدعـو إلى الدنيـا ضرورة   من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم(240)
فـاق النبـيين في خلـق وخلـق   ولم يدانوه في علم ولا كـرم(244)
عمـوا وصمـوا فإعـلان البشائـر لم   تسمع وبارقة الانـذار لم تشم(243)
ما سامني الدهر ضيما واستجرت به   إلا ونلت جوارا منه لن يضم(243)

(1) انظر تمام حسان، اللغة العربية، ص 247. وأحمد ماهر البقري، أساليب النفي في القرآن، ص 103.

يستنتج من هذه الأبيات أن المركب «لم يفعل» عبّر عن الزمن الماضي المستمر، وكشف عن غرض من أغراض الرسالة البوصيرية، وهي حقائق تتجدد لأنها مستمدة قوتها من عزة الأسلام، وعزة الرسول محمد ﷺ.

ودلّ المركب «لم يفعل» في الأمثلة كلّها على نفي «فعل» في الزمن الماضي. قال، سيبيه في باب نفي الفعل: «إذا قال: «فعل» فإن نفيه (لم يفعل)، وإذا قال: (قد فعل)، فان نفيه (لما يفعل)(1).

الصورة الثانية: لا + يفعل:

الصيغة المركبة «لا تفعل» — في هذا السياق — دالة على الزمن السمتقبل البسيط(2)، أو على الزمن المطلق(3).

أما دلالتها على الزمن المستقبل فتبدو في: «لا ترم»، «لا تسم»، «لا تطع»، «لا تعجبن».

فـلا تـرم بالمعـاصي كسر شهـوتها   إن الطعام يقوى شهوة الفهـم(239)
وراعهـا وهـي في الأعمـال سائمـة   وإن هي استحلت المرعى فلا تسم(240)
ولا تطع منهما خصما ولا حكمـا   فأنت تعرف كيد الخصم والحكم(240)
لا تعجبـن لحسود راح ينكرهـا   تجاهلا وهو عين الحاذق الفهـم(245)

وأما دلالتها على الزمن المطلق فتبدو في: «لا تحصى، ولا تسام»:

فمـا تعـد ولا تحصى عجـائبها   ولا تسام على الاكثار بـالسأم(245)

ارتبطت الصيّغ المركّبة بالزمن الستقبل أو الزمن المطلق، فالمركبات «لا ترم، ولا تطع، ولا تسم، ولا تعجبن» دالة على النهي(2). وهو ممحض للاستقبال وقد خرج هنا الى معنى النصح والارشاد. وأما المركبان: «لا تحصى،

(1) سيبويه، الكتاب، ج 117/3.
(2) تمام حسان، اللغة العربية، ص 248.

ولا تسام» فدالان على الزمن المطلق، لأنهما لم يختصا بزمن معين بعدّ نفي حصول إحصاء عجائب الآيات القرآنية، والسأم عند الاكثار منها في أي زمن، والصيغتان: تحصى وتسام مبنيان لما لم يسم فاعله. وقد حذف الفاعل فيهما لأهمية الحدث ولعموم الدّلالة.

الصورة الثالثة : ما + فعل + وما + يفعل:

عبّرت الصيغتان المركبتان: «ما فعل»، و «ما يفعل» عن أزمنة مختلفة، لاختلاف القرائن، فمركب «ما فعل» دلّ على الماضي المنتهي بالحاضر. ومركب «ما يفعل» دلّ على الزمن المطلق(1).

قال الناظم:

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به   وما استقمت فما قولي لك استقم(240)
والكاتبين بسمر الخط ما تركت   أقلامهم حرف جسم غير منعجم(247)
أطعت غنى الصبا في الحالتين وما   حصلت إلا على الآثام والندم(247)
ما رنّحت عذبات البان ريح صبا   وأطرب العيس حادي العين بالنغم(249)
فما تعد ولا تحصى عجائبها   ولا تسام على الاكثار باسأم(245)

المركبات: «ما ائتمرت»، «ما استقمت»، «ما تركت»، «ما رنّحت»، وما حصلت «عبّرت عن الزمن الماضي المنتهي بالحاضر، أما المركب «ما [illegible]» فزمنه مطلق مستمر.

الصورة الرابعة: لن + يفعل:

الصيغ المركبة التي مثّلت هذه الصورة عبرت عن الزمن المستقبل القريب(2)، أو الزمن المستقبل الاستمراري(3).

---

(1) أحمد ماهر البقري، وأساليب النفي في القرآن، ص 84—85.
(2) تمام حسان، اللغة العربية، ص 248.
(3) المرجع السابق، ص 78. وأنظر تمام حسان، اللغة العربية، ص 248.

قال الناظم:

ولن يفوت الغنى منه يدا تربت   إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم(248)
ولن يضيق رسول الله جاهك بي   إذا الكريم تحلّى باسم منتقم(248)
ولن ترى من ولي غير منتصر   به ولا عدو غير منقصم(247)

المركبان: «لن يفوت، ولن يضيق». دالان على معنى الزمن المستقبل القريب، لأن الغنى قيمة معنوية مطلقة لا تقتصر على فئة دون أخرى أما المركّب «لن ترى» فمرتبط بالزمن المستقبل الاستمرار، لأن الانتصار بالرسول ﷺ مستمر مع أولائه المؤمنين المسلمين.

الصورة الخامسة: ليس + يفعل:

الصيغ المركّبة التي مثلت هذه الصورة عبّرت عن الزمن المطلق أو نفي الحال(1). وتبدو في: «ليس ينقص»، «ليس يرى»، «ليس ينكر»:

فالدّر يزداد حسنا وهو منتظم   وليس ينقص قدرا غير منتظم(244)
أعيا الورى فهم معناه فليس يرى   في القرب والبعد فيه غير منفحم(244)
وذاك حين بلوغ من نبوته   فليس ينكر فيه حال محتلم(244)

المركّبان: «ليس ينقص، وليس ينكر» دالان على الزمن المطلق، لأن المركّب الأول مندرج في سياق حكمي، والثاني مرتبط بتقرير حقيقة، وهي نبوّة الرسول ﷺ. وقد بني الفعل فيه لما لم يسم فاعله، وحذف الفاعل لوضوحه.

أما المركّب «ليس يرى» فيصور حالة عجز الخلق عن إدراك حقيقة الرسول ﷺ. وقد بني الفعل فيه لما لم يسم فاعله، وحذف الفاعل للعلم به. وهو دال من حيث الزمن على نفي الحال.

---

(1) انظر تمام حسان، اللغة العربية، ص 248. وأحمد البقري، أساليب النفي في القرآن، ص 78.

الخاتمة:

ارتبطت الصيغ البسيطة بالدلالات الآتية:

1 ــ فعل ــ دلّ على الأعراض من الأمراض والأدواء.

2 ــ فعّل ــ من معانيه.

أ ــ التعدية.

ب ــ المبالغة.

ج ــ جعل الشيء كذا.

د ــ بمعنى فعل.

3 ــ **فاعل ــ ومن معانيه: المشاركة والمبالغة.**

4 ــ **أفعل ــ ومن دلالاته:**

أ ــ التعدية.

ب ــ جعل الشيء ذا أصله أو نفس أصله.

ج ــ بمعنى فَعَل.

د ــ الازالة والسّلب.

هـ ــ كان صاحب كذا.

5 ــ **تفعّل ــ ومن معانيه:**

أ ــ الاتخاذ.

ب ــ صار الشيء ذا أصله.

ج ــ بمعنى استفعل.

6 ــ **انفعل ــ دلّ على المطاوعة:**

7 ــ **افتعل ــ ومن معانيه:**

أ ــ المطاوعة.

ب ــ الاتخاذ.

ج ــ صار الشيء ذا أصله.

د ــ التعريض.

هـ ــ التشارك.

و ــ بمعنى فعل.

ز ــ بمعنى أفعل.

ح ــ بمعنى تفعّل.

ط ــ بمعنى استفعل.

8 ــ **استفعل ــ من دلالاته:**

أ ــ المطاوعة.

ب ــ وجد الشيء ذا أصله.

ج ــ لمعنى أفعل.

ارتبطت الصيغ المركبة بالأزمنة الآتية:

ــ الزمن الماضي المنتهي بالحاضر: (قد فعل + لقد فعل + ما فعل).

ــ الزمن المطلق: (لا تفعل + ما يفعل + ليس يفعل).

ــ الزمن المستقبل البسيط: (لا تفعل).

ــ الماضي المستمر: (لم يفعل).

ــ الزمن المستقبل القريب: (لن يفعل).

ــ الزمن المستقبل الاستمراري (لن يفعل).

ــ الزمن الماضي المتجدد: (كان يفعل).

ــ الزمن الماضي المتصل بالحاضر: (ما زال يفعل).

ــ نفي الحال: (ليس يفعل).

هذه بعض نتائج القسم الخاص ببنية الأفعال. وقد تزداد البنية الصرفية وضوحا في القسم الثاني الخاص بالأسماء.

2 ــ بنية الأسماء:

نعتمد في هذا القسم الدراسة الصوتية في وصف أبنية الأسماء، وفي التمييز بين المشتقات والمصادر. وقد روعي في دراستنا ترتيبها في أنماط، وفق عدد

المقاطع التي تكوّنها. أما من حيث علاقة الأسماء فنعتمد ما تؤديه من وظائف صرفية في استعمالها. وأما من حيث بنية الأسماء المعتلة الوسط والآخر فنعتمد وزنها المقطعي أي المقاطع الصوتية المكونة لها. فكلمة: (دار) التي وزنها عند القدامى (فعْل) يكون وزنها المقطعي (فال)، و (عيس) التي وزنها فِعْل يكون (فيل)، ونور التي وزنها (فل) يكون (فول)، ومرقي التي وزنها مفعل يكون (مفعى) وميزان التي وزنها (مفعال) يكون (ميعال)، وآيات التي وزنها (فَعَلات) يكون (آفات)، وآمل التي وزنها (أفعال) يكون (آفال)...وغيرها.

وفي كل هذا ننظر إلى بنية الأسماء نظرة مجردة من حركات الاعراب. فلا يهمنا أن يكون الاسم مرفوعا أو منصوبا أوو مجرورا.

النمط الأول — أبنية ذات مقطع واحد:

الصورة الأولى(*): م ص م م:

تشمل هذه الصورة الأبنية التالية: فَعل، فِعل، فُعل.

أولا — فَعْل:

توزّع حسب الوظائف الصرفية الآتية:

أ — بناء فعل مصدر غير مصحوب بفعله(1). كيد(**) (240—6) — موت (240—9) غرف(241—5) — رشف (241—5) — فرض (240—9) — مدح (241—9) — فضل (241—11) — فهم (241—14) — جهل (289—9) — وحبي (243—17) — لمس(244—3) — حزم (247—4) — غبن (248—1) — وجد (239—3) — شأو (245—14) — رفع (245—15) — ضيم (243—15) — صبر (248—15) كفر(246—11) — وصل (245—16) — سطر (243—8). هذا البناء الوحيد الذي جاء مصحوبا بفعله.

(*) انظر: الفصل الأول، ص 28—29.
(1) تكررت في البردة المصادر: «قول» مرتين، و «فصل ووحي» ثلاث مرات، و «خلق» أربع مرات.
(**) الرقم الأوّل للصفحة في الديوان، والرقم الثاني للسطر.

ب — بناء فعل صفة(1): فرد (242—6) — خصم (240—6)(*) — غفل (246—5) — عبد (248—15).

ج — بناء فعل اسم تفضيل(2): خير( ).

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم(242)
مكفولة أبدا منهم بخير أب وخير بعل فلم تيتم ولم تئم(246)

يصاغ، اسم التفضيل من الثلاثي على وزن أفعل، لكن كلمة «خير» جاءت على غير قياس. ويبدو أن الهمزة حذفت منه لكثرة الاستعمال.

د — بناء فعل جمع لا واحد له(3): قوم، خيل:

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته قوم نيام تسلوا عنه بالحلم(241)
من لي برد جماح من غوايتها كما يرد جماح الخيل باللجم(239)

هـ — بناء فعل جمع تكسير: ( ) زهر (242—5) — بهم (247—5). يوضح الجدول الآتي علاقة بنائها بالمفرد.

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فعل	زهر بهم	فعلة	زهرة بهمة

(1) انظر المبرد، المقتضب، 53/1، والميداني، نزهة الطرف، ص 84.
(*) تكرر مرتين.
(2) ابن مالك، تسهيل الفوائد، ص 133.
(**) تكرر اسم التفضيل «خير» سبع مرات.
(3) السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ج 199/2.
(***) تكرر مرتين.

بناء المفرد مختلف عن بناء الجمع من حيث المقاطع، إذ ينتمي الأوّل إلى النمط الأوّل (أبنية ذات مقطع واحد)، وينتمي الثاني إلى النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين)، وصورته: (م ص م + م ص م).

و ــ بناء فعل اسم(*) طيف (239ــ4) ــ ضيف (239ــ10) ــ نفس (239ــ14) ــ شيب (239ــ8) ــ قرم (246ــ9) ــ حتف (246ــ15) ــ دمع (238ــ1) ــ مرء (240ــ2) ــ حبل (245ــ2) ــ رأس (239ــ10) ــ قلب (243ــ10) ــ كشع (240ــ11) ــ عين (241ــ15) ــ طرف (241ــ15) ــ لحم (246ــ6) ــ طعم (245ــ7) ــ ذنب (248ــ2) ــ نهر (242ــ12) ــ سيب (246ــ5) ــ سيل (244ــ5) ــ موج (244ــ15) ــ حوض (245ــ4) ــ ورد (247ــ2) ــ نيب (247ــ4) ــ لوح (248ــ11) ــ شمس (241ــ15) ــ بدر (242ــ5) ــ بعل (246ــ13) ــ ليث (247ــ8) ــ دهر (242ــ5) ــ يوم (242ــ10) ــ ليل (244ــ6) ــ عهد (248ــ2) ــ قدر (241ــ10) ــ غيظ (242ــ13) ــ نشر (247ــ3) ــ نسل (240ــ7) ــ كون (240ــ15) ــ هول (241ــ12) ــ غير (239ــ10) ــ وفق (241ــ3) ــ أرض (243ــ3) ــ بطن (243ــ6) ــ ضوء (245ــ7) ــ قوس (245ــ11) ــ بأس (245ــ5) ــ خير (243ــ11) ــ هدي (247ــ12).

ثانيا فِعْل(**):

ورد هذا البناء عشرين مرة، توزّع حسب الوظائف الصرفية التالية:

أ ــ بناء فعل مصدر: فعل (239ــ10) ــ ذكر (239ــ1) ــ حرض (241ــ13) ــ علم (242ــ1) ــ قسط (245ــ5).

(*) تكرر كل من : (ضيف، ولم، ودهر، وليل، وخير) مرتين. وكل من: (شيب، ودمع، وحبل، وشمل، وبدر،) ثلاث مرات. و (بحر) أربع مرات، و (نفس) خمس مرات. و (عين) ست مرات، و (غير) ثماني مرات.

(**) تكرر بناء (علم) خمس مرات، وكل من (اسم ومثل) مرتين.

ب ــ بناء فعل اسم: طفل (239ــ14) ــ صدق (243ــ12) ــ بشر (242ــ13) ــ جسم (247ــ1) ــ شعر (247ــ11) ــ حرز (247ــ8) ــ مثل (239ــ3) ــ اسم (241ــ12).

ثالثا فُعْل(*):

توزّع هذا البناء حسب الوظائف الصرفية التالية:

أ ــ بناء فعل مصدر: نصح (239ــ7) ــ قرب (241ــ14) ــ بعد (241ــ14) ــ كفر (246ــ11) ــ زهد (240ــ13) ــ بؤس (242ــ10) ــ حز (242ــ14) ــ حسن (241ــ8).

ب ــ بناء فعل صفة: حمر (246ــ12) ــ سمر (247ــ1).

ج ــ بناء فعل اسم : أفق (243ــ3) ــ عمر (247ــ) ــ ركن (246ــ3) ــ ترب (242ــ8) ــ سحب (248ــ16).

بناء فعل جمع لا واحد له[1]: عرب (240ــ15) ــ فرس (242ــ1).

هـ ــ بناء فعل جمع تكسي: أسد (247ــ6) ــ رسل (248ــ9).

الجدول يوضح علاقة بنائه بالمفرد

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فعل	أسد(**) رسْل	فَعَل فَعُول	أسد رسول

(*) تكررت الأسماء: (حسن) أربع مرات، و (نصح) ثلاث مرا، و (رسل) مرتين.

(1) السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ج 199/2.

(**) يقول عباس أبو السعود هذا البناء لم تستوف شروط جمعه، أنظر كتابه: الفيصل في ألوان الجموع، ص 46.

نلاحظ اختلاف بناء المفرد عن بناء الجمع من الناحية المقطعية، إذ ينتمي بناء الجمع إلى النمط الأوّل (أبنية ذات مقطع واحد)، وينتمي بناء المفرد إلى النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين).

الصورة الثانية: م ص ص م:

تمشل هذه الصورة الأبنية الآتية: فال، فِيل، فُول.

أولا ــ فال(*): (فَعْل):

بناء دال على الوظائف الصرفية الآتية:

أ ــ بناء فال اسم في الابنية: ذات (241ــ10) ــ دار (243ــ16) ــ حال (239ــ6) ــ داء (239ــ6) ــ ناس (242ــ3) ــ نار (242ــ12) ــ ماء (242ــ4) ــ ساق (243ــ7) ــ عار (243ــ4) ــ جار (248ــ5) ــ بان (239ــ1).

ب ــ اسم علم: عاد:

لم تقتـرن بزمـان وهـي تخبرنـا عن المعاد وعن عاد وعن إرم(244)

ثانيا ــ فيل(**): (فِعْل):

تمثل هذا البناء في الوظائف الصرفية التالية:

أ ــ بناء فيل اسم: ريح (238ــ2) ــ دين (246ــ2).

ب ــ بناء فيل جمع تكسير: بيض (246ــ16) ــ عيس (249ــ1).
الجدول يوضح علاقة بنائه بالمفرد.

(*) تكرر كل من: (حال، ناس، عار، بان) مرتين، ونار خمس مرات، وماء ثلاث مرات.
(**) تكرر كل من : (ريح وعيس) مرتين، ودين ثلاث مرات.

الجمع		المفرد	
فيل	بيض عيس	أفعل	أبيض أعيس

ثالثا ــ فول: (فَعْل):

توزّع هذا البناء حسب الوظائف الصرفية التالية:

أ ــ بناء فول اسم: نور (242ــ2).

ب ــ بناء فول مصدر[1]: جوع (240ــ3) ــ جود (248ــ11).

النمط الثاني: أبنية ذات مقطعين:

الصورة الأولى : م ص + م ص م:

تشمل هذه الصورة الأبنية التالي: فَعَل، فِعَل، فَعِل، فُعَل، فُعُل.

1 ــ فَعَـــل:

دلّ بناء فعل على المعاني الصرفية الآتية:

أ ــ بناء فعل مصدر غير مصحوبفعله[2]: عذل (239ــ8) ــ ندم (240ــ4) ــ عمل (240ــ7) ــ سغب (240ــ11) ــ شمم (240ــ12) ــ بلل (242ــ14) ــ قسم (243ــ10) ــ حرب (244ــ13) ــ ورم (240ــ10) ــ ضرم (242ــ14) ــ هرب (243ــ5) ــ هرم 239ــ9) ــ كرم (241ــ4) ــ شرف (242ــ5) ــ

(1) اعتبر سيبوية كلمة (جوع) من المصادر التي تأتي أفعالها مضمرة، أنظر الكتاب، ج 311/1. وأنظر أيضا ابن الانباري، الأنصاف في مسائل الخلاف، ج 241/1.
(2) تكررت المصادر: (كرم) أربع مرات، وكل من: (ندم، وشرف، وسقم) مرتين.

ترف (242ـ5) ـ سقم (239ـ2) ـ ألم (239ـ4) ـ ورم (240ـ10) ـ أسف (242ـ12) ـ وخم (246ـ15) ـ سأم (245ـ1) ـ سدم (242ـ12) ـ رمد (245ـ7) ـ عدم (240ـ14) ـ مدد (44ط15) ـ فرق (247ـ5) ـ صمم (239ـ7).

الملاحظ على هذه المصادر أن أغلبها دلّ على الأدواء وما شاكلها.

ب ـ بناء فعل صفة للفاعل: حكم (240ـ6)، مكرر مرتين، بمعنى حاكم.

ج ـ بناء فعل جمع تكسير: نسم (241ـ7) ـ خدم (245ـ12) ـ أجم (247ـ8) ـ أكم (248ـ7) ـ أدم (240ـ11) ـ عنم (239ـ3) ـ صدف (242ـ7).

الجدول الآتي يوضح علاقة بنائه بالمفرد

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فعل	نسم	فعلة	نسمة
	خدم	فاعل	خادم
	أجم	فعلة	أجمة
	أكم	فعلة	أكمة
	آدم	فعيل	أديم
	عنم	فعلة	عنمة
	صدف	فعلة	صدفة

بناء المفرد مختلف عن بناء جمعه، إذ ما جاء منه على زنة فعلة ينتمي إلى النمط الثالث (أبنية ذات مقاطع ثلاثة)، وا جاء منه على زنة: (فاعل)، (فعيل)

ينتمي إلى النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين). غير أن الصيغتين الآخيرتين متفقتان مع بناء جمعهما من حيث عدد المقاطع، مختلفتان عنه في نوع المقطع الأوّل والأخير.

د ـ بناء فعل جمع لا واحد له[1]: غنم، عجم، حسم:

راعت قلوب العدا أبناء بعثته … كنبأة أجفلت غفلا من الغنم(246)
محمد سيّد الكونين والثقلين … والفريقين من عرب ومن عجم(240)
كأنه وهو فرد من جلالته … في عسكر حين تلقاه وفي حشم(242)

هـ ـ بناء فعل اسم ليس له وظيفة صرفية[2]: ذهب (240ـ12) ـ بشر (242ـ1) ـ صنم (243ـ3) ـ حرم (245ـ10) ـ وضم (246ـ6) ـ قلم (248ـ11) ـ نغم (249ـ1) ـ قدم (243ـ7) ـ طلل (239+1) ـ علم (239ـ1) ـ لقم (243ـ8) ـ سلم (44ط13) ـ قمر (243ـ10) ـ لم (244ـ3) ـ نعم (247ـ12) ـ رخم (246ـ7) ـ كتم (239ـ11) ـ ثقل (240ـ15) ـ أمم (241ـ15).

2 ـ فِعَل:

توزّع بناء فعل حسب الوظائف الصرفية التالية:

أ ـ بناء فعل فعل مصدر غير مصحوب بفعله[3]: عظم، قدم، شبع، صفة:

وأنسب إلى ذاته ماشئت من شرف … وانسب إلى قدره ماشئت من عظم(241)
آيات حق من الرحمن محدثه … قديمة صفة الموصوف بالقدم(244)
واخش الدسائس من جوع ومن شبع … فرب مخمصة شر من التخم(240)

(1) انظر المزهر في علوم اللغة، ج 119/2، وأنظر كلمة (حشم) الفيصل في ألوان الجموع، لعباس (أبو سعود)، ص 275.
(2) تكررت الأسماء: (علم) أربع مرات، وكل من (حرم، لمم) مرتين، وسلم ثلاث مرات.
(3) تكرر المصدر (عظم) مرتين.

ب ــ بناء فعل اسم علم(1) = إضم، إرم:

أم هبت الريح من تلقـاء كاظمـة ... وأومض البرة في الظلماء من إضم(238)
لم تقتـرن بزمـان وهـي تخبرنـا ... عن المعاد وعن عاد، وعم إرم(244)

ج ــ بناء فعل جمع تكسير: عصم (240ــ13) ــ ديم (241ــ5) ــ حكم (241ــ6) ــ همم (242ــ5) ــ نقم (242ــ10) ــ شيم (244ــ8) ــ قيم (244 ــ 15) ــ نعم (246ــ2) ــ لمم (246ــ16) ــ خدم (247ــ12) ــ دمم (248ــ3) ــ قسم (248ــ13).

الجدول الآتي يوضح علاقة بنائه بالمفرد

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فعل	عصم	فعلة	عصمة
	حكم		حكمة
	رمم		رمّة
	همم		همّة
	نقم		نقمة
	لمم		لمّة
	نعم		نعمة
فِعَل	خدم	فعلة	خدمة
	ذمم		ذمّة
	قسم		قسمة
فعل	ديم	فيلة	ديمة
	شيم		شيمة
	قيم		قيمة

(1) (قيل أرم اسم قبيلة أو اسم مدينة وهو لا ينصرف للتعريف والتأنيث) أنظر ياقوت الحموي معجم البلدان، ج 155/1.

بناء المفرد متفق مع بناء جمعه من حيث عدد المقاطع، إذ ينتمي إلى النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين). غير أنه يختلف عنه في نوع المقطع الأوّل الذي هو طويل مغلق، وطويل مفتوح.

3 ــ فَعِل:

دلّ هذا البناء على الوظائف الصرفية الآتية:

أ ــ بناء فعل صفة مبالغ فيها للفاعل: نهم، فهم، قرم، خصم، جدل:

فـلا تـرم بالمعـاصي كسر شهـوتها ... إن الطعام يقوي شهـوة النهم(239)
لا تعجبـن لحسود راح ينكرهـا ... تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم(245)
كـأنما الديـن ضيـف حـلّ ساحتهم ... بكل قرم إلى لحم العدا قـرم(246)
كم جدّلت كلمات الله من جـدل ... فيه وكم خصم البرهان من خصم(247)

بناء فعل صفة مشبهة بالفاعل تفيد الكثرة والمبالغة، فالنّهم: الشديد الشهوة الى الطعام، والفهم الشديد الادراك، والقرم الشديد الاشتهاء إلى اللحم، والخصم الشديد الخصومة، والجدل الكثير الجدال.

ب ــ بناء فعل صفة لازمة للفاعل: شبم، عرم، هرم(*)، وصب، أرب:

إن تتلها خيفة مـن حـر نـار لظـى ... أطفأت نار لظى من وردها الشبم(246)
بعارض جاد أو خلت البطـاح بها ... سيب من اليم أو سيل من العرم(244)
ولم أرد زهرة الدنيا التي اقتطـفت ... يدا زهير بما أثنى على هـرم(248)
كم أبـرأت وصبـا باللـمس راحتـه ... وأطلقت أربا مـن ربقـة اللمـم(244)

ج ــ بناء فعل اسم ليس له وظيفة صرفية = أرم (243ــ12) ــ رحم (246ــ12) ــ وهو وبمعنى القرابة. عمم (248ــ9).

(*) هذا البناء اسم علم وهو في الأصل صفة من الهرم وسمي بذلك على سبيل التفاؤل.

د ــ بناء فعل جمع تكسير: كلم (242ــ15). مفرده كلمة على زنة فعلة. تختلف عن بناء الجمع، إذ تنتمي إلى النمط الثالث (أبنية ذات مقاطع ثلاثة).

4 ــ فُعَل:

لم يرد بناء فعل في البردة إلا جمع تكسير: تهم (239ــ8) ــ تخم (240ــ3) ــ شبه (244ط12) ــ صمم (245ــ4) ــ رتب (246ــ4) ــ بهم (247ــ5) ــ أمم (246ــ4).

الجدول يوضح علاقة بنائه بالمفرد

الجمع: البناء	الجمع: المثال	المفرد: البناء	المفرد: المثال
فعل	تهم	فَعْلَة	تهمة
	تخم		تخمة
	شبه		شبهة
	ظلم		ظلمة
	رتب		رتبة
	أمم		أمة
	بهم		بهمة
فعل	حمم	فعلة	حمة

نلاحظ أن أبنية مفردات الجموع تنتمي إلى نمطين مقطعين أحدهما مخالف للنمط الذي ينتمي إليه الجمع، والآخر مشابه له. أما بناء (فعلة) فينتمي إلى النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين). غير أن بناء المفرد يختلف عن بناء الجمع في نوع المقطع الأول. وأما بناء (فعلة) فينتمي إلى النمط الثالث (أبنية ذات مقاطع ثلاثة).

5 ــ فُعُل:

توزّع حسب الوظائف الصرفية التالية:

أ ــ بناء فعل مصدر(*): حلم (241ــ16) ــ يتم (247ــ10).

ب ــ بناء فعل اسم علم: أحد.

وسل حنينا وسل بدرا وسل أحدا فصول حتف أدهى من الوخم(246)

ج ــ بناء فعل اسم ليس له وظيفة صرفية: عقم (240ــ7) ــ خلق (241ــ4)(**) بعد (241ــ15)(***).

د ــ بناء فعل جمع تكسير.

لجم (241ــ16) ــ أطم (243ــ14) ــ دهم (243ــ14) ــ حرم (246ــ12) ــ حزم (247ــ4) ــ شهب (243ــ3).

الجدول الآتي يوضح علاقة بنائها بالمفرد

الجمع: البناء	الجمع: المثال	المفرد: البناء	المفرد: المثال
	أطم	فَعَلة	أَطَمَة
	دهم	أفعل	أدهم
فعل	لجم	فعال	لجام
	حرم	فِعَال	لجام
	حرم	فَعَال	حرام
	حزم	فعال	حزام
	شهب	فِعَال	شهاي

(*) ضم عين (حلم) لغات. وضم عين (يتم) ضرورة اقتضاها الوزن، إذ أصلها التسكين.
(**) تكرر مرتين.
(***) ضم عين (بعد) ضرورة اقتضاها الوزن، وأصلها التسكين.

نلاحظ أن أبنية مفردات الجموع تنتمي إلى نمطين مقطعيين مختلفين، أحدهما مخالف للنمط الذي ينتمي إليه بناء الجمع، والآخر مشابه له. أما بناءا: أفعل وفعال فينتميان إلى النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين)، وهو النمط نفسه الذي ينتمي إليه بناء الجمع. غير أنهما يختلفان عنه في نوع المقطع الأوّل الذي هو طويل مغلق، والأخير الذي هو مغرق في الطول (م ص ص م). وأما بناء (فعلة) فينتمي الى النمط الثالث (أبنية ذات مقاطع ثلاثة).

الصورة الثانية: م ص + م ص ص:

تشمل هذه الصورة الأبنية التالية: فَعَا، فِعَا، فَعِي:

أ ــ فعا: (فَعَل).

توزّع هذا البناء حسب الوظائف الصرفية الآتية:

1 ــ بناء فعا مصدر: (239ــ3) ــ هوى (239ــ15)(*) ــ ندى (243ــ16).

دلت: الكلمتان: (ضني وهوى) على الأدواء وما شاكلها، ودلت كلمة ندى على الجود.

2 ــ بناء فعا اسم علم = لظى(1).

ان تتلها خيفة من حرّ نار لظى   أطفأت نار لظى من وردها الشبم(245ــ3)

3 ــ بناء فعا اسم ليس له وظيفة صرفية:

قنا (247ــ6) ــ حيا (248ــ7) ــ صبا (249ــ1) ــ ورى (241ــ14).

4 ــ بناء فعا جمع تكسير: حصى (243ــ5). مفرده حصاة على زنة فعال(**). تنتمي الى النمط نفسه الذي ينتمي إليه بناء الجمع غير أنها تختلف عنه

(*) تكرر ثلاث مرات.
(1) ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث.
(**) وزنها الصرفي فَعَلَة.

في نوع المقطع الأخير الذي هو مغرق في الطول (م ص ص م) في بناء المفرد، وطويل مفتوح (م ص ص) في بناء الجمع.

ب ــ فِعَا: (فِعَل).

بناء فعا دال على الوظائف التالية:

1 ــ بناء فعا مصدر:

غنى (243ــ16) ــ قرى (239ــ10).

2 ــ بناء فعا اسم ليس له وظيفة صرفية.

صبا (247ــ13).

3 ــ بناء فعا جمع تكسير:

عدا (246ــ16)، مفرده عدو.

ج ــ فعِي: (فعيل):

لم يرد هذا البناء إلا في موضع واحد. وجاء اسما ليس له وظيفة صرفية: كمي. أصله كميّ خفف للوزن.

«تهدى إليك رياح النصر نشرهم: فتحسب الزهر في الأكمام كل كمى» (247ــ3).

الصورة الثالثة: م ص + م ص ص م:

تشمل هذه الصورة الأبنية الآتية، فَعِيل. فُعُول، فِعَال، فَعُول، فَعَال، فَعّال.

أ ــ فَعِيل.

نوزّع هذا البناء حسب الوظائف الصرفية: .

1 ــ صفة لازمة لفاعل(1).

(كريم) ضد لئيم، (حبيب) ضد قبيح:

(1) أنظر حول هذا المعنى، سيبويه، الكتاب، ج 194/1 وما بعدها. وفخر الدين قباوة تصريف الأسماء والأفعال، ص 167 وما بعدها. و د. مبارك مبارك، قواعد اللغة العربية، ص 78 وما بعدها.

ولن يضيق رسول الله؟ جاهك به — إذا الكريم تحلى باسم منتقم(248)

فهو الذي تمّ معناه وصورته — ثم اصطفاه حبيبا بارىء النسم(241)

صفة للفاعل:

نصيح بمعنى ناصح، مديح بمعنى مادح، نذير بمعنى منذر، شريك بمعنى مشارك:

إني اتهمت نصيح الشيب في عذل — والشيب أبعد في نصح عن التهم(239)

فما تطاول آمال المديح إلى — ما فيه من كرم الأخلاق والشيم(244)

فان أمارتي بالسوء ما اتعظت — من جهلها بنذير الشيب والهرم(239)

منزه عن شريك في محاسنه — فجوهر الحسن فيه غير منقسم(241)

3 ـ صفة للمفعول:

حبيب بمعنى محبوب، هجير بمعنى مهجور:

مثل الغمامة أني سار سائرة — تقيه حرّ وطيس للهجير حمي(243)

وشبيه بهذا: وطيس (243ـ9) ـ طريق (243ـ4) ـ خميس (246ـ11).

ب ـ فُعُول:

ارتبط هذا البناء بوظائف صرفية، توزّعت كما يلي:

1 ـ بناء فعول مصدر غير مصحوب بفعله: دنو (245ـ14) ـ بلوغ (241ـ1) ـ ظهور (244ـ6).

2 ـ بناء فعول جمع تكسير: عدول (239ـ2) ـ عقول (241ـ13) ـ فروع (243ـ8) ـ دروع (243ـ14) ـ وجوه (245ـ4) ـ عيون (245ـ16) ـ قلوب (246ـ5) ـ فصول (246ـ15)(٥) ذنوب (247ـ11) ـ علوم (248ـ11).

---

(٥) مكرر مرتين.

الجدول الآتي يوضح علاقة بنائها بالمفرد

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فعول	عدول فروع دروع وجوه عيون قلوب فصول ذنوب علوم	فعل	عدل فرع درع وجه عين قلب فصل ذنب علم

بناء المفرد مختلف عن بناء جمعه، إذ ينتمي إلى النمط الأول أبنية ذات مقطع واحد.

ج ـ فِعَال:

ارتبط بناء فعال بالوظائف الصرفية الآتية:

أ ـ بناء فعال مصدر: جماح (٥)، فرار، جوار، شقاق:

من لي برد جماح من غوايتها — كما يرد جماح الخيل باللجم

ودوا الفرار فكادوا يغبطون به — أشلاء شالت مع العقبان والرخم(246)

ما سامني الدّهر ضيما واستجرت به — إلا ونلت جوارا منه لم يضم(243)

محكمات فما تبقين من شبه — لذي شقاق وما تبغين من حكم(244)

---

(٥) مكرر مرتين.

المصدران: جماح، وفرار دالان على الامتناع. والمصدر جوار مرتبط بدلالة فعله: (جاور) الذي يدل على المشاركة.

ب ــ بناء فعال اسم ليس له وظيفة صرفية: صراط (245ــ5)(*).

د ــ بناء فعال جمع تكسير.

كرام (242ــ2) ــ بطاح (244ــ5) ــ جبال (246ــ14) ــ رياح (247ــ3) ــ طباق (245ــ13).

الجدول الآتي يوضح علاقة بنائها بالمفرد

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فِعَال	بطاح كرام جبال رياح طباق	فعلاء فعيل فَعَل فيل(**) فَعَل	بطحاء كريم جبل ريح طبق

نلاحظ أن مفردات الجموع المذكورة تنتمي إلى أبنية متنوعة بتشابه بعضها من حيث عدد المقاطع، ويختلف الآخر. فمثلا بناء فيل يمثل الصورة الثانية من النمط الأوّل (مقطع مغرق في الطول). وبناء فعيل يمثل الصورة الثالثة (م ص ص م) من النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين) وهو النمط نفسه الذي ينتمي إليه الجمع المذكور فعال (م ص + م ص ص م). أما بناء فعل

(*) كلمة من أصل لاتيني: سراط، صراط: (strata)، أنظر الأب رفائيل نخله اليسوعي، غرائب اللغة العربية، ص 278.

(**) وزنه الصرفي فِعل.

فيمثل الصورة الأولى (م ص + م ص م) من النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين) وهو النمط نفسه الذي ينتمي إليه بناء الجمع. غير أنه يختلف عنه في نوع المقطع الأخير الذي هو طويل مغلق. وأما بناء فعلاء فمتفق مع بناء جمعه من حيث عدد المقاطع، ويختلف عنه في نوع المقطع الأوّل الذي هو طويل مغلق.

د ــ فَعُول:

توزّع هذا البناء حسب الوظائف الصرفية الآتية:

أ ــ بناء فعول صيغة للمبالغة(1): غيور، حسود:

ردت بلاغتها دعوى معارضها ... ردّ الغيور يد الجاني عن الحرم(244)

لا تعجبن لحسود راح ينكرها ... تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم(245)

ب ــ بناء فعول صفة لازمة للموصوف: عدو:

ولن ترى من ولي غير منتصر ... به ولا من عدو غير منقصم(247)

ج ــ بناء فعول صفة للمفعول: رسول(*) بمعنى مرسل:

ومن تكن برسول الله نصرته ... إن تلقه الأسد في آجامها تجم(247)

هـ ــ فَعَال:

دلّ هذا البناء على الوظائف الصرفية التالية:

أ ــ بناء فعال مصدر: رضاع (239ــ14) ــ فخار (246ــ1).

ب ــ بناء فعال اسم يدل على الجمع: طعام (239ــ13).

ج ــ بناء فعال اسم ليس له وظيفة صرفية.

بهار (239ــ3) ــ ظلام (240ــ10).

(1) حول هذه الصيغة، انظر ابن يعيش، شرح المفصل، ج 70/6. وعبد الراجحي، التطبيق الصرفي، ص 77 وما بعدها. ومقال إبراهيم أنيس الذي أشاره فيه إلى أن هذه الصيغة بدأ يقل استعمالها عند الأدباء في الوقت الحاضر، مقابل كثرة دوران صيغة (فعّال) على ألسنة المتكلمين، أنظر في القياس اللغوي، صيغة فعيل، مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء 18، ص 82، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية 1965.

(*) مكرر مرتين.

و ـ فُعَال: (فُعلَة)

ورد بناء فعال جمع تكسير في الأبنية: وشاة (239ـ6) ـ عصاه (245ـ4) الجدول يوضح علاقة بنائه بالمفرد.

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فعال	وشاة عصاة	فاعي فاعي	واشي(*) عاصي

بناء المفرد متفق مع بناء جمعه في عدد المقاطع: إذ ينتمي الى النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين). غير أنه مختلف عنه في نوع المقطوع الأول والأخير اللذين هما طويلان مفتوحان (م ص ص).

الصورة الرابعة: (م ص ص + م ص م)

تمثلت هذه الصورة في صيغة (فاعل) التي توزعت حسب الوظائف الصرفية الآتية:

ـ بناء فاعل صفة للفاعل.

آمر (241ـ1) ـ صاحب (245ـ13) ـ لائم (239ـ05 ـ ناطق (241ـ11) ـ قارىء (245ـ2) ـ آخذ (248ـ4) ـ كاتب(247ـ1) ـ باريء 221ـ7) ـ كاهن (243ـ2) ـ آجل (248ـ1) ـ عاجل (243ـ1) ـ واقف (241ـ6) ـ وارد 242ـ13) ـ عارض (244ـ5) حاذق (245ـ6) ـ حادث (243ـ4) دارس (241ـ12).

(+) لم تخفف الكلمة حفاظا على المقطع الطويل المفتوح.

الصورة الخامسة: (م ص ص + م ص ص)

تمثلت هذه الصورة في صيغة (فاعي)(*)، التي دلت على صفة الفاعل: ناهي (241ـ1) ـ ساهي (24ـ12) ـ راجي (248ـ5) حادي (249ـ1)(**) داعي (246ـ4) ـ جاني (14244) ـ عافي (245ـ8) ـ شاكي (247ـ2).

الصورة السادسة: م ص م + م ص ص

تشمل هذه الصورة الابنية: فَعْلى، فُعْلى، فِعْلَى، مُفْعَى

أ ـ فَعْلَى

ورد بناء فعلى مصدرا دعوى:

«ردّت بلاغتها دعوى معارضها   رد الغيور يد الجاني عن الحرم» (244)

ب ـ فُعْلى

من معاني فعلى

1 ـ صفة للتفضيل(1): عظمى أعظم، وكبرى مؤنث أكبر:

«ومن هو الآية الكبرى لمعتبر   ومن هو النعمة العظمى لمغتنم»(245)

2 ـ اسم غلب على الصفة: دنيا (240 ـ 14) مؤنث أدنى.

3 ـ اسم ليس له وظيفة صرفية: رؤيا (243 ـ 17).

ج ـ فِعْلَى:

ورد هذا البناء اسم علم: كسرى (242 ـ 11)(***).

(*) وزنها الصرفي (فاعل) وقد حافظنا على الياء في آخر الكلكة لابراز المقطع الأخير.
(**) يقول الصرفيون حصل في كلمة «حادي» قلب مكاني، «ووزنها «عالف».
(1) حول هذا المعنى، انظر المبرد، المقتضب، ج 168/1.
(***) مكرر مرتين. ولفظة كسرى كلمة أجنبية، أصلها (فارسي)

د ـــ أفعى:(1) (أفعل)

بناء صفة للتفضيل: أعدى (244ـــ13) ـــ أدهى (246ـــ15) أوف (248ـــ3).

هـ ـــ مفعى: (مَفْعِل)

توزّع حسب الوظائف الصرفية الآتية

أ ـــ اسم مكان: مرعى (240ـــ1) ـــ مرق (245ـــ14).

ب ـــ اسم ليس له وظيفة صرفية: معنى (241ـــ7) (*)

و ـــ مفعى = مُفْعِل

ورد هذا البناء صفة للفاعل: «ملقي (**)»:

«ما حوربت قط الا عاد من حرب   أعد الأعادي اليها ملقى السلم»(244)

الصورة السابعة: (م ص م + م ص م)

تمثلت هذه الصور في الصيغ الآتية: فَعْلَة، فُعْلَة، أفْعَل، أفْعَل، فيعل، فَعْلل، مَفْعَل، مَفْعِل، مُفْعَل، مفعل.

1 ـــ فَعْلَة

توزّع حسب الوظائف الصرفية التالية:

أ ـــ اسم للدّلالة على المرة: عبرة، زلّة:

« وأثبت الوجد خطبي عبرة وضنى   مثل البهار على خديك والعنم»(239)

«يانفس لا تقنطي من زلة عظمت   إن الكبائر في الغفران كاللمم»(243)

«ان لم يكن في معادي أخذا بيدي   فضلا والا فقل يازلة القدم»(248)

2 ـــ فعلة

أ ـــ بناء فعلة مصدر للدّلالة على هيئة الحدث.

(1) وزنه أفعل، انظر، أبي علي القالي، كتاب أفعل.

(*) مكرر ثلاث مرات.

(**) لم نهتم بالتخفيف والحركة الاعرابية لتحقيق الوزن المقطعي.

«حمية»، «نسبة»، «ربقة»، «نعمة»، شدّة»

« واستفرغ الدمع منعين قد امتلأت   من المحارم وألزم حمية الندم»(240)

«أقسمت بالقمر المنشق إن له   من قلبه نسبة مبرورة القسم»(243)

«كم أبرأت وصبا باللمس راحته   وأطلقت أربا من ربقة اللمم»(245)

«ومن هو الآية الكبرى لمعتبر   ومن هو النعمة العظمى لمغتنم»(245)

«كأنهم في ظهور الخيل نبت ربا   من شدة الحزم لا من شدة الحزم»(247)

ب ـــ بناء فعله اسم ليس له وظيفة صرفية ملّة (245ـــ9) ـــ ذمّة (248ـــ3).

3 ـــ فُعْلَه

ورد بناء فعله اسما ليس له وظيفة صرفية: مقلة، نقطة:

«أمن تذكر جيران بذي سلم   مزجت دمعًا جرى منمقلة بدم»(238)

«وواقفون لديه عند حدّهم   من نقطة العلم أو من شكلة الحكم»(241)

4 ـــ أفعل

بناء أفعل جمع تكسير: أعظم (242ـــ3) ـــ أعصر (244ـــ4) ـــ أينق (245ـــ8). الجدول الآتي يوضح علاقة بنائها بالمفرد.

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
أفعل	أعظم أعصر أينق(2)	فعل فعل فالة(3)	عظم عصر ناقة

(1) انظر أبي علي القالي، كتاب أفعل، ت محمد بن عاشور (د.ت).

(*) مكرر ثلاث مرات.

(2) اعتمدنا على وزنها الظاهر اجتنابا لاعتبارات قد لا يتسع لها بحثنا.

(3) وزنها فعلة.

أبنية مفردات الجموع متنوعة. فمثلا «فعل» ينتمي الى النمط الأول (أبنية ذات مقطع واحد). وبناء «فالة» ينتمي الى النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين) وهو النمط نفسه الذي ينتمي اليه بناء الجمع، غير أنه يختلف عنه في نوع المقطع الأوّل الذي هو طويل مفتوح.

5 ـــ فَيْعَل (1)

جاء هذا البناء صفة لازمة الثبوت للفاعل: سيّد. من الفعل ساد يسود فهو سيّد.

ـــ «محمد سيّد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم»(240)

7 ـــ فعلل

ورد هذا البناء اسما مكررا مرتين: جوهر (241ـــ3)(+)

3 ـــ مفعل

توزّع حسب الوظائف الصرفية الآتية:

أ ـــ مصدر ميمي = مبلغ الجمع: معشر (246ـــ3)

9 ـــ مَفْعِل

دلّ على الوظائف الصرفية التالية

أ ـــ اسم مكان = منطق:

«كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف   من معندى منطق منه ومبتسم»(242)

ب ـــ اسم زمان: مولد:

«أبان مولده عن طيب عنصره   يا طيب مبتدإ منه ومختتم»(242)

ج ـــ جمع لا واحد له: موكب:

«وأنت تخترق السبع الطباق بهم   في موكب كنت فيه صاحب العلم»(245)

---

(1) انظر حول هذه الصيغة، الشيخ الرضي، شرح الشافية، ج 148/1 ـــ 151. وأحمد الحملاوي، كتاب شذا العرف في الصرف ط 16، ص 79، مصر 1965.

(+) كلمة فارسية، انظر، الأب اليسوعي، غرائب اللغة العربية، ص 224.

10 ـــ مَفْعِل

ورد هذا البناء صفة للفاعل: مصدر:

«المصدري البيض حمرا بعدما وردت   من العدا كل مسود من اللمم»(246)

11 ـــ مُفْعل

بناء مفعل صفة للمفعول(1): مفرد/مترف

«خفضت كل مقام بالاضافة إذ   نوديت بالرفع مثل المفرد العلم»(245)

«وشدّ من سغب أحشاءه وطوى   تحت الحجارة كشحا مترف الأدم»(240)

الصورة الثامنة: (م ص ص + م ص ص م)

تشمل هذه الصورة الابنية: فيعال، ميعال.

1 ـــ فيعال = (فِعْلان)

دلّ هذا البناء على الوظائف الصرفية الآتية:

أ ـــ بناء فيعال جمع تكسير: جيران:

«أمن تذكر جيران بذي سلم   مزجت دمعا جرى من قملة بدم»238

مفرد جار على زنّة «فال» مختلف عن بناء جمعه، إذ ينتمي الى النمط الأوّل (أبنية ذات مقطع واحد)

ب ـــ بناء فيعال اسم: إيوان (242ـــ12)(+).

2 ـــ ميعال: (مفعال)

ورد هذا البناء اسم آلة: ميزان من الفعل وزن.

«وكالصراط وكالميزان معدلة   فالقسط من غيرها في الناس لم يقم»(245)

---

(1) حول هذا المعنى ابن عصفور، الممتع في التصريف، ج 79/1. ومحمد الأنطاكي المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ج 237/1.

(+) إيوان: «ye vân»، كلمة فارسية، وهي: «مكان متسع من بيت يحيط به ثلاثة حيطان»، انظر الأب اليسوعي، غرائب اللغة العربية، ص 217.

الصورة التاسعة: (م ص م + م ص ص م)

تمثل هذه الصورة الأبنية الصرفية التالية: أفعال، فُعّال، إفعَال فعّلات، فعلاء، تَفْعِيل، فَعلان، فعلان، فِعِيل، مِفعال، مَفْعول.

1 ـ أفعال

توزّع بناء أفعال حسب الوظائف الصرفية الآتية:

أ ـ بناء أفعال جمع جمع: أشجار (243ـ7) ـ أزهار (243ـ8).

الجدول يوضح علاقة بنائهما بالمفرد

جمع الجموع		الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال	البناء	المثال
أفعال	أشجار أزهار	فعل	شَجَرْ زَهْرْ	فَعَلَة فَعْلَة	شجرة زهْرة

نلاحظ أن أبنية المفردات متنوعة من حيث عدد المقاطع، إذ منها ما يشبه بناء الجمع، ومنها ما هو مختلف عنه. فمثلا بناء فَعْلَة ينتمي الى النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين)، وهو النمط نفسه الذي ينتمي اليه بناء الجمع. غير أنه يختلف عنه (أبنية ذات مقاطع ثلاثة.

ب ـ بناء أفعال جمع تكسير:

أهوال (241ـ2) ـ أنوار (242ـ3) ـ أصحاب (242ـ11) ـ أقوام (243ـ2) ـ أبطال (243ـ5)(٥) ـ أحشاء (243ـ6) ـ أخلاق (244ـ8) ـ أشلاء (246ـ7) ـ أقلام (247ـ1) ـ أكمام (247ـ3) ـ أشبال (247ـ6) ـ أنفاس (242ـ2) ـ أنباء (246ـ5) ـ أفكار (243ـ6).

(٥) مكرر مرتين.

الجدول الآتي يوضح علاقة بنائها بالمفرد

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
أفعال	أهوال	فَعْل	هول
	أصحاب	فَعْل	صحب[1]
	أقوام	فَعْل	قوم[2]
	أشلاء	فِعْل	شلو
	أشبال	فِعْل	شبل
	أفكار	فِعْل	فكر

(1) المثال في المفرد. جمع صاحب انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة صحب.

(2) المثال في المفرد جمع ولا واحد له من لفظه، لكن يقدر له واحد من معناه كلفظه رجل مثلا، انظر عباس أبو السعود، الفيصل في ألوان الجموع، ص 111.

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
أفعال	أبطال أقلام أنفاس أنباء	فَعَل	بطل قلم نفس نبأ
	أكمام	فِعَل	كِمّ
	أحشاء	فَعًا(1)	حَشًا
	أنوار	فُول(2)	نُور

نلاحظ أن مفردات الجموع المذكورة تنتمي الى أبنية متنوعة تتشابه من حيث عدد المقاطع، وقد تختلف. فمثلا بناء: «فعل، فِعْل «ينتمي الى الصورة الأولى من النمط الأوّل (أبنية ذات مقطع واحد)، وبناء «فول» ينتمي الى الصورة الثانية من النمط المذكور. أما بناء: «فَعَل، فِعَل «فينتمي الى الصورة الأولى من النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين) وهو النمط نفسه الذي ينتمي اليه بناء الجمع. غير أنه يختلف عنه في أنواع المقاطع هي: «م ص + م ص م». وأما بناء فعا «فينتمي الى الصورة الثانية من النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين).

2 — فُعّال.

ورد هذا البناء جمع تكسير في الأبنية: عذال (289—2) — كفّار (243—11) —

(1) وزنها الصرفي (فَعَل).
(2) وزنها الصرفي (فُعل).

الجدول الآتي يوضح علاقة بنائهما بالمفرد

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فُعّال	عذّال كفّار	فاعل فاعل	عاذل كافر

ينتمي بناء الفرد «فاعل» الى الصورة الرابعة من النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين)، وهو النمط نفسه الذي ينتمي اليه بناء الجمع غير أنه يختلف عنه في أنواع المقاطع التي هي: (م ضّ ص + م ص ص).

3 — إفْعَال

بناء إفْعال مصدر غير مصحوب بفعله:

إعلان (243—1) — إنذار (243—2) — إسلام (246—3)(*) — إدراك (246—2) — إكثار (245—1).

4 — فَعْلات.×

بناء فعلات جمع للمؤنث السالم: لذّات:

«نعم سرى طيف من أهوى فأرّقني والحب يعترض اللذات بالألم»(2391)

مفرده لذّة على زنة فعلة، متفق مع بناء جمعه من حيث عدد المقاطع، ويختلف عنه في نوع المقطع الأخير، إذ هو طويل مغلق.

5 — فعلاء.

بناء فعلاء صفة للمؤنث بالألف الممدودة: ظلماء، شبهاء:

«أم هبّت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق في الظلماء من إضم(233)

«وأحيت السنة الشّهباء دعوته حتى حكت غرة في الأعصر الدّهم(244)

(*) مكرر مرتين.

6 ـ تفعيل

بناء تفعيل مصدر. والفعل منه على بناء «فعّل».

تقديم تأديب =

«وقدمتك جميع الأنبياء بها والرّسل تقديم مخدوم على خدم(245)

«كفاك بالعلم في الأمّي معجزة والتأديب في اليتم (247) في الجاهلية.

المصدر تقديم مصحوب بفعله «قدّم» يفيد المبالغة والتعظيم، والمصدر تأديب من (الفعل أدّب للتأكيد على أن الرسول ﷺ جعله الله مؤدبا.

7 ـ فُعلان

هذا البناء دال على الوظائف الصرفية الآتية

أ ـ مصدر غير مصحوب بفعله: غفران. دل على الستر والعفو

«يا نفس لا تقنطي من زلت عظمت إن الكبائر في الغفران كاللمم(248)

ب ـ اسم ليس له وظيفة صرفية: برهان(247ـ9)(*)

8 ـ فَعلان.

توزّع كالي:

أ ـ بناء فعلان صفة: رحمان، وهو كثير الرحمة، وصف مقصور على الله عزّ وجل.

«آيات حق من الرحمن محدثة قديمة صفة الموصوف بالقدم(244)

ب ـ بناء فعلان اسم ليس له وظيفة صرفية: شيطان (240ـ5)(**)

9 ـ فعلان

تمثل بناء فعلان في الوظائف الصرفية الآتية:

(*) كلمة فارسيّة.

(**) مأخوذ من العبرية ومعناه المارد، وقيل الظلام.

أ ـ مصدر للفعل عصى: عصيان

«لعلّ رحمة ربي حين يقسمها تأتي على حسب العصيان في القسم»(247)

ب ـ جمع تكسير في الأبنية: عقبان

«ودوا الفرار فكادوا يغبطون به أشلاء شالت مع العقبان والرخم»(246)

بناء مفرده عقاب على زنة «فعال» ينتمي الى الصورة الثالثة من النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين). وهو النمط نفسه الذي ينتمي اليه بناء الجمع. غير أنه يختلف عنه في نوع المقطع الأوّل الذي هو قصير مفتوح.

10 ـ فِعّيل(1)

ورد بناء فعيل صفة لازمة الثبوت للفاعل: صدّيق.

«فالصّدق في الغار والصّدّيق لم يرما وهم يقولون ما بالغار من أرم»(243)

هذه الصيغة تفيد الكثرة في الصدق. وهي صفة من صفات أبي بكر الصديق رضي الله عنه). وتدل في أصلها على المبالغة(2).

11 ـ مِفْعال

بناء مفعال اسم آلة على المجاز: مقدار:

«وجلّ مقدار وما ولّيت من رتب وعز إدراك ما أوليت من نعم»(246)

12 ـ مفعول

هذا البناء صفة للمفعول: موصوف، مخدوم، مكنون:

«آيات حق من الرحمن محدثة قديمة صفة الموصوف بالقدم» (244)

«وقدمتك جميع الأنبياء بها والرسل تقديم مخدوم على خدم»(245)

«وكأنما اللؤلؤ المكنون في صدف من معدني منطق منه ومبتسم»(242)

---

(1) ذهب هنرى فليش الى أن هذه الصيغة كانت فعّيل ـ بالفتح ـ ثم صارت «فعيل» انظر كتابه، العربية الفصحي، ص 116.

(2) ذهب ابراهيم أنيس الى أن صيغة فِعيل تعبر عن المبالغة أكثر من الصيغ الأخرى، انظر مقالة: في القياس اللغوي وصيغة فعيل، مجلة مجمع اللغة العربية، ص 82.

الصورة العاشرة: (م ص ص + م ص ص م)

تمثل هذه الصورة الأبنية: «آفال»، آفات»

1 ـــ آفال: (أفعال)

بناء آفال جمع تكسير: آجام(247ـــ6) ـــ آمال (244ـــ3) ـــ آثام (247ـــ13).

الجدول الآتي يوضح علاقة بنائه بالمفرد.

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
آفال	آجام آمال آثام	فَعَلَة فَعَل فِعْل	أجمة أمل إثم

بناء المفرد مختلف عن بناء جمعه، إذ بناء فَعَلَة ينتمي الى النمط الثالث (أبنية ذات مقاطع ثلاثة، وبناء فِعْل ينتمي الى الصورة الأولى من النمط الأول (أبنية ذات مقطع واحد). غير أن بناء فِعَل متفق معه من حيث عدَدُ المقاطع، ومختلف معه في أنواعها.

2 ـــ آفات = (فَعَلات)

ورد هذا البناء جمع مؤنث سالم: آيات (246ـــ6)(+)

مفرده آية على زنة «فالة»(1) متفق مع بناء جمعه من حيث عدّد المقاطع ومختلف منه في نوع المقطع الأخير الذي هو طويل مفتوح.

(+) مكرر مرتين.

(1) وزنه: فَعَلَة.

النمط الثالث ـــ أبنية ذات مقاطع ثلاثة

الصورة الأولى: (م ص ص + م ص م)

تمثلت هذه الصورة في بناء «فاعله».

من وظائفها الصرفية.

أ ـــ صفة للفاعل المؤنث: سائمة (240ـــ1) المذكر: سائم، قاتلة (240ـــ1) المذكر = قاتل، ساطعة (242ـــ15) المذكر: ساطع.

ساجدة(243ـــ7) المذكر: ساجد، سائرة (243ـــ9) المذكر: سائر، خادمة (242ـــ12) المذكر: خامد، بارقة (243ـــ1) المذكر: بارق سابحة (246ـــ10) المذكر: سابح.

ب ـــ اسم علم(1) = كاظمة(+)

«أم هبّت الريح من تلقاء كاظمة   وأومض البرق في الظلماء من إضم»(238)

ج ـــ اسم ليس له وظيفة صرفية: نافلة. وقد يكون اسم فاعل على المجاز بمعنى الزائدة:

«ولا تزودت قبل الموت نافلة   ولم أصل سوى فرض ولم أصم»(240)

الصورة الثانية: (م ص + م ص + م ص م)

تضم هذه الصورة الأبنية: فَعَالة، فَعُولة، فَعِيلة، فعائل، فواعل، تفاعُل، مفاعِل.

1 ـــ فَعالة

هذا البناء تنوعّت وظائفه الصرفية كالآتي:

أ ـــ بناء فعالة مصدر في الصيَّغ: غواية (239ـــ12) ـــ شفاعة (241ـــ2) ـــ جلالة (242ـــ6) ـــ بلاغة (244ـــ14).

ب ـــ بناء فعالة اسم ليس له وظيفة صرفية: غمامة

«مثل الغمامة أنى سار سائره   تقيه حرّ وطيس للهجير حمى (243ـــ9)

---

(1) موضع بقرب المدينة المنورة، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 431/4.

(+) انظر معانيها فصل الدراسة النحوية، ص 168.

2 ــ فِعَالة (1)

بناء فعالة مصدر يدل على الحرفة وغير الحرفة: وقاية، عناية، تجارة:

«وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم»(243)

«بشرى لنا معشر الاسلام إن لنا من العناية ركنا غير منهدم»(246)

«فيا خسارة نفس في تجارتها لم تشتر الدين بالدنيا و لم تسم»(247)

3 ــ فَعُولة

بناء فعولة اسم ليس له وظيفة صرفية: ضرورة (240ــ13) مكرر ثلاث مرات

4 ــ فَعِيلة

تمثل هذا البناء في الوظائف الصرفية الآتية:

أ ــ صفة الأزمة للفاعل المؤنث(2) = قديمة (244ــ9). ضده حديث.

ب ــ اسم ليس له وظيفة صرفية: (241ــ16) حقيقة.

5 ــ فَعَائل.

بناء فعائل جمع تكسير في الأبنية = دسائس (240ــ3) بشائر (243ــ1) عجائب (245ــ1) كبائر (245ــ) مدائح (243ــ6).

الجدول الآتي يوضح علاقة بنائها بالمفرد
(1)

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فعائل	دسائس عجائب كبائر	فعيلة	دسيسة عجيبة كبيرة

(1) حول هذا المعنى انظر ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 471.
(2) انظر ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 478.

(2)

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فعائل	بشائر	فعالة	بشارة
	مدائح	فعيل	مديح

بناء مفردات الجموع بعضه متشابه من حيث عددَ المقاطع، والبعض الآخر مختلف، فمثلا بناء: (فعيلة، وفِعَاله) ينتمي الى الصورة الثانية من النمط الثالث غير أن بناء فعيل منتم الى الصورة الثانية من النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين ومختلف عنه.

6 ــ فواعل

هذا البناء جمع تكسير الأبنية: كواكب (242ــ3) ــ عواقب (247ــ12).

الجدول يوضح علاقة بنائه بالمفرد

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فواعل	كواكب	فعلل	كوكب
	عواقب	عواقب	عاقبة

نلاحظ أن مفردات الجموع المذكورة تنتمي الى أبنية متنوعة، فمثلا «فواعل» ينتمي الى الصورة السابعة من النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين)، وبناء «فاعلة ينتمي» الى الصورة الأولى من النمط الثالث (أبنية ذات مقاطع ثلاثة)، وهو النمط نفسه الذي ينتمي اليه بناء. الجمع غير أنه يختلف عنه في أنواع المقاطع.

7 ـــ تَفاعُل

من وظائفه الصرفية وروده مصدرا في: تطاول (244ـــ8)، من الفعل تطاول، وتجاهل من الفعل تجاهل وهو بمعنى التظاهر(1).

«لا تعجبن لحسود راح ينكرها تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم»(245)

8 ـــ مَفاعِل.

بناء دال على جمع التكسير في الأبنية: محارم (240ـــ4) ـــ مكارم (248ـــ5) ـــ محاسن (241ـــ3). الجدول الآتي يوضح علاقة بنائه بالمفرد.

الجمع		المفرد	
مفاعل	محارم	مَفْعَل	محرم
	مكارم	مَفْعَلة	مكرمة
	محاسن	فُعْل	حسن(2)

مفردات الجموع منتمية الى أبنية متنوعة. فمثلا بناء فَعْل ينتمي الى الصورة الأولى من النمط الأوّل (أبنية ذات مقطع واحد). وبناء مفعل ينتمي الى الصورة السابعة من النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين). وبناء «مفعلة» ينتمي الى النمط الثالث (أبنية ذات مقاطع ثلاثة). غير أنه يختلف عنه في أنواع المقاطع.

9 ـــ مُفاعِل

بناء مفاعل صفة للدّلالة على معنى المشاركة(3): معارض ـــ مصادم

«ردّت بلاغتها دعوى معارضها رد الغيور يد الجاني عن الحرم»(244)

«هم الجبال فسل عنهم مصادمهم ماذا رأى منهم في كل مصطدم»(246)

(1) حول هذا المعنى، انظر المقتضب للمبرد، ج 1/78ـــ79. وعصام نور الدين، أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، ص 159.
(2) على خلاف القياس.
(3) انظر المبرد، المقتضب، ج 1/72.

الصورة الثالثة: (م ص + م ص ص + م ص ص)

تشمل هذه الصورة الأبنية: فعالى ـــ مفَاعِي

أ ـــ فعالي

بناء فعالي جمع تكسير: ليالي (246ـــ8) (مكرّر مرتين).
مفرده ليلة على زنة فعلة يختلف عن بناء جمعه، إذ ينتمي الى الصورة السابعة من النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين)

ب ـــ مفاعي: (مَفَاعِل)

بناء مفاعي جمع تكسير: مَعاصِي

«فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها إنّ الطعام يقوي شهوة النهم»(239)

مفرده معصية على زنة، يختلف عن بناء جمعه، إذ ينتمي الى الصورة السابعة من النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين)

الصورة الرابعة: م ص + م ص م + م ص م

تضم هذه الصورة الأبنية: مُفعِّل ـــ تَفَعَّل.

أ ـــ مُفعِّل

بناء مفعّل صفة للفاعل: مسبّح

«نبذا به بعد تسبيح ببطنهما نبذ المسبّح من أحشاء ملتقم»(243)

ب ـــ تَفعّل

هذا البناء مصدر غير مصحوب بفعله: تذكّره.

«أمن تذكّر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم»(238)

المصدر تذكّر من الفعل تذكّر يفيد التجدّد والكثرة.

الصورة الخامس: (م ص م + م ص + م ص م)

تشمل هذه الصورة الأبنية الآتية: مَفْعَلة، مَفِّعِلة؛ مُفْعَلة، مَفْعِلَة، مُفْتَعِل، مَفْتَعَل، مُنْفَعِل.

1 ـــ مَفعَلَة.

بناء مفعلة مصدر ميمي = مخمصة.

«واخش الدسائس من جوع ومن شبع   قرب مخمصة شر من التخم»(240)

2 ـــ مَفْعِلَة

ارتبط هذا البناء بالوظائف الصرفية الآتية.

أ ـــ مصدر ميمي: معذرة (239ـــ5) ـــ معدلة (245ـــ5).

ب ـــ اسم مكان: منزلة

«آيات حق من الرحمن محدثة   قديمة صفة الموصوف بالقدم»(244)

4 ـــ مَفْعِلَة.

هذا البناء صفة للفاعل المؤنث: معجزة

«دامت لدينا ففاقت كل معجزة   من النّبيّين إذ جاءت ولم تدم»(244)

5 ـــ مَفْتَعِل

بناء مفتعل صفة للفاعل=

مضطرم (239+4) ـــ مستمر (239ـــ6) ـــ محتشم (239ـــ10) ـــ ملتئم (242ـــ11) ـــ ملتقم (242ـــ6) ـــ محتلم (244ـــ1) ـــ مصطلم (246ـــ11) ـــ ملتطم (246ـــ10 ـــ محتسب (246ـــ11) ـــ ملتزم (248ـــ6) ـــ ملتمس (241ـــ5) ـــ ملتثم (242ـــ8) ـــ مشتمل (242ـــ4) ـــ متسم (242ـــ4ـــ معتبر (245ـــ9) ـــ مكتتم (245ـــ16) ـــ مستنم (245 ـــ 14) ـــ مستبق (245ـــ14) ـــ مغتنم (245ـــ9) ـــ منتظم (244ـــ7) ـــ مكرر مرتين ـــ منتصر (247ـــ7) ـــ منتشق (242ـــ9) ـــ منتدب (246ـــ11) ـــ منتقم (248ـــ10) ـــ منتقض (243ـــ2).

نلاحظ في هذا الاستخدام ظاهرة الانسجام بين أصوات الصيغ، فالأبنية: مستتر، محتلم، محتشم محتسب، مشتمل، مكتتم، مستنم، مستبق، فاء فعلها صوت مهموس . س، ح، ش، ك، ـــ مصحوب بصوت يشبه في صفة الهمس وهو تاء افتعل المذكور في الوزن.

أما الصيغتان: «مضطرم، مصطلم» فبناؤها الأوّل مضترم، مصتلم على زنة مفتعل، لكن نظرا لاختلاف الصوتين: الضاد، والصاد ـــ وهما صوتان مطبقان مفخمان ـــ عن تاء افتعل الذي هو صوت انفجاريّ مهموس مرقق حدث تأثر تقدميّ(1)، إذ تأثر الصوت الثاني ـالتاء ـــ بالصوت الأوّل فصار البناء في الصيغتان: «مضطرما، مصطليا». هذا الابدال والتغير حققا مبدأ الانسجام بين الأصوات في البنائين.

وأما صيغة «متّسم» ففاء فعلها التاء وهو صامت مهموس قد جاوره صوت مهموس من بني جنسه، فحدث تأثر، إذ تأثر الصامت الأوّل ـــ التاء ـــ بالثاني ـــ تاء افتعل ـــ تأثرا رجعيا آل الى حد الفناء(2)، فغدا الصوتان في البناء صوتا واحدا. وهذا أقصى ما يصل إليه التأثر بين الأصوات(3).

وأما بقية الصيغ فقد جمعت بين أصوات مختلفة في الصفات (الجهر والهمس)، لم يحدث فيها تأثر ولم يصبها تغيير. وهذا في اللغة العربية مطرد. غير أن هذا البناء أصابه في بعض اللهجات التطور نفسه(4)، الذي ذكرناه سابقا.

6 ـــ مُفْتَعَل

تمثل هذا الوزن في الوظائف الصرفية الآتية:

أ ـــ بناء مفتعل صفة للمفعول في الأبنية: مستلم (243ـــ16) ـــ مكتسب (244ـــ2) ـــ متهم (244ـــ2) مشترك (245ـــ1) ـــ مزدحم (246ـــ1). مقتحم (241ـــ2) محترم (246ـــ5) ـــ مستنم (245 ـــ 14).

نلاحظ في استخدام هذه الصيغ ظاهرة الانسجام الصوتي بين مكوّنات الكلمات وهي: مستلم، مكتسب، مشترك، مستنم، محترم، ففي هذه الصيغ فاء الفعل هو السين، والكاف، والشين، والحاء، وهي صوامت مهموسة قد صاحبها وجاورها صوت التاء وهو صامت مهموس أيضا.

(1) حول هذه القضية، راجع ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 160.
(2) انظر ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 181 و186. الأنطاكي، المحيط، ج 123/1.
(3) المرجع نفسه، ص 181.
(4) المرجع نفسه، ص 183.

أما صيغة متّهم ففاء فعلها صوت التاء، وهو صامت مهموس قد جاوره صوت مهموس من بني جنسه، فتأثر الصوتان تأثّرا رجعيا آل الى حد الفناء. وصار الصوتان صوتا واحدا.

وأما الصيغة: مزدحم فبناؤها الأصلي مزتحم على زنة مفتعل. نظرا لكون فاء الفعل ـــ الزاي ـــ صوتا مجهورا، والتاء صوتا مهموسا، أبدلت التاء دالا وصار البناء «مزدحما» فتمّ الانسجام بين الصوتين، لاشتراكهما في صفة الجهر.

ب ـــ بناء مفتعل اسم زمان في الأبنية: مبتدأ (242ـــ9) ـــ مختتم (242ـــ9).

انسجام فاء الفعل مع الصوت المجاور في صيغة «مبتدا» لأن كلا من الباء والتاء صوت انفجاري. أما الانسجام بين الأصوات في البنية الثانية «مختتم»، فلاشتراكهما في صفة الهمس، لأن كلا من الخاء، والتاء صامت مهموس.

جـ ـــ بناء مفتعل اسم مكان في الأبنية: مبتسم، معترك، مصطدم:

«كـأنما اللؤلـؤ المكنـون في صدف   من معدني منطق منه ومبتسم»(242)

«مـازال يلقاهـم في كـلّ معتـرك   حتى حكوا بالقنا لحما على وضم»(246)

«هـم الجبـال فسل عنهم مصادمهـم   ماذا رأى منهم في كل مصطدم»(246)

الصيغة «مصطدم» بناؤها مفطعل، وأصلها «مصتدم» على زنة مفتعل، لكن نظرًا لكون فاء الفعل ـــ الصاد ـــ صامتا مطبقًا مفخما، وتاء افتعل صامتا غير مطبق وغير مفخم، حدث تأثر تقدمّي، لأن الصوت الثاني تأثر بالصوت الأوّل، فتحقّق الانسجام. وصار البناء «مصطدما».

7 ـــ مُنْفَعِل

بناء منفعل صفة للفاعل في الأبنية:

منكتم (239ـــ4) ـــ منقسم (241ـــ8) ـــ منفحم (241ـــ14) ـــ منصدع (242ـــ11) ـــ منهزم (243ـــ4) ـــ مكرر مرتين ـــ منهدم (246ـــ3). منفصم (241ـــ14) ـــ منعجم (247ـــ1) ـــ منقصم (247ـــ7) ـــ منحسم (239ـــ6) ـــ منسجم (238ـــ4) ـــ منصرم (248ـــ2) ـــ منخرم (248ـــ14) ـــ منعكس (248ـــ14).

8 ـــ تَفْعِلَة

هذا البناء مصدر في: تسمية (248ـــ3)

الصورة السادسة: (م ص م + م ص ص + م ص م)

تمثلت هذه الصورة في بناء مفعولة الذي دلّ على صفّة المفعول المؤنث في: مبرورة، موصولة، مكفولة:

«أقسمت بالقمـر المنشق إن لـه   من قبله نسبة مبرورة القسم»(243)

«حتى غدت ملة الاسلام وهـي بهم   مـن بعـد غـربتها موصولـة الرحم»

«مكفولـة أبـدا منهم بخير أب   وخير بعل فلم تيتم ولم تـئم»(246)

الصورة السابعة: م ص م + م ص + م ص ص م

تشمل هذه الصورة بناء أفعلاء الذي ورد جمع تكسير: «أنبياء»، مفرده نبيّ على زنة فعيل، يختلف عن بناء جمعه، لأنه ينتمي الى الصورة الثالثة من النمط الثاني (أبنية ذات مقطعين).

الصورة الثامنة: م ص م + صَ + م ص م

تضم هذه الصورة بناء مُفْعَل الذي دلّ على الوظائف الصرفية الآتية

أ ـــ بناء مفعّل صفة للفاعل: منهل:(1)

«واذن لسحب صلاة منـك دائمـة   على النبـي بمنهل ومنسجـم»(248)

ب ـــ بناء مفعّل صفة للمفعول: معوج، مسوّد:

«من بعـد ما أخبر الأقـوام كاهنهم   بـأن دينهم المعـوج لم يقـم»(243)

«المصدري البيض حمرا بعد ما وردت   من العدا كل مسودّ من اللمم»(248)

الصورة التاسعة: (م ص م + م ص م + م ص م)

أبنية هذه الصورة: مفعلّة: مستفعِل

أ ـــ مفعلّة: (منفَعَلة)

بناء مفعلّة صفة للفعال المؤنث: منقضّة:

«وبعد ما عاينوا في الأفق من شهب   منقضة وفق ما في الأرض من صنم»(243)

ب ـ مستفعل

بناء مستفعل صفة للفاعل: مستمسك (241ـ3) (مكرر مرتين).
مستأمل (246ـ11)

الصورة العاشرة: م ص م + م ص ص + م ص م

بناء هذه الصورة فعّالة الذي دلّ على المبالغة في الوصف: أمّارة:

«فإن أمّارتي بالسوء ما اتعظت من جهلها بنذير الشيب والهرم»(239)

الصورة الحادية عشر: م ص + م ص + م ص ص م

بناء هذه الصورة فعلات. ورد جمع مؤنث سالم في الأبنية:
كلمات (247ـ2) ـ عذبات (249ـ1). الجدول يوضح علاقة بنائه بالمفرد.

الجمع		المفرد	
البناء	المثال	البناء	المثال
فَعَلات	كلمات عذبات	فعلة	كلمة عذبة

بناء المفرد متفق مع بناء جمعه من حيث عدد المقاطع، إذ ينتمي الى النمط الثالث (أبنية ذات مقاطع ثلاثة) وهو النمط نفسه الذي ينتمي اليه بناء الجمع، غير أنه يختلف عنه في نوع المقطع الأخير الذي هو طويل مغلق.

النمط الرابع ـ أبنية ذات مقاطع أربعة

الصورة الأولى: (م ص + م ص ص + م ص +م ص م)

تمثلت هذه الصورة في بناء مُفَاعَلة الذي ورد صفة للمفعول المؤنث: مضاعفة، مذكره مضاعف.

«وقاية الله أغنت من مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم»(248)

الصورة الثانية: م ص ص + م ص + م ص م + م ص م)

ضمت هذه الصورة بناء فاعليّة الذي ورد مصدرا صناعيا دالا على صفة معنوية: جاهليّة:

«كفاك بالعلم في الأميّ معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتم»(247)

الصورة الثالثة: (م ص + ص م + م ص + م ص ص م)

تمثلت هذه الصورة في بناء «مفعّلات» الذي جاء جمع مؤنث سالما في: «محكمات». مفرده محكمة على زنة مُفعّلة.

«محكّمات فما تبقين من شبه لذى شقاق وما تبغين من حكم»(244)

بناء المفرد متفق مع بناء جمعه من حيث عدد المقاطع أربعة)، غير أنه يختلف عنه في نوع المقطع الأخير الذي هو طويل مغلق.

الخاتمة

أسفر الوصف عن أبنية مختصة بوظائف صرفية. والجدول الآتي يوضح ذلك(1)

الأبنية	العدد
الأبنية الدالة على المصدر	24
الأبنية الدالة على الصفات	26
الأبنية الدالة على جمع التكسير	18
الأبنية الدالة على اسم العلم	06
الأبنية الدالة على التفضيل	04
الأبنية الدالة على جمع المؤنث	04
الأبنية الدالة على المبالغة	04
الأبنية الدالة على الجمع الذي لا واحد له	04
الأبنية الدالة على اسمي الزمان والمكان	03
الأبنية الدالة على اسم الآلة	01
الأبنية الدالة على الأسماء	26

(1) نخرج من الاحصاء الوزن المقطعي عند وجود الوزن القديم.

الكلمة في البردة ـــ عموما ـــ عنصر حيّ، تستمد حيويتها من السياق فيؤثر فيها وتؤثّر فيه، ويخلقها وتخلقه، فهي كمثل الكائن الحيّ يكتسب حياته بالتفاعل مع أبناء جنسه. ولكن لا قيمة لهذا الكائن إذا لم يوضع في إطاره الواسع، وهي الجملة، لأن ملامح النظم في البردة تتحدد من خلال الصوت والكلمة والجملة.

الفصل الثالث

البنية النحوية

1 ـــ الجملة الطلبية.
2 ـــ الجملة الشرطية.
3 ـــ الجمل ذات الوظائف النحوية.

«واعلم أن ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله... وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه فينظر في الخبر الى الوجوه التي تراها في قولك «زيد منطلق» و «زيد ينطلق»... وفي الشرط والجزاء الى الوجوه التي تراها في قولك: «إن تخرج أخرج» و «إن خرجت خرجت» و «إن تخرج فأنا خارج» ...وفي الحال الى الوجوه التي تراها في قولك: جاءني زيد مسرعا و «جاءني يسرع»، و «جاء يسرع»، و «جاء وهو مسرع» أو يسرع» و «جاءني قد أسرع».... فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجيء به حيث ينبغي له...».

عبد القاهر الجرجاني

يقوم وصف الجملة في هذا الفصل على أساس الافادة من التراث اللغوي العربي، ومن اللسانيات[1]. وتتلخص هذه الأسس فيما يلي:

أولا — تم تصنيف الجملة بحسب وظيفتها ودلالتها التي تؤديها في الكلام الى ثلاثة أنواع:

أ — الجملة الطلبية[2] وتجمع الاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء والترجي، والدعاء.

ب — الجملة الشرطية.

ج — الجمل ذات الوظائف: وتضم الجمل الآتية: جملة الفاعل، والخبر، والمفعول به، والنعت، والحال، والتعليل، والغاية.

ثانيا — تم تعريف الجملة والوظيفة بالاعتماد على بعض اللسانين المحدثين.

أ — الجملة:

تعدّدت تعاريف الجملة[3]، واختلفت باختلاف وجهات نظر اللغويين وأيا ما كان الاختلاف فالجملة مجموعة العلاقات النحوية الرابطة بين أجزاء الكلام ربطا وظيفيا[4]، وتتكون من مركبين متميزين: الأوّل المركّب الأسمي والثاني المركّب الفعلي، وهدان المركبان بهما تتحقق عملية الابلاغ[5]. كما تعدّ الجملة الملفوظ الذي ارتبطت كل عناصره بعنصر منه هو المحور لعملية

---

(1) استفاد البحث من جهود noam chomsky, Aspects de la theoris syntaxique, tra, je paris 75 وعبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ومحمد علي الخولي، قواعد تحويلية اللغة العربية، وابراهيم مصطفى البنية اللغوية شعر بن الورد، رسالة ماجستير مخطوط (قسم الدراسة النحوية).

(2) أنظر تمام حسان، اللغة العربية، ص 124.

(3) وصلت تعاريف الجملة مائتي تعريف، أنظر: moumin, chefs pour la linguistique, p. 121 ونظرا لهذه الكثرة اقتصرنا على ما يغني لأن البحث تطبيقي والمجال لا يتسع لذلك.

(4) أدوارد سابير، عن عبد السلام المسدي.... الشرط في القرآن، ص 135.

(5) Dubois grammuaire structurale du fransais, p. 20.

الابلاغ[1]. أو هي «أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر»[2]. ونكاد نلتمس التعريف نفسه عند عبدالرحمن الحاج صالح الذي عدّ الجملة نواة لغوية تدل على معنى وتفيد[3]. أما ريمون طحان فالجملة عنده «تركيب يتألف من ثلاثة عناصر أساسية: المسند والمسند اليه والاسناد، وقد تضاف اليها عناصر أخرى حين لا تكتفي العملية الاسنادية بذاتها»[4].

ب ــ الوظيفة:

هي المنزلة التي يتبوؤها أي عنصُر من عناصر الكلام كالوحدة الصوتية والوحدة الصرفية، والكلمة، والتركيب في البنية النحوية للملفوظ[5]. غير أن هذه الرؤية قد توسعَ مجالها حتى شملت المقومات اللغوية والأغراض التعليمية، فصار النحو نوعين: نحوا وظيفيا، ونحوا تخصصيًا. فالنحو الوظيفي مجموعة من القواعد التي تؤدّي الوظيفة الأساسيّة كضبط الكلمات ونظام تأليف الجمل. والنحو التخصصيّ ما يتجاوز تلك المسائل المتشعبة[6]. وصارت الوظيفة قسمين: القسم الأول وظائف نحوية عامّة، وهي الدلالات المستفادة من الأساليب والجمل بشكل عام. والقسم الثاني وظائف نحوية خاصة[7]، وهي العناصر النحوية التي تقوم بوظائف مفيدة في جمل مركبة[8]، وصار علم التركيب علما وظيفيا من ذلك أن علم النحو ــ عند بعض النحاة المحدثين ــ دوره وظيفي محض، وهو دور خاص بالتراكيب[9].

---

(1) martimet, elments de lin guistique génerale p. 131.

(2) د. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، 191.

(3) «مدخل الى علم اللسان الحديث»، مجلة اللسانيات، المجلد الأول (2) 1971، ص 65.
وق نبه د. الحاج صالح في هذا المدخل على أن هذه النظرة هي نظرة النحاة العرب الذين ميزوا بين المعنى والفائدة، فنوه بها قائلا: «ولهذا أهمية عظيمة جدا، لأنه الأساس الذي بنيت عليه نظرية الافادة الحديثة» أنظر هامش المرجع نفسه.

(4) الألسنية العربية، ج 54/2.

(5) Dubois et autres, Dictinnaire de linguistique (Fonction)

(6) أنظر: مقدمة، عبد العليم إبراهيم، النحو الوظيفية، ص «هـ ، و».

(7) د. فاضل مصطفى الساقي، أقسام الكلام العربي، من حيث الشكل والوظيفة، ص 209ــ212.

(8) الجملة المركّبة هي ما تعددت فيها عمليات الاسناد، وجاءت احدى عناصرها النحوية جملة، أنظر: المنصف عاشور، التركيب عند ابن المقفع، ص 87. ومحمد خان، نظام الجملة ودلالاتها في سورة البقرة، ص 31.

(9) د. محمد صلاح الدين مصطفى بكر، النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم، ج 29/1.

فأمام هذا التشعب، وكثرة التعاريف وتداخلها، وأمام عمل تطبيقي، لا يسمح بالتوسع في عرض النظريات وتقويمها، لا يسعنا إلا الاستفادة منها في حدود ما يلائم منهجنا لعلنا نظفر بالسمات البارزة لنظام اللغة العربية عموما وللجملة في البردة خصوصا.

ثالثا ــ ينطلق وصف الأنماط والصور من جهود اللغويين القدامى، ومن النظريات اللسانية الحديثة.

رابعا ــ يقوم تحليل الجمل في الأنماط كلّها على فكرة أساسيّة ترجع جذورها الى النحو العربي، وتستفيد من نظرية النحو التحويلي والتوليدي التي راج صيتها رواجا عظيما. هذه النظرية تدعو الى فكرة السطح والعمق بشكل يعيد الى الذهن قضية التقدير عند النحاة العرب[1].

فالبنية السطحية تمثل الصورة الفعليّة المحسوسة للجملة من حيث النطق، ومن حيث العناصر المكونة لها، والبنية العميقة هي الصورة المثالية الكاملة للجملة، لا تظهر ولا يتلفظ بها، فهي حسب اللسانيين موجودة في ذهن المتكلم من حيث الدّلالة والعناصر المكونة لها في صورتها الأولى.

فالتحليل النحويّ إذن من هذا المنطلق يكشف عن علاقة الصوت بالمعنى وقد أفردنا لهذه القضيّة الفصل الأوّل، لايماننا بأن اللغة أصوات وكلمات وجمل تتضافر لتعبر عن غرض ما. واللغة المنطوقة تعد صورة حيّة تعكس عمليات عقلية هي في الواقع عنصر من عناصر الشخصية المتحدثة، لأن الأسلوب هو الشخص نفسه[2].

أما الأشكال التي استخدمها الباحث للتشجير، وتوضيح ظاهرة السطح والعمق فهي رسوم بسيطة. فعند اختلاف البنتين غالبا ما يوضح بالتشجير سطح

---

(1) د. عبده الراجحي، النحو العربي، ص 148.

(2) تنسب هذه المقولة الى «بيفون»، وهي مشهورة في الأدب الفرنسيّ، انظر: عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، ص 145. وقد اقتبسها أحمد الشايب دون أن يعزوها الى صاحبها، أنظر كتابه: الأسلوب، ص 121 وما بعدها.

الجملة وعمقها أو سطحها فقط، وعند الائتلاف يكتفي بتشجير واحد للدّلالة على التقاطع. غير أنه يكتفي أحيانا بإبراز نظام الجملة والتعليق عليه.

وفي كلّ هذا يسعى الباحث الى تفسير الظاهرة اللغوية تفسيرا نحويا دلاليا. وكل ذلك في حدود الامكان.

1 ــ الجملة الطلبية:

هي تركيب من تراكيب الجملة العربية الانشائية، لها صور عديدة تختلف باختلاف نوع الجملة ودلالتها، فإن كان التركيب يفيد الأمر فالجملة أمرية، وان كان يفيد النداء أو الاستفهام فهي ندائية أو استفهامية، وان كان يفيد النهي أو الدعاء فهي جملة نهي أو دعاء، وإن كان يفيد الترجي فهي جملة ترج.

وردت الجملة الطلبية ستا وثلاثين مرة في البردة، وتوزّعت توزيعا بنويا(1) بحسب خصائص كل نوع.

والجدول يوضح ذلك

نوع الجملة الطلبية	عدد الجمل
جملة الأمر	11
جملة النداء	08
جملة الاستفهام	08
جملة النهي	05
جملة الدعاء	03
جملة الترجي	01

(1) نتبع في نسبة «بنية» رأي يونس بن الحبيب النحويّ الذي يقول في ظبية ظبويّ، وهو أخف من ظبيي. وأن كان هذا على غير قياس إلا أن الخليل قد ألتمس العذر لونس. أنظر سيبويه، الكتاب، ج 3/، ص 347. وقد نبه على هذا د. عبدالرحمن الحاج صالح. «مدخل الى علم اللسان الحديد»، مجلة اللسانيات المجلد الأوّل (2)، هامش ص 38.

أولا ــ جملة الأمر(*):

الأمر أسلوب لغويّ يطلب به الآمر من المأمور فعل شيء، ويكون لفظ الأمر بالصيغة أو الأمر باللام «أفعل، وليفعل».

وجملة الأمر قد تؤدي وظيفة نحوية في جملة مركّبة، كأن تكون مفعولا به، أو جواب شرط، أو جواب نداء.

وردت جملة الأمر في البردة احدى عشرة مرة تمثلت في نمط واحد: هو **الأمر بالصيغة.**

الصورة الأولى(**): فعل أمر + فاعل (مضمر في البنية السطحية) + مفعول به (جملة موصولية) + جار ومجرور + متضايفان + أداة عطف + معطوف (جملة أمر) + أداة عطف + معطوف (جملة أمر):

دع ما أدعته النصارى في نبيهم وأحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم(241)

الجملتان: «ما أدعته النصارى في نبيهم» و «بما شئت مدحا فيه» موصوليتان، الأولى مفعول به، والثانية عنصر مجرور.

حرف الجر «من» محذوف دالّ عليه نصب كلمة «مدحا» المنصوبة على نزع الخافض، وصورتها في البنية العميقة» «من مدح». ويمكن أن تعد حالا.

الواو في: «وأحكم بما شئت مدحا فيه «رابط ضم الجملتين مبني ومعنى. أما الأمر فقد خرج من معناه الحقيقي الى معنى الالتماس على سبيل الرجاء.

(*) أنظر: ابن فارس، الصاحبي، ص 124، والسّكاكي، مفتاح العلوم، ص 152، والسيوطي الاتقان في علوم القرآن، ج، ص 81ــ82، وريمون طحان، الألسنية العربية، ج 2، ص 88.
(**) ترتيب الصور خاضع لطبيعة الصيغة، المجردة، فالمزيد بصامت، فبصامتين.. فإن تكررت جمل أمرية في البيت الواحد نعتمد الصيغة الأولى.

الصورة الثانية ـــ فعل أمر + فاعل مضمر في البنية السطحية + جار ومجرور + مفعول به (جملة موصولية) + أداة عطف + معطوف (جملة أمر). والجملة الأمرية على صورة المعطوف عليه:

وانسب الى ذاته ما شئت من شرف   وأنسب الى قدره ما شئت من عظم(241)

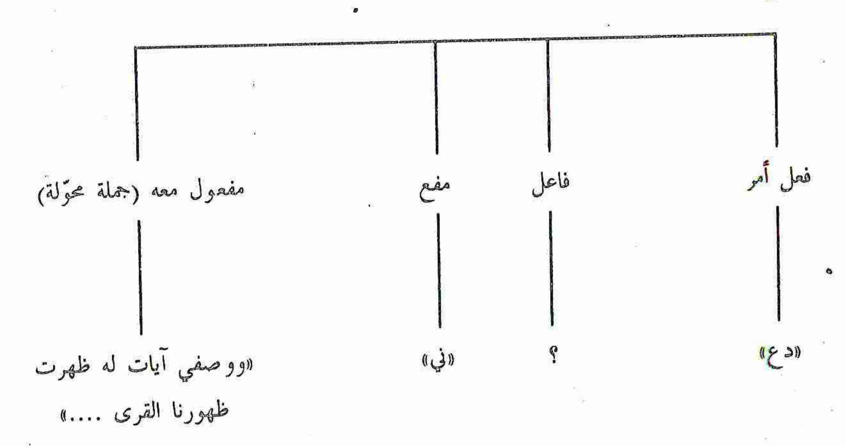
الجملتان: «ما شئت من شرف «ما شئت من عظم» موصوليتان قامتا بوظيفة المفعول به، وتقديم الجار والمجرور: «إلى ذاته» و «الى قدره» يفيد التأكيد أما حرف الجر في: «من شرف» فدال على بيان الجنس، والتنوين في الكلمة نفسها للتعظيم والترخيم.

وقد جيء بأسلوب الأمر لتفصيل ما أجمله في البيت السابق: «وأحكم بما شئت مدحا....».

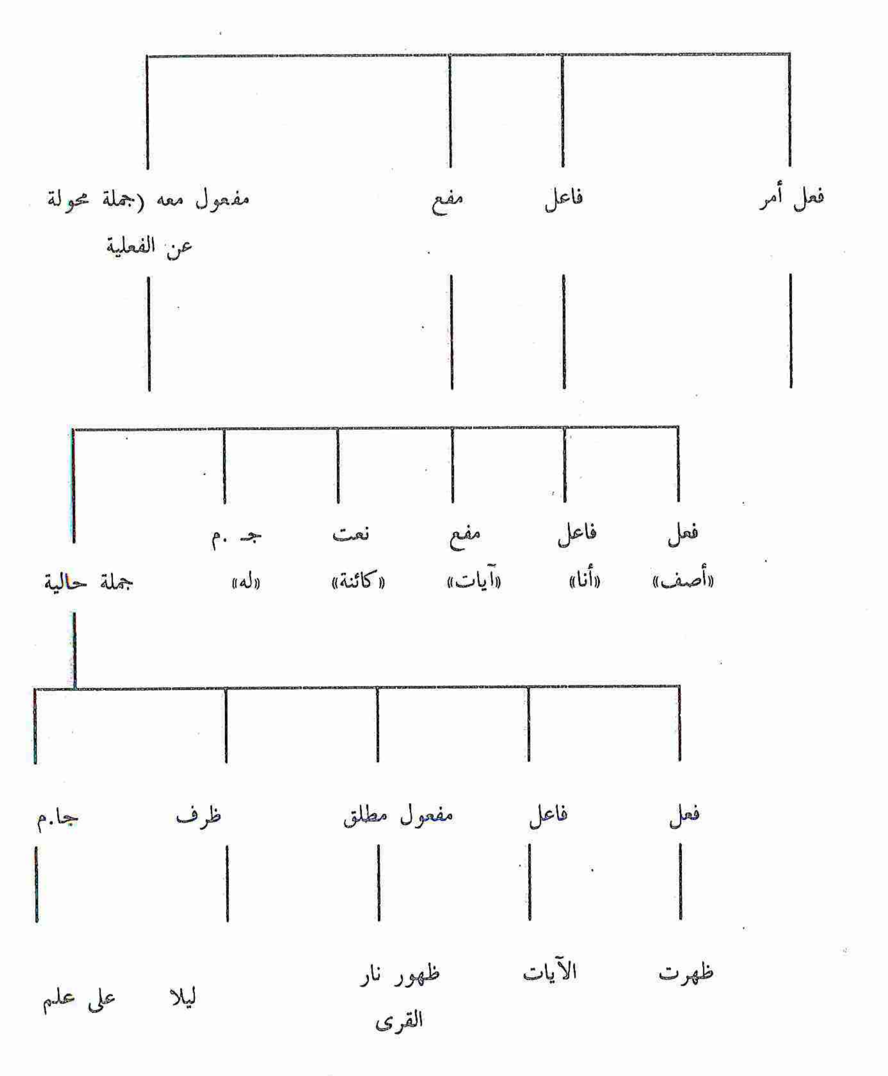
الصورة الثالثة ـــ فعل أمر + فاعل مضمر في البنية السطحية + مفعول به + مفعول معه)جملة محولة عن الفعلية):

دعني ووصفي آيات له ظهرت   ظهور نار القرى ليلا على علم (244)

بنية السطح:



بنية العمق:



يبدو أن الأمر في هذا التركيب جواب لانكار مقدر (لم تكثر من وصف ....؟)، والتماس مؤكد على سبيل المجاز لأن الناظم لما ذكر جملة من معجزات الرسول ﷺ قدر أن المعاند والكافر الجاحد قال له: كف عن ذكر هذه الآيات التي لا تسلم بها. فأجابه دعني ووصفي آيات.. أي كأنه قال له: كيف تنكرها

ولا تسلم بها وقد ظهرت ظهورا تاما. والجار والمجرور «له» متعلق بمحذوف صفة قدّرت في البنية العميقة بـ «آيات كائنة له». وقد يكون متعلقا بظهر، والتنكير في كلمتي: «ليلا» و «علم» إما للنوع أي ليلا السواد على علم شامخ، وإما للتعظيم.

البنيتان ــ السطحية والعميقة مختلفتان من حيث التحويل، والاضمار، والحذف، تمثل التحويل في المفعول معه المحوّل عن الفعلية: (أصف، آيات له ظهرت ظهور نار القرى ليلا على علم. وتمثل الاضمار في الضميرين: (أنت، أنا) في الفعلين: (دع، أصف). وتمثل الحذف في الصفة (كائنة).

الصورة الرابعة ــ ثلاث جمل أمرية متعاطفة مكونة من فعل أمر + فاعل مضمر في البنية السطحية + مفعول به:

وسل حنينا وسل بدرا وسل أحدا فصول حتف لهم أدهى من الوخم(246)

إضمار الفاعل في بنية السطح مع الأفعال الثلاثة (سل، سل، سل)، وتكرار صيغة الأمر ثلاث مرات مع ابراز المفعول به في البنيتين: السطحية والعميقة، يوحي بأن الأمر في هذا التركيب قد حمل على معنى الاعتبار والتدليل، لأن الناظم يلفت انتباه المخاطب الى زمن غزوات حنين وبدر وأحد اللواتي كن وباء على الكفار.

أما كلمة «فصول» فيجوز نصبها على البدلية من الأمكنة الثلاثة، لأن المراد بها زمن القتال. وقد تكون خبر المبتدإ محذوف مقدر في البنية العميقة بـ (هي فصول). وقد تكون عطف بيان أو مفعولا به حذف جارّة وقدّر في البنية العميقة بـ (سل عن فصول). و «أدهى» صفة لفصول أو لحتف.

الصورة الخامسة ــ فعل أمر + فاعل مضمر في البنية السطحية + مفعول به + صفة أو حال (جار ومجرور) + جملة تعليلية:

واخش الدسائس من جوع ومن شبع فرب مخمصة شر من التخم(240)

خرج الأمر ــ في هذا البيت ــ عن معناه الأصلي إلى معنى التأديب والارشاد، إذ لا تكليف ولا إلزام فيه. وكل ما في الأمر أن الناظم يحث على الخوف من المكايد التي تخفيها النفس في الجوع وفي الشبع، ذلك أن الدسائس من الجوع كسو الخلق، والدسائس من الشبع كالكسل عن العبادة. هذا على كون الجوع والشبع على ظاهر هما، ويحتمل أن يكون الناظم كنّى بالجوع عن قلة العبادة، والشبع عن كثرتها.

أما شبه الجملة: «من جوع، من شبع» فصفة على تقدير في البنية العميقة (الدسائس الناشئة من جوع ومن شبع). وقد تكون حالا على تقدير: (حال كونها ناشئة من جوع ومن شبع). وأما التنكير في الكلمتين، فإما للتنويع، وإما للتعظيم.

الصورة السادسة: فعل أمر + فاعل مضمر في البنية السطحية + معفول به + متضايفان + أداة عطف + معطوف (جملة محوّلة) + جملة تعليلية:

فاصرف هواها وحاذر أن توليه إن الهوى ما تولى يصم أو يصم(239)

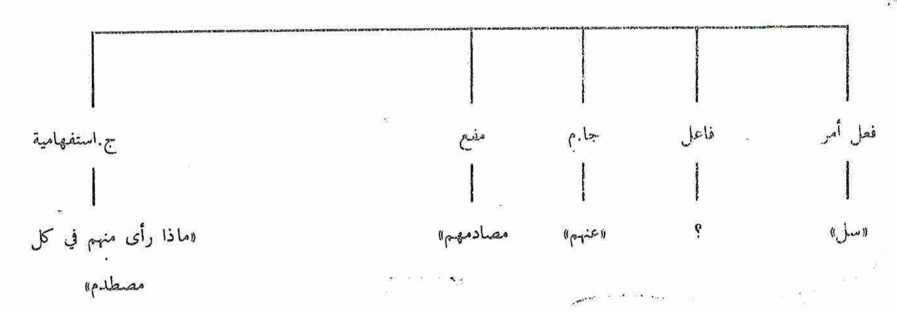
البنيتان ــ السدّطحية والعميقة مختلفتان من حيث الاضمار، والحذف، والتحويل. أما الحذف فمتمثل في حرف الجر «عن» المقدر في البنية العميقة بـ (فاصرف النفس عن هواها). وقد جيء به، لأن النفس تابعة لهواها لا تخالفه. وأما التحويل فدال عليه «أن توليه» المقدر في البنية العميقة بـ (توليه الهوى).

والفاء في: «اصرف» فصيحة، والواو رابط جمع بين جملتين إنشائيتين. والصيغة حاذر بمعنى أفعل. وقد عبّر الناظم بحاذر دون أحذر تنبيها على أن النفس تراقب غفلة الشخص لتقع في هواها، فهي تحاذره كما يحاذرها، لأن المحاذرة من الجانبين لذلك جيء بالتعليل «إن الهوى ما تولى...» أما الأمر فدال على النصح والارشاد.

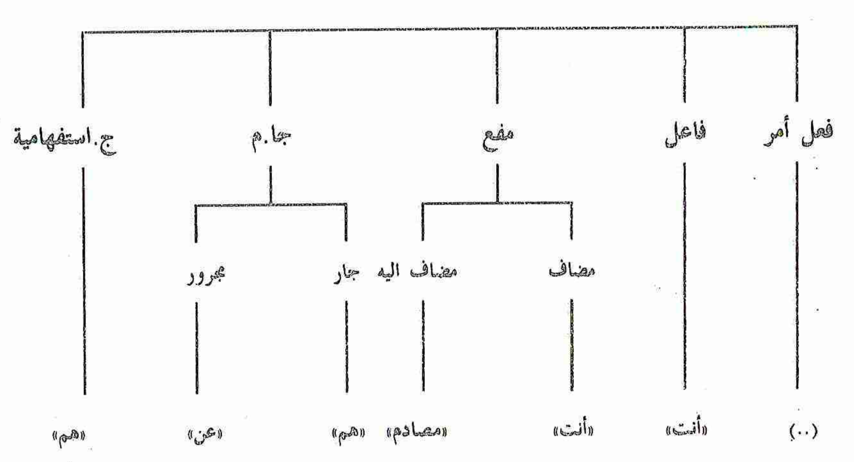
الصورة السابعة ــ فعل أمر + فاعل مضمر في البنية السطحية + جار ومجرور + مفعول به + جملة استفهامية:

هـم الجبـال فسل عنهم مصادمهـم   ماذا رأى منهم في كل مصطدم(246)

بنية السطح:



بنية العمق:



البنيتان: السلطة والعميقة مختلفتان من حيث الاضمار، والتقديم والتأخير، أما الاضمار فدال عليه فاعل «سل»، وأما التقديم فدالّ على أهمية المسؤول عنه وهو النبي ﷺ وصحابته. والأمر محمول على معنى جواب مقدّر، إذ كأن الناظم يقدر مخاطبا يجيبه بقوله: (وإن ارتبت في هذا فسل عنهم مصادمهم من الأعداء تتيقن من صحة ما أقول؟).

الصورة الثامنة ـــ فعل أمر + فاعل مضمر في البنية السّطحية + مفعول به «جملة حالية + أداة عطف» معطوف (جملة شرطية)، والجملة الأمرية على ضورة المعطوف عليه.

وراعهـا وهـي في الأعمـال سائمـة   وإن هي استحلت المرعى فلا تسم(240)

خرج الأمر في هذا التركيب عن معناه الأصلي الى معنى والارشاد، لأن الناظم لا يأمر المخاطب على سبيل الاستعلاء والالزام، وإنما يقدّم له خلاصة تجربة عاشها: وأراد من المخاطب أن ينتفع بها:

الواو في: «وإن هي استحلت المرعى...» رابط جمع بين جملتي: الأمر والشرط، وهما جملتان إنشائيتان. والبنيتان: السّطحية والعميقة مختلفتان من حيث الاضمار، والتقديم والتأخير، والحذف. أما الاضمار وفمتمثل في فاعلي: «راع، استحلت تسم»، وأما التقديم والتأخير فمتمثل في: «وةهي في الأعمال سائمة»، دالّ على التأكيد، وإبراز كلمة «الأعمال» المتكونة من وحدتين دلاليتين: «ال»، «أعمال» الوحدة الأولى صرفية دالة على العهد، والثانية دلالية دالّة على المعهود. وقد تكون «ال» عوض المضاف إليه نحو قولهم في أعمالها. وأما الحذف فمتمثل في كلمة «الصالحة»، وهي صفة للأعمال مقدرة في البنية العميقة بـ «الأعمال الصالحة». كما تمثّل الحذف في كلمة «النفس» المقدّرة في: «فلا تسم».

الصورة التاسعة ـــ فعل أمر + فاعل مضمر في البنية السّطحية + مفعول به + أداة عطف + معطوف (مفعول به) + أداة عطف + معطوف (جملة أمر) + أداة عطف + معطوف (جملة شرطية)، والجملة الأمرية على صورة المعطوف عليه.

وخالـف النفس والشيطان وأعصمهـا   وان هما محضاك النصح فـاتهم(240)

الفاعل مضمر في البنية السّطحية في الصيغ الثلاث: (خالف، أعص، أتهم)، والفعل والفاعل محذوفان مقدّران في البنية العميقة بـ (وخالف أنت اشيطان)، والواو في قوله: «وإن هما محضاك...» رابط جمع بين جمل أمرية وشرطية، وهذا من باب عطف الانشاء على الانشاء. والجملة «واصعمها» تكرار ضمنّي (خالف النفس والشيطان) دالّ على التوكيد على عادة العرب في كلامهم. والأمر دالّ على معنى النصح والارشاد.

الصورة العاشرة: فعل + فاعل مضمر في البنية السطحية + مفعول به + جار ومجرور + نعت (جملة ماضوية مؤكدة) + جار ومجرور + أداة عطف + معطوف (جملة أمر). والجملة الأمرية على صورة المعطوف عليه:

واستفرغ الدمع عين قد امتلأت   من المحارم والزم حمية الندم(240)

صيغة استفرغ على زنة استفعل بمعنى أفعل (أي أفرغ الدمع بالبكاء). وقد تكون للطلب (أي أطلب فراغه). وحرف الجر «من» في: «من عين» ابتدائية، و «في»: من المحارم «تبعضيه. وجملة الأمر: «والزم حمية الندم» تعني الزم حماية الندم لك عن المحارم. وقد تكون الزم الندم الحامي لك عن عقاب المحارم.

أما الأمر فدالّ على معنى التحسر والنصح.

الصورة الحادية عشرة: فعل أمر + فاعل مضمر في البنية السّطحية:

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به   وما استقمت فما قولي لك استقم(240)

بنية السطح

فاعل	فعل أمر
؟	استقم

بنية العمق

فاعل	**فعل أمر**
«أنت»	(..)

جملة الأمر استقم «مفعول به للمصدر» وهو جملة محولة عن الفعلية مقدرة في البنية العميقة بـ (فلم أقل أنا لك: استقم). والأمر محمول على معنى الاستفهام الانكاري التعجبي الذي يفيد النفي باعتبار أن الكلام لا ثمرة له ولا فائدة لأنه لا ينفع غالبا إلا إذا استقام الناصع، وهو هنا غير مستقيم.

ثانيا ـــ جملة النداء(*):

النداء طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف النداء. أو هو تنبيه المنادي وحمله على الالتفات. وقد يخرج إلى معان أخرى. كما يؤدي وظيفة نحوية في جملة مركبة كأن يكون مفعولا به. وعناصره في الأصل هي: أداة النداء، والمنادي والمنادى، ومضمون النداء. ورد هذا التركيب النحويّ في البردة ثماني مرات. وضم نمطا واحدا تمثل في **الجملة الندائية المصدرة بالأداة «يا»**.

الصورة الأولى ـــ أداة النداء «يا» + منادى (مخصص بالاضافة) + مضمون النداء (جملة اسمية منسوخة) + ظرف + متضايفان + نعت:

يا أكرم الرسل مالي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم(248)

المنادى مخصص بالاضافة دالّ على التفضيل، وجملة «مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم»، مضمون النداء، وهي جملة خبرية، والتقديم والتأخير في «مالي من ألوذ به...» مقدر في البنية العميقة «ما من ألوذ به لي». و «من» نكرة موصوفة بمعنى «أحد»، وجملة «ألوذ به» نعت لـ (من)، والرابط فيها الهاء في «به». والجار والمجرور «به» متعلق بألوذ، وكلمة «سواك» بدل من النكرة أو صفة ثانية لها. وقد تكون ظرف مكان.

أما النداء ـــ في هذا السياق ـــ فدالّ على معنى الرجا ء والاستعطاف.

(*) أنظر سيبويه، الكتاب، ج2، ص 182 وما بعدها. وابن يعيش، شرح المفصل، ج1، 127، والسيوطي الاتقان، ج، ص 82ـــ83. ومهدي المخزومني، في النحو العربي، ص 301.

الصورة الثانية ـ أداة النداء «يا» + منادى + مضمون النداء + جملة تعليلية:

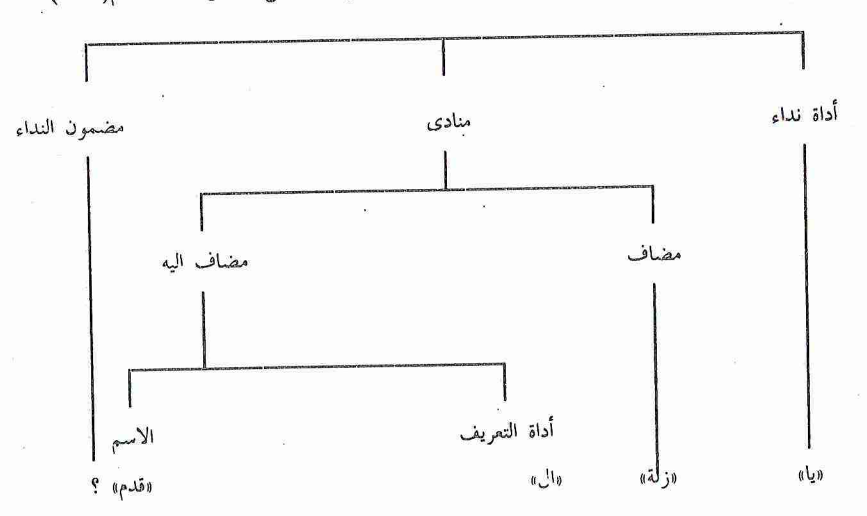
يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت إن الكبائر في الغفران كاللمم(248)

أداة التعليل محذوفة في البنية السّطحية، مقدرة في البنية العميقة بالفاء «فإن الكبائر في الغفران...»، ومضمون النداء جملة نهي مكونة من أداة نهي + فعل مضارع مسبوق بوحدة صرفية[1] (التاء) في «تقنطي» دالّة على المخاطب المؤنث المفرد وهي النفس + جار ومجرور + من زلة «متعلق» بتقنطي + نعت (جملة ما ضوية مثبتة).

أما كلمة «نفس» فقد رويت بالكسر على تقدير مضاف إليه (ياء المتكلم في البنية العميقة «نفسي». ويجوز ضمها على اعتبار المنادى نكرة مقصودة. وأما النداء فدال على معنى التأنيس: لأن الناظم لما خاف على نفسه القنوط من رحمة الله تعالى بسبب الخوف أقبل على النفس يخاطبها بتحقيق رجائه، ويؤنسها بعظم فضل ربه.

الصورة الثالثة ـ أداة النداء «يا» + منادى (مخصص بالاضافة) + مضمون النداء (جملة أمرية محذوفة في البنية السطحية).

إن لم يكن في معادي آخذا بيدي فضلا وإلا فقل: يازلة القدم(248)



بنية العمق

أداة النداء
المنادي
مضمون النداء
مضاف
مضاف اليه
(..) (..) (..) (..)
«تعالي فهذا أوانك»

مضمون النداء جملة أمرية محذوف في بنية السطح، مقدر في النبية العميقة ب «تعالي فهذا أوانك». والجملة الندائية واقعة مفعولاً به (مقول القول) أما النداء فدالّ على تحقق الأمر وتقرره (أي فهلاكي واقع لا محالة).

الصورة الرابعة ـ أداة نداء «يا» + منادى (مخصص بالاضافة) + مضمون النداء (محذوف في البنية السطحية) + أداة عطف + معطوف (جملة دعائية) + أداة عطف + معطوف (جملة دعائية) + أداة عطف + معطوف (جملة دعائية).

يا رب واجعل رجائي غير منعكس لديك واجعل حسابي غير منخرم
والطف بعبدك في الدارين إن له صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم
وائذن لسحب صلاة منك دائمة على النبي بمنهل ومنسجم(248)

المضاف إليه «ياء المتكلم» في كلمة «رب» محذوف في بنية السطحية للتخفيف. ومضمون النداء محذوف كذلك في البنية نفسها، مقدر في البنية العميقة بـ «ارحمني أو حقق ظني وما شبهما» وهو جملة دعائية معطوف عليها «واجعل رجائي غير منعكس...».

أما العطف ـــ في هذا التركيب ـــ فدالّ على المبالغة في الطلب والرجاء. وأما النداء فدال على معنى الدعاء، لأن الناظم يسأل الله الرحمة والعفو.

الصورة الخامسة ـــ أداة نداء «ياء» منادى (مخصص بالاضافة) + جار ومجرور + نعت + مضمون النداء + جار ومجرور × 2 + جملة شرطية:

يا لائمي في الهوى العذري معذرة   مني إليك ولو أنصفت لم تلم(239)

الجار والمجرور: «في الهوى» متعلق بلائمي، و «مني، إليك» متعلقان بمعذرة، وهي إن قُرئت بالنصب فهي مفعول به، وإن قُرئت بالرفع فهي مبتدأ، وخبره «مني إليك» أو هي خبر مبتدؤه محذوف في البنية السّطحية، مقدر في النبية العميقة (هذه معذرة). غير أننا نرجح النصب، لأنه أليق بالمقام.

أما النداء فقد خرج الى معنى التوبيخ.

الصورة السادسة ـــ أداة نداء «ياء» + منادى (مخصص بالاضافة) + جار ومجرور + متضايقان + نعت (جملة مضارعية منفية) + جار ومجرور + أداة عطف + معطوف + مضمون النداء (محذوف في البنية السّطحية:

فيا خسارة نفس في تجارتها   لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم(247)

الجملة «لم تشتر الدين بالدنيا» صفة لنفس. والجار والمجرور «في تجارتها + بالدنيا «متعلقان (بخسارة وتشتري). والجملة «لم تسم» معطوفة على جملة «لم تشتر الدين بالدنيا».

ومضمون النداء جملة أمرية محذوفة في البنية السّطحية، مقدّرة في البنية العميقة بـ (احضري هذا أوانك وما أشبهها). ولما ورد مضمون النداء أمرا يطلب من المأمور الحضور عدّ كناية عن استعظام خسارة النفس والتعجب منها.

أما النداء فدالّ على شدّة التحسر والندامة. وقد يكون للتعجب، فيقدر في البنية العميقة بـ (ما أحسر نفسا في تجارتها؟!).

الصورة السابعة ـــ أداة نداء «يا» + منادى (مخصص بالاضافة) + حال + أداة عطف + معطوف + متضايفان + نعت + أداة عطف + معطوف (جملة موصولية) + نعت + جار ومجرور + أداة عطف + معطوف (جملة موصولية) + نعت + جار ومجرور + مضمون النداء:

يا خير من يمم العافون ساحته   سعيا وفوق متون الأينق الرسم
ومن هو الآية الكبرى لمعتبر   ومن هو النعمة العظمى لمغتنم
سريت من حرم ليلا إلى حرم   كما سرى البدر في داج من الظلم(245)

تميّز هذا التركيب بما يلي:

1 ـــ أداة النداء «يا» دالّة على أهمية ما سيذكر.

2 ـــ كلمة «سعيا» مصدر بمعنى ساعين، اختارها الناظم دون الثانية لابراز سرعة السعي إلى الرسول ﷺ.

3 ـــ كلمة «فوق ظرف مكان ضمن معنى (على). وقد يكون متعلقا بحال محذوف، مقدر في البنية العميقة بـ «وركبانا فوق متون الأينق».

4 ـــ الجملتان: «من هو الآية الكبرى»، ومن هو النعمة العظمى» موصوليتان، الأولى معطوفة «من» في «ياخير من يمم العافون ساحته». وقد تكون معطوفة على المنادي، والتقدير في البنية العميقة «ويا من هو الآية....» والثانية معطوفة على «من هو الآية الكبرى».

5 ـــ الجار والمجرور «من حرم + إلى حرم» متعلق بسريت. و «في داج» متعلق بسري. و «من الظلم» نعت لداج.

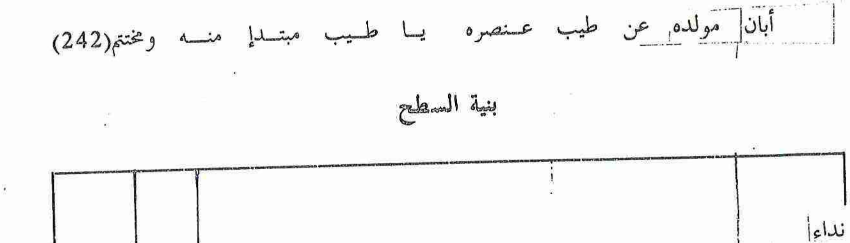
6 ـــ جملة: «سريت من حرم ليلا إلى حرم كم سرى البدر في داج من الظلم» مضمون النداء، وهي جملة خبرية.

7 ـــ الجملة «كما سرى البدر في داج من الظلم «مفعول مطلق، مقدرة في بنية العميقة بـ «مثل سير البدر في داج من الظلم»، وهي دالة على التشبيه.

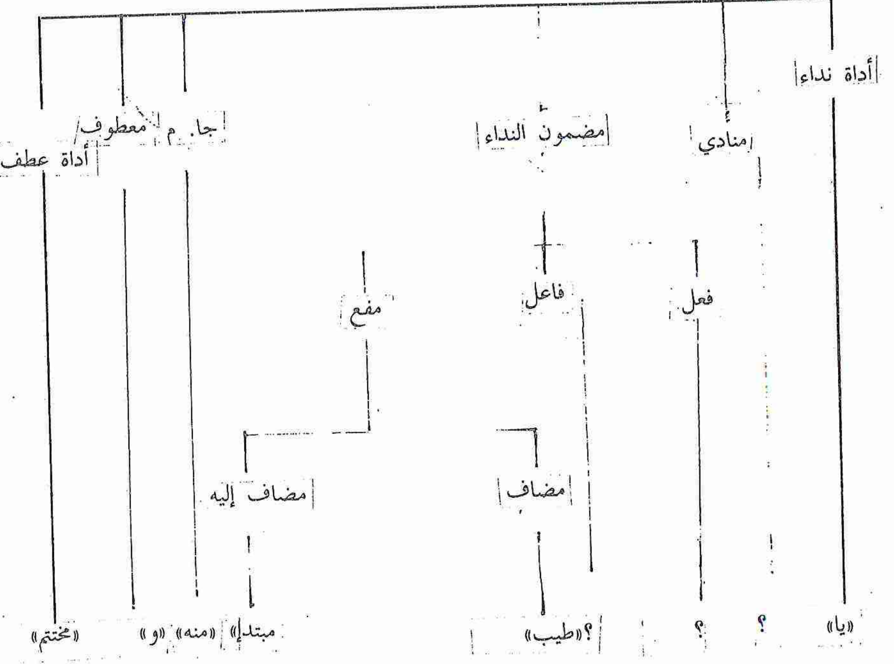
8 ــ استعمال «ليلا» مع سرى للتوكيد، والتنوين فيه للتقليل، لأن الناظم أراد في ليلة واحدة.

9 ــ أما بنظرة شاملة للنص فتبيّن أن الناظم كان عليه بمقتضى ما سبق أن يعبر بضمير الغائب. لكنه التفت الى الخطاب فحوّل كلامه من أسلوب إخباريّ بسيط الى أسلوب إنشائي دالّ على معنى الاستغاثة والتعظيم.

الصورة الثامنة ــ أداة النداء «يا» + منادى (محذوف في البنية السّطحية) + مضمون النداء (جملة أمر محذوفة في البنية السّطحية) + مفعول به + متضايفان + جار ومجرور + أداة عطف + معطوف:



بنية السطح



بنية العمق

أداة نداء — منادى — مضمون النداء — جا. م — أداة عطف — معطوف — فعل — فاعل — مفع — مضاف — مضاف اليه — (..) «عقلاء» «أنظر» «وا» (..) (..) (..) (..) (..)

المنادى محذوف في البنية السّطحية، مقدر في النبية العميقة بـ «عقلاء»، ومضمون النداء محذوف أيضا في البنية السّطحية، مقدر في البنية العميقة بـ «انظروا» والجار والمجرور «منه» للبيان، لأن الهاء عائدة في البنية العميقة على النبي ﷺ. أما النداء فدالّ على معنى التعجب، لأن العرب إذا استعظمت شيئا نادته على سبيل التعجيب.

ثالثا ــ الجملة الاستفهامية(*):

الاستفهام في اللغة طلب الفهم، ويتعلق إما بالمسند، وإما بالاسناد. وسواء تعلق بهذا أم بذاك، فإنه دائما يكون باحدى أدوات الاستفهام وهي: الهمزة، وأم، وهل، وأي، وكم، وكيف، وأين، ومتى، وأيّان. هذه الأدوات ــ فيما يرى النحاة ــ منها ما هو مختص بطلب التصديق، ومنها ما هو لطلب التصور والتصديق كالهمزة، وسائر الأدوات للتصور دون التصديق.

(*) انظر سيبويه، الكتاب، ج1، ص 98ــ101، ج 8، ص 115. والجرجاني، دلائل الاعجاز ص 87. والسكاكي، مفتاح العلوم، ص 148 وما بعدها، والسيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج 2، ص 79 وما بعدها.

أما دلالة الجملة الاستفهامية فتابعة للسياق، وأما عناصرها فهي: المستفهم، والمسفتهم، وأداة الاستفهام، والمستفهم عنه.

وردت الجملة الاستفهامية في ثمانية مواضع، وتوزّعت حسب الأنماط التالية:

النمط الأول ــ جملة استفهامية مصدرة بالهمزة.

الصورة الأولى ــ أداة استفهام «أ» + جملة مضارعية + مفعول به (جملة اسمية) + جملة موصولية + متضايفان + جار ومجرور + أداة عطف + معطوف.

أيحسب الصب أن الحب منكـــــــم   ما بين منسجم منه ومضطرم؟(238)

المفعول به «أن الحب منكم» جملة سدّت مسد المفعولين باعتبار الفعل «يحسب» متعديا الى مفعولين. والموصوف محذوف في: «منسجم» و «مضطرم» وكلاهما صفة لدمع وقلب. والتقدير في البنية العميقة «دمع منسجم منه»، و «قلب مضطرم» فالحذف وإقامة الصفة مقام الموصوف إذن تهويل لوقع المعنى على القاريء، وتهويل صورته الحاضرة الغائبة. وصلة الموصول «ما» محذوفة في البنية السّطحية، مقدّرة في البنية العميقة بـ «الحب الذي هو بين دمع منسجم وقلب مضطرم».

أما بنظرة شاملة للنص فنتبين أن الناظم كان عليه بمقتضى ما سبق أن يعبر بتاء الخطاب، لكنه التفت الى الغيبة، ونزل الاستفهام منزلة الانكار، فاكتسب البيت بذلك طابع الحكمة الخالدة المؤثرة.

الصورة الثانية ــ أداة استفهام «أ» + جار ومجرور + (متضايفان) × 2 + جملة فعلية + نعت (جملة فعلية) + (أداة عطف + معطوف (جملة فعلية) × 2 =

أمــن تذكــر جيران بــذي سلـــم   مزجت دمعا جرى من مقلة بــدم

أم هبّت الريح من تلقــاء كاظمــة   وأومض البرق في الظلماء من إضم(238)

نلاحظ في هذا التركيب:

1 ــ طول الجملة الاستفهامية.

2 ــ اختلاف عناصر البنيتين: السّطحية والعميقة من حيث الترتيب كالتقديم والتأخير، ومن حيث الاضمار والاظهار.

3 ــ كثرة العناصر المجرورة.

4 ــ كثرة الأفعال.

5 ــ «من» في قوله: «أمن تذكر» للتعليل، وهي متعلقة بمزجت، وقد قدمها الناظم للتنبيه على أن الشك ليس في المزج الذي هو ثابت مشاهد، بل في سببه.

6 ــ المتضايفان في قوله: «تذكر جيران» من باب إضافة المصدر الى مفعوله بعد حذف الفاعل، لأن البنية العميقة مقدرة بـ (تذكرك جيرانا). وقد حذف الناظم الفاعل وأقام المفعول به مقامه.

7 ــ الباء في قوله : «بذي» بمعنى (في).

8 ــ إفراد كلمة «مقلة» عادة من عادات العرب، لأنهم قد يطلقونها ونظائرها مفردة، ويريدون بها المثنى. ومثل هذا كثير في اللغة العربية.

9 ــ «من» في قوله: «جرى من مقلة» ابتدائية، وهي متعلقة بالفعل «جرى».

10 ــ الباء في قوله: «بدم» بمعنى المصاحبة أو التعدية، فهي للمصاحبة بالنظر الى «جرى»، وللتعدية بالنظر الى «مزجت». فالباء إذن يتنازعها الفعلان: «مزجت، وجرى».

11 ــ التنوين في «جيران، دمعا، مقلة، دم «دالّ على النوعيّة، وهي هنا للتعظيم.

12 ــ الرابط «أم» متصل، يطلب به وبالهمزة التعيين.

13 ـــ نسج كلام الناظم «أم هبّت الرّيح» و «أومض البرق» على غير المألوف، لأن أم تفيد المعادلة. ومن شروطها أن تقع «بين مفردين وبين جملتين، والجملتان تكونان اسميتين أو فعليتين، ولا يجوز أن يعادل بين اسمية وفعلية إلا أن تكون الاسمية بمعنى الفعلية أو الفعلية بمعنى الأسمية»[1] «والشاعر لم يعادل بين الجملتين، ذلك أنه ذكر الأسمية ثم أتى بالفعلية في موضعين: «هبّت الريح» و «أومض البرق». وهذا الاستعمال غير مستساغ، لأنه عدول عن القاعدة. بيد أن الناظم بهذا الخرق قد قوى عملية التأثير والايحاء من خلال التقابل بين عناصر الجملة، لأن التذكر كظاهرة معنوية يقابله هبوب الرياح، وإيماض البرق، وهما ظاهرتان محسوستان. والثبوت في الأسماء تقابله الحركة في الأفعال، وهي أليق بالمقام لما يتميز به كل من الريح والبرق من حركة. فلو عادل الناظم بين الأسماء لضاعت هذه الحلاوة والطلاوة التي يحس السامع بقوة سحرها مع الأفعال دون الأسماء.

14 ـــ الأعلام: («بذي سلم»، «كاظمة»، «إضم») أعطت الخطاب شحنة إخبارية متميزة، لأنها تحمل دلالات مركزية، ودلالات هامشية[2]. أما المركزية فمتمثلة في القدر المشترك بين أفراد المجتمع، من ذلك أن «ذي سلم». موضع بين مكة والمدينة[3]، وكاظمة بقرب المدينة المنورة[4]، و «إضم» واد بقرب المدينة المشرفة[5]. وأما الهامشية فمتمثلة فيما تحمله هذه الكلمات من ظلال معنوية خاصة بتجارب الشاعر. فهي مصدر الهامه، ومخزن عطائه وقد صدق من قال: إننا نحمل وطننا اللغوي والشعري أطفالا في أعقاب أحذيتنا[6].

(1) أنظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن ج 4، ص 185.
(2) أنظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 106 وما بعدها، و «مونان» مفاتيخ الألسنية، ترجمة الطيب البكوش، ص 139 وما بعدها.
(3) أنظر ياقوت بن عبدالله الحمويز معجم البلدان، ج4 ص، 240.
(4) المصدر نفسه، ج 4 ، ص 431.
(5) أنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 244ـــ215.
(6) مونان، مفاتيح الألسنية، ترجمة الطيب البكوس، ص 141.

15 ـــ خروج الاستفهام الى معنى الحيرة قوى الشحنة الاخبارية، وميز الجملة بخصائص أسلوبية، لم يقف الناظم عند حدودها، بل تجاوزها الى أعماق الدّلالة، حيث كسّر قانون التواصل بعدوله عن مخاطبة ما يجب أن يخاطب الى مخاطبة نفسه التي جرد منها شخصا مزج دمعه الجاري، واستفهم عن سببه، أهو من تذكر الجيران المقيمين بذي سلم أم من هبوب الريح من جهة كاظمة وإيماض البرق في الظلماء من إضم؟

النمط الثاني جملة اسمية مصدرة بكيف:

من هذا النمط ثلاثة أمثلة:

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته قوم نيام تسلّو عنه بالحلم(241)
فكيف تنكر حبا بعدما شهدت به عليك عدول الدمع والسقم(239)
وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم(240)

يمكن إيجاز نظام الجملة الاستفهامية في هذه الأمثلة كما يلي:

ـــ أداة الاستفهام «كيف» + جملة مضارعية + جار ومجرور + متضاريفان + نعت + نعت (جملة مضارعية).

ـــ أداة الاستفهام «كيف» + جملة مضارعية + مضاف + + مضاف إليه (جملة موصولية أو مصدرية) + أداة عطف + معطوف.

ـــ أداة عطف الواو + أداة الاستفهام «كيف» + جملة مضارعية + مضاف + مضاف إليه (جملة موصولية، صلتها جملة شرطية).

المسفتهم عنه في هذه التراكيب: إنكار الحب، وإدراك حقيقة الرسول ﷺ، ودعوة الحاجة الى الدنيا. وقد ارتبطت هذه المعاني بأفعال مكونة من وحدات صرفية مفيدة[1]. يمكن أن تتمفصل[2] كالآتي:

(1) أنظر: DUbois et autres dictionnaire de linguistique morpheme et Vendeyes, le langage, p. 949.
(2) أنظر فكرة: martimet, elements la Double articulation dulangage de linguistique génerlale.

— تنكر ________ ت /نكر
— يدرك ________ ي /درك
— تدعو ________ ت /دعا

الوحدات الصرفية مختلفة الدّلالة، إذ في الفعل الأوّل دالّة على المفرد المخاطب، وفي الثاني دالة على المفرد الغائب، وفي الأخير دالة على المؤنث الغائب.

أما التركيب الاستفهاميّ في البيت الأوّل فمرتبط بمعنى الانكار الدال على الاستبعاد والنفي، اذ كأن الناظم قال: «لا يدرك في الدنيا...» والجملة في بنية السّطح مضارعية مثبتة، وهي في بنية العمق مضارعية منفية. وأما في البيت الثاني فدالّ على التعجب. وأما في البيت الأخير فمرتبط بمعنى الانكار الدال على النفي، فكأن الشاعر قال: «لا تدعو الى الدنيا....». والجملة في بنية السّطح مضارعية مثبتة، وهي في بنية العمق مضارعية منفية.

النمط الثالث ـــ جملة استفهامية مصدرة بما:

ونظامها: أداة استفهام «ما» + جملة اسمية + جملة شرطية + أداة عطف + معطوف (جملة استفهامية تحوي جملة شرطية):

فما لعنيك إن قلت اكففا همتا   وما لقلبك إن قلت استفق يهم(238)

اختلاف البنيتين: السّطحية والعميقة من حيث الاضمار والحذف. فالاضمار متمثل في كلمة (قلب) المقدّرة في الفعلي: «استفق، ويهم»، والحذف متمثل في التمييز في كلمة «همتا»، لأن الكلام (همتا دمعا). والتمييز محوّل عن الفاعل والتقدير في البنية العميقة (همى دمعهما) فالناظم حوّل الاسناد عن الدمع في البنية السّطحية إليهما على سبيل المجاز العقلي، لأن العين لا تسيل، إنما يسيل ماؤها. كما حذفت اللفظتان: «لهما، وله» في: «فما لعنيك إن قلت»، و «ما لقلبك إن قلت»، أما الفاء في قوله: «فما لعنيك...» ففصيحة.

الجملة «وما لقلبك إن قلت استفق يهم «معطوفة» فما لعنيك إن قلت اكففا همتا»، وهذا من باب عطف الانشاء على الانشاء. والجملتان: «اكففا، واستفق» مفعولان (مقول القول).

فك الادغام في «اكففا» مخالف لقواعد العربية، لأنه غير جائز. غير أن الناظم اضطر الى ذلك اضطرارا(1).

أما الاستفهام في هذا البيت فدال على الانكار. وقصد به اضطرار المخاطب الى الاعتراف.

النمط الرابع ـــ جملة استفهامية مصدرة بمن:

ونظامها: أداة استفهام «من» + جملة اسمية + جار ومجرور + متضايفان × 2 + مفعول مطلق (جملة مصدرة بحرف الجر):

من لي برد جماح من غوايتها   كما يرد جماح الخيل باللجم(239)

الجملة «كما يرد جماح الخيل باللجم» مفعول مطلق دال على التشبيه والتوكيد، لأن الكلام مقدر في البنية العميقة بـ (ردا مثل ردّ جماح الخيل باللجم في القوة والعنف). والجار والمجرور «من غوايتها» متعلق بمحذوف صفة للجماح، لم تظهر ي البنية السّطحية، وهي في البنية العميقة (جماح ناشيء من غوايتها).

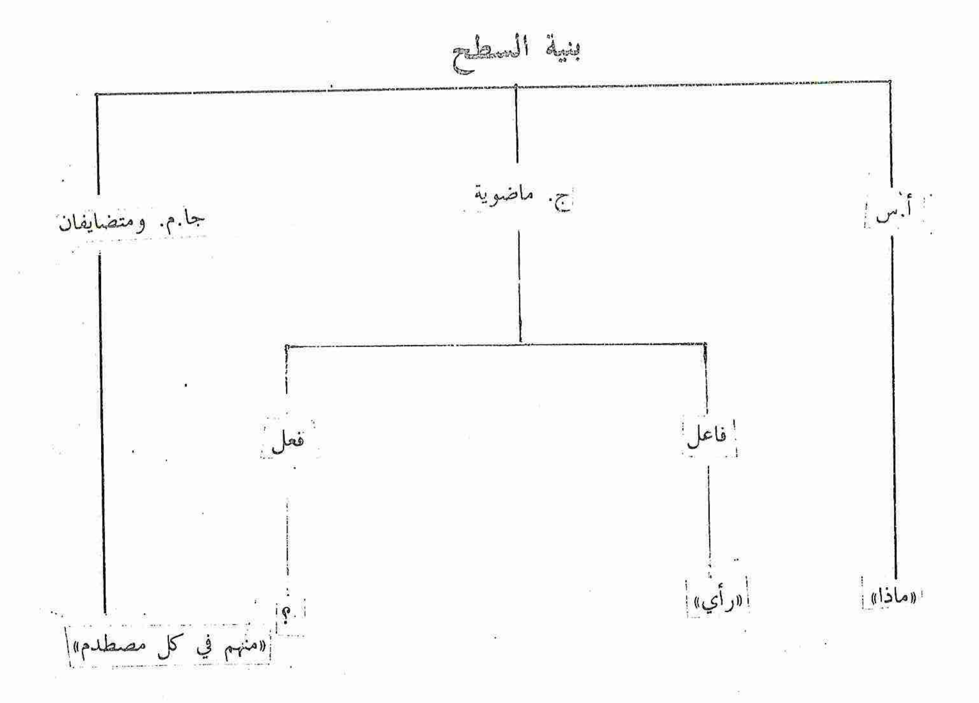
أما التركيب الاستفهامي فدال على التمني والاستعطاف والاستغاثة، ويمكن أن يكون دالا على الانكار، لأن الناظم لما تبيّن أن النفس لم تتعظ بواعظ الشيب استفهم على سبيل التمني والاستعطاف والاستغفاثة عمن يتكفل له برد جماحها بالمواعظ السّنية والأحكام الربّانية.

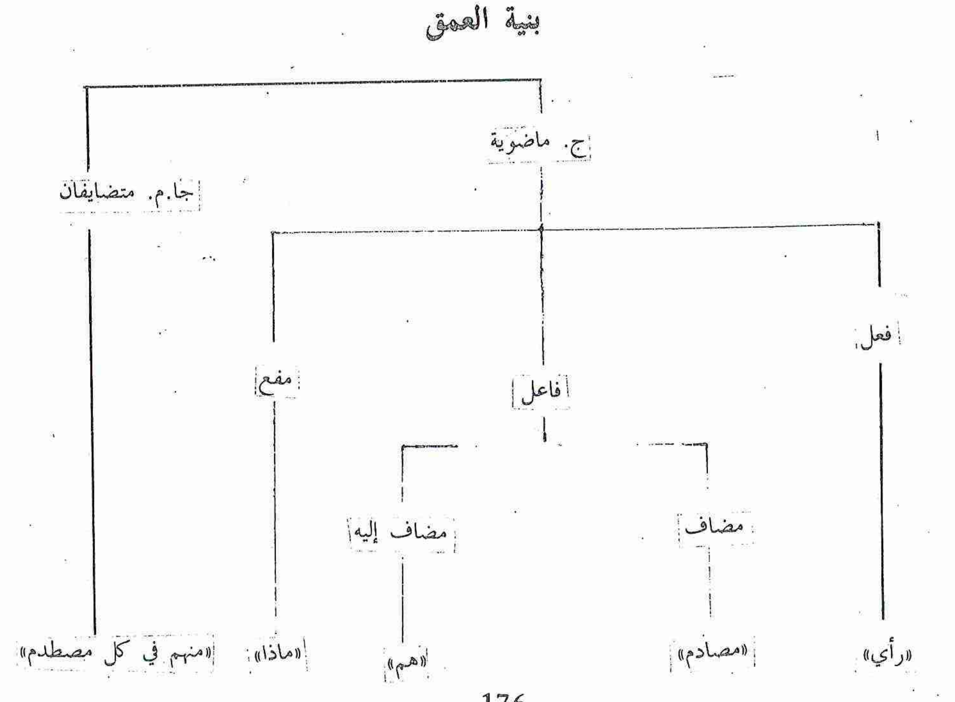
النمط الخامس ـــ جملة استفهامية مصدرة بماذا:

ونظامها: أداة استفهام «ماذا» + جملة ماضوية + جار ومجرور × 2 + متضايفان:

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم   ماذا رأى منهم في كل مصطدم(246)

(1) أنظر عبد الله محمد بن جعفر القيرواني، ما يجوز للشاعر في الضرورة، ص 92 و 132 و 133.





في تحديد وظيفة «ماذا» هناك من اعتبرها بتمامها اسم استفهام وهو الرأي الذي نرجحه، وعليه نعتبرها مفعولا به في البنية العميقة. وهناك من عد «ما» اسم استفهام مبتدأ، وخبره «ماذا» وهو اسم موصول ورأى صلته.

والجار والمجرور «منهم وفي كل مصطدم» متعلقان برأي. وإضمار الفاعل في البنية السّطحية وظهوره في البنية العميقة بصيغة (مفاعل) دلّ على معنى المشاركة وقوى دلالة الأمر(1) في إزالة الشك في قوة الرسول ﷺ وصحابته.

رابعا ـ جملة النهي(*):

وقد ورد هذا التركيب في خمسة مواضع كونت نمطا واحدا تمثل في **جملة النهي المصدرة بلا**. ومن صوره.

الصورة الأولى ـ أداة نهي «لا» + فعل مضارع + فاعل مضمر في البنية السّطحية:

وراعها وهي في الأعمال سائمة وإن هي استحلت المرعى فلا تسم(240)

جملة النهي«فلا تسم» عبارة الجواب، وهي مصحوبة بإيجاز الحذف، لأن الناظم حذف المفعول به المقدر في البنية العميقة بـ (فلا تسم أنت النفس). والداعي الى الحذف قد يكون التوكيد والتعميم، وقد يكون ضيق المقام، وضرورتي: الوزن والقافية . أما اقتران الجملة بالفاء، فلأنها طلبية وأما النهي فدال على معنى الارشاد.

الصورة الثانية ـ أداة نهي «لا» + فعل مضارع + فاعل مضمر في البنية السّطحية + جار ومجرور + مفعول به + متضايفان + جملة تعليلية:

---

(1) انظر جملة الأمر، ص 167.
(*) أنظر السكاكي، مفتاح العلوم، ص 152ـ253. والسيوطي، الاتقان، ص 92. وريمون طحان، الألسنية العربية، ج2، ص 88.

«فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها   إن الطعام يقوي شهوة الفهم»(239)

البنيتان: السّطحية والعميقة مختلفتان من حيث الاضمار والتقديم والتأخير والحذف. أما تقديم الجار والمجرور في «فلا ترم المعاصي كسر شهوتها» فالأرجح أنه للتنبيه والتوكيد، لأن الناظم بني هذا البيت على تصور شخص قال له: لا حاجة الى رد النفس، لأنك إن إعطيتها ما تتمناه من المعاصى أنكسرت شهوتها فردّ عليه بقوله: «فلا ترم بالمعاصي...». وأما الحذف فمتمثل في أداة التعليل (لأن أو الفاء) الداخلين على الجملة التعليلية، وكلاهما صالح للتعليل.

أما النهي فدالّ على معنى النصح والارشاد. والنصيحة فيه مشحونة بقوة دلالتها وطابعها الحكمي.

الصورة الثالثة ــ أداة نهي «لا» + فعل مضارع + فاعل مضمر في البنية السّطحية + مفعول به + جار ومجرور + متضايفان + جملة تعليلية:

«لا تنكر الوحي من رأياه إن لـه   قلبا إذا نامت العينان لم ينم»(243)

النهي ــ هنا وارد على حقيقته، وهو الكفّ عن إنكار الوحي من رؤيا الرسول ﷺ أما قوله: «من رؤياه»، فإن قصد بمن الابتداء فسر كلام الناظم بـ (لا تنكر الوحي حال كونه مبتدأ من رؤياه في النوم)، وإن أعتبرت «من» ظرفية فالتقدير (لا تنكر الوحي في رؤياه، وأما التنوين في «قلبا» فالتعظيم، لأن قلب النبي ﷺ متصف باليقظة الدائمة. وأما الصيغة «لا تنكر» فهي من إطلاق الخاص على العام (أي لا تنكروا).

الصورة الرابعة ــ أداة نهي «لا» + فعل مضارع مضمر في البنية السّطحية + جار ومجرور + مفعول به + أداة عطف + معطوف + جملة تعليلية + أداة عطف + معطوف:

«ولا تطع منهما خصما ولا حكما   فأنت تعرف كيد الخصم والحكم»(240)

البنيتان: السّطحية والعميقة مختلفان من حيث الاضمار والتقديم والتأخير والحذف. فتقديم الجار والمجرور «منهما» في «ولا تطع منهما خصما» للتوكيد.

وأما الحذف في: «ولا حكما» فهو من عادة العرب في كلامها. والنهي مؤكد بالتعليل، ودال على النصح والارشاد.

الصورة الخامسة ــ أداة نهي «لا» + فعل مضارع مقترن بنون التوكيد الخفيفة + فاعل مضمر في البنية السّطحية + جار ومجرور (متعلق بتعجبن) + نعت (جملة فعلية) + حال (جملة فعلية) + مفعول لأجله أو حال + جملة حالية + نعت:

«لا تعجبن لحسود راح ينكرهـا   تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم»(245)

الجملتان: «ينكرها تجاهلا «و» وهو عين الحاذق الفهم «حالان، وصاحب الحال فاعلا (راح[1]، وينكر) المضمران. والجملة» راح ينكرها تجاهلا) نعت لحسود، وهي جملة مركّبة. وسنتحدث عن هذه الجمل في أماكنها.
أما النهي ــ في هذا التركيب ــ فدال على النصح والارشاد.

خامسا ــ الجملة الدعائية(*):

الدعاء هو الطلب على سبيل الاستغاثة، والعون، والتضرع، والعفو، والرحمة، وما أشبه ذلك، ويكون لمن فوق الداعي والطالب مرتبة.

والجملة الدعائية قد تؤدي وظيفة نحوية في جملة مركبة كأن تكون مضمون نداء في جملة ندائية.

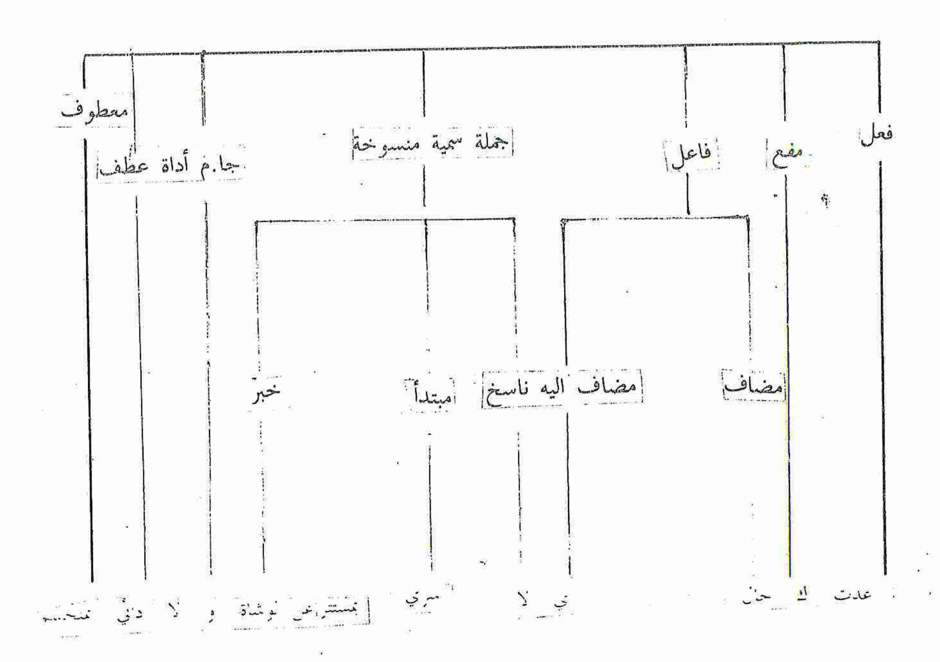
تمثل هذا النوع في نمطين:

النمط الأول ــ فعل دعاء + مفعول به + فاعل + جملة اسمية منسوخة + جار ومجرور + أداة عطف + معطوف (جملة اسمية منسوخة).

«عدتك حالي لاسري بمستتر   عن الوشاة ولا دائي بمنحسم»(239)

---

(1) نعتبر راح بمعنى ذهب، وليس بمعنى صار.
(*) أنظر ابن فارس، الصاحبي، ص 187.



الجملة «لا دائي بمنحسم» معطوفة على» لا سرّى بمستتر عن الوشاة»، وهي جملة مستأنفة استئنافا بيانيا، اذ كأن الناظم قدّر لائما بـ (وما حالك التي استعظمتها؟) فأجابه (والسر لا يكتمه الشخص عن غيره). والجار والمجرور «عن الوشاة» متعلق «بمستتر»، والتقديم والتأخير في عدتك حالي» من باب الحذف والايصال، لأن الكلام مقدّر في البنية العميقة بـ (عدت إليك)، فحذف (إلى) ووصل الفعل بالكاف حتى صار الكلام «عدتك حالي».

والجملة الدعائية مشحونة بمعنى الاستعطاف، لأن الناظم لمّا أبدى المعذرة للائمة في الهوى العذري ـــ في البيت السابق ـــ لم يرجع عن اللوم، بل استعطفه بالدعاء قائلا: (عدتك حالي أي جاوزتك حالي. وقد تكون الجملة هذه استفهامية والهمزة مقدرة. كما يمكن أن تكون إخبارية. بيد أننا نرجح الدعائية للأسباب المذكورة.

النمط الثاني ـــ فعل الدعاء + فاعل مضمر في البنية السّطحية + جار ومجرور + متضايفان + جار ومجرور + جملة تعليلية تحوي جملة شرطية+ أداة عطف + معطوف (جملة دعائية مكونة من فعل الدعاء+ فاعل مضمر في البنية السّطحية + جار ومجرور + متضايفان + جار ومجرور + نعت + جار ومجرور ×2 + أداة عطف + معطوف):

«والطف بعبدك في الدارين إن لـه صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم
«وائذن لسحب صلاة منك دائمة على النبي بمنهل ومنسجم»(243)

الجملة «والطف بعبدك في الدارين... «معطوفة على» واجعل رجائي غير منعكس لديك...» في البيت السابق، والجملة «وائذن لسحب صلاة...» معطوفة على «وألطف بعبدك في الدارين...»، والجملة «إن له صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم» علة لـ (والطف بعبدك في الدارين).

وشبه الجمل « بعبدك + في الدارين «متعلقان (بالطف). و السحب «لسحب» على النبي «متعلقان (بائذن وبدائمة). أما «منك» فصفة للصلاة، وأما «بمنهل» فصفة لموصوف مقدر في البنية العميقة بـ (بمطر منهل).

والاضافة في «سحب صلاة» من إضافة المشبه به الى المشبه أي كأن الناظم قال: للصلاة الشبيهة بالسحب، والجامع مع أن كلا رحمة.

وكلمة «عبدك» تعبير مناسب لمقام الدعاء. وكلمة «دائمة» إن قرئت بالكسر فهي نعت للصلاة أو السحب، وإن قرئت بالنصب فهي حال من الصلاة. وحرفا اللام والباء في «سحب ومنهل» للتعدية.

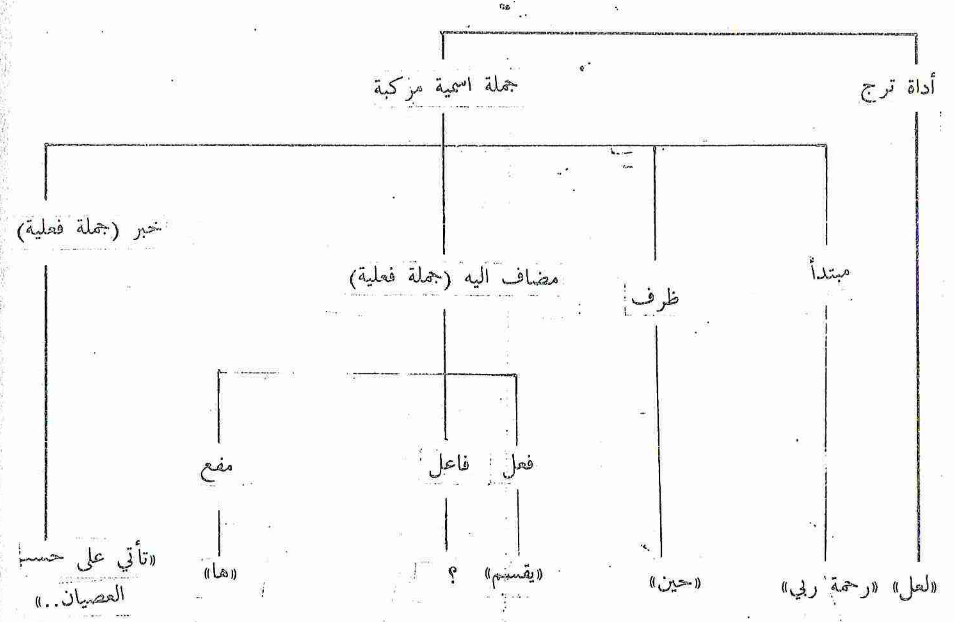
سادسا ـــ جملة الترجي(*):

لم نعثر في البردة إلا على نمط واحد. نظامه كالآتي: أداة ترج + جملة اسمية (مبتدأ + متضايفان + ظرف + مضاف إليه (جملة مضارعية) + خبر

(*) انظر ابن فارس، الصاحبي، ص 170. والسيوطي، الاتقان، ج 2، ص 82.

(جملة فعلية مكونة من فعل مضارع + فاعل مضمر في البنية السّطحية + جار ومجرور + متضايفان + جار ومجرور.

«لعل رحمة ربّي حين يقسمها تأتي على حسب العصيان في القسم»(248)



الجملة «يقسمها» مضاف اليه. والجملة «تأتي على حسب العصيان...» خبر. والمجرورات: «على حسب، وفي القسم» وفي «القسم» متعلقة (بتأتي وبحسب). والمضاف والمضاف إليه «حين يقسمها» متقدم في البنية السّطحية على الخبر، والتقدير في البنية العميقة: (لعل رحمة ربي تأتي على حسب العصيان في القسم حين يقسمها). والناظم في هذا التركيب يرجو أن تكون رحمة الله آتية في القسم حين يقسمها بين العصاة على قدر عصيانهم. وبناء عليه فنسبة لعلّ في هذا المثل نسبة شك وظن لانسبة يقين، إذ استعملها مخلوق قد يتحقق رجاؤه، وقد لا يتحقق(1).

(1) انظر الزركشي، البرهان، ج 4، ص 159.

خصائص الجملة الطلبية.

أسفر الوصف عمّا يلي:

أولا ــ جملة الأمر:

1 ــ التنويع في الصيغ: افعل، وفاعل، وافتعل، واستفعل قد أفضى الى تنوع في الدّلالة والأغراض، وبه عقد النّاظم حوارا حقيقته تشريك المتقبل في الرسالة.

2 ــ الجملة الأمرية جمعت بين الطول والقصر والاعتدال. ففي الطول كان الناظم ناصحا مرشدا، وفي الاعتدال كان مادحا ذاكرا صفات الرسول ﷺ وفي القصر كان داعيا للاعتبار.

3 ــ ومن مميزات الأمر ــ في البردة ــ قلة أثر التثنية، ذلك أن الناظم لم يستخدمها إلا في موضع واحد حينما كان فعل الأمر معطوفا على سياق ذكر فيه النفس يخفف من وطأة القدم، ويضفي على النص طابعا الحداثة.

4 ــ السمة الغالبة على معاني الأمر في البردة النصح والارشاد. وهذا طبيعي، لأن الموضوع مدح الرسول ﷺ، وغاية الناظم إيصال الرسالة للمتقبل. فوجد في حقل تجاربه الواسعة طريقا للنصح والارشاد، ومن هذا المنطلق يغدو تنبيه الغافلين أمرا واجبا. والأمر عند الشاعر لا يتوقف عند هذا الغرض، بل يتعداه الى تفجير دلالات بلاغية منها:

أ ــ النصح والارشاد.
ب ــ الالتماس.
ج ــ الانكار.
د ــ التحسر والنصح.
هـ ــ الاعتبار.

5 ــ السمة المميزة لجملة الأمر ــ في البردة ــ هي أن يرد المسند إليه الأمر غير معين، ويكون غالبا في الصدارة. وهذا الأسلوب يدفع الى الاعتقاد

بأن المأمور في تلك الحالة هو في الغالب الشاعر نفسه، فيكون رد فعله متمثلا فيما يلي الأمر فيصطبغ عنده بمعنى الحاضر. أو بمعنى الانسان — في مفهومه العام — الذي يراد منه الامتثال للطلب والالتزام بموقف الناظم، ولا ينتظر منه ردّ فعل سواء الأقتداء بدعوته.

ثانيا — جملة النداء:

تميزت الجملة الندائية بما يلي:

1 — السمة الغالبة على الجملة الندائية الطول، وربما كان هذا منسجما مع طبيعة المنادى والموضوع، لأن الله تعالى، والرسول ﷺ والنفس واللائم محاور أساسيّة للنداء.

2 — يميل الناظم في البردة الى تفضيل أداء «يا» التي شكّلت نموذجا أسلوبيا[1]، فوردت مع جميع الصور الندائية، وبها نادى القريب. وهذا يفسر بأن الذي ينادى عالي المرتبة عظيم الشأن، ولنا في نداء الله والرسول ﷺ دليل قاطع. فالعدول إذن بأداة النداء «يا» من مناداة البعيد الى مناداة القريب مبالغة في المدح والتعظيم، وزيادة في إظهار عاطفة جامحة.

3 — خروج النداء عن معناه الأصلي الى معاني:

أ — التعجب.
ب — تحقق الأمر وتقرره.
ج — الاستغاثة.
هـ — التحسر والندامة.
و — الاستعطاف.
ز — الدعاء.
ح — التأنيس.
ط — التوبيخ.

(1) أنظر فكرة النماذج الأسلوبية، د. عبد السلام المسدي، النقد والحداثة ص 61 وما بعدها، و pierre guiraud, la stylistique, p. 111

فأسلوب النداء بهذه الصورة يبرز أزمة الناظم ويساهم في بناء البردة مبنى ومعنى، إنه منشط وواصل يخفف من وطأة الطول وفي الوقت نفسه يساهم فيه. وبناء على هذا فإن التحوّل من الخبر إلى الانشاء هو في عمومه تحوّل من التعطل إلى النشاط، وهو في مستوى العاطفة تحول من الهدوء الى التأجج.

ثالثا — جملة الاستفهام:

1 — التنويع في أداة الاستفهام غالبا ما يفضي إلى تنوع اتجاه الاستفهام فيكشف عمّا في نفس الشاعر من حيرة غالبة وقلق عام.

2 — السمة الغالبة على الجملة الاستفهامية الطول، وأحيانا الطول المفرط. هذه الظاهرة الأسلوبية ربما كانت وسيلة لجأ اليها الناظم للجمع بين محاور ثلاثة هي من الأهمية بمكان الرسول ﷺ، وحب الرسول ﷺ، والنفس.

3 — تميز الاستفهام — من حيث العدول بسعة المدى وقوة التأثير والايحاء؛ لأنه في البردة أدى دور القادح المنشط لحركة القصيدة وممّا دلّ عليه:

أ — الحيرة.
ب — الاستعطاف والاستغاثة.
ج — الانكار.
د — الانكار المتضمن معنى النفي.

فبعد دلالات الاستفهام، وخروجه عن معناه الأصليّ إلى معان مجازية، عوامل تحوّل الاستفهام في البردة من وجهته الأصلية في إقامة الحوار بين الشاعر ونفسه من ناحية، وبين الشاعر والمتقبل من ناحية أخرى.

رابعا — جملة النهي:

تميز بما يلي:

1 — السمة الغالبة على جملة النهي ارتكازها على أسلوب التعليل بالروابط وبدونها، وهذا يدل على أن الناظم يتجاوز حدود الطلب والامتناع إلى التعليل

والتدليل، وبالأخص عندما يكون ناهيا عن النفس أو مدافعا عن الرّسول ﷺ.

2 ــ خروج النهي عن معناه الأصليّ إلى معان أخرى كالنصح والارشاد وهي السمة الغالبة عليه، لأن الموضوع يقتضي ذلك.

أما اللغة. كما تجلت من خلال بنية الجملة الطلبية في البردة ــ فقد كانت ملتزمة بقواعد العربية في جلّ استعمالاتها، مرنة بفضل اتساع مجالها الدّلالي. وكان التصرف فيها وفقا لسنن العرب في كلامها. هذا إن استثنينا بعض الظواهر اللغوية القليلة التي خرق الناظم فيها القاعدة[1]. لكن الخرق هذا لم يخل من طرافة، فقد كان مظهرا من مظاهر الابداع.

هذه بعض سمات النظم في البردة ــ من خلال بينة الجملة الطلبية ــ وستكشف الجملة الشرطية عن جوانب أخرى من أسراره.

2 ــ الجملة الشرطية(*):

الشرط أسلوب لغويّ ينبني على جملة مركّبة تتألف من أداة (حرف أو اسم)، ومن شقين: الأوّل منزل منزلة السبب، وهو الشرط والثاني منزل منزلة المسبب وهو الجزاء[2].

---

(1) انظر فكرة العدول في الأسلوب، oswald Ducrot Todorv Dictionnaire encyclopédique des scinces du langage (lécart) éd du semil 1972.

(*) أفاد البحث في هذا القسم من جهود: مهدي المخزومي، في النحو العربي، ص 277 وما بعدها، وريمون طحان، الألسنية العربية، ج2، ص 91ــ92، وعبد السلام المسدي... الشرط في القرآن، ومالك يوسف المطلبي، في التركيب اللغوي.

(2) هناك تسميات كثيرة لهذين الشقين، منها: (جملة الشرط، وجملة الجواب)، و (صدر جملة الشرط، وعجز جملة الشرط)، و (عبارة الشرط، وعبارة الجواب) وقد آثرنا التسمية الأخيرة لدقتها في التعبير عن غرضنا.

تقوم الأداة بربط الشقين ربطا وثيقا يحول دون استقلال أحدهما عن الآخر. يسمّى الشق الأوّل عبارة الشرط، ويسمّى الشق الثاني عبارة الجواب أو الجزاء. وليس عبارتا الشرط والجواب جملتين، لأن كلا منهما بمفرده لا يعبر عن فكرة تامة وهذه الفكرة إنما تعبر عنها الجملة الشرطية[1]. وقد تؤدي وظيفة نحوية في جملة مركّبة كأن تكون جواب شرط أو صفة، أو خبرا...

وقد تتبعنا هذا الأثر في البردة فلاحظنا ميل الناظم الى استخدام أداة الشرط «إن» وهي من أدواته الأصلية. فقد وردت نحو تسع مرات، وهي نسبة لا تشاركها فيها أية أداة شرطية أخرى. وبقية الأدوات المستعملة هي: لو، إذا، أنى، ما، من، متى، لولا، لما).

فإذا نظرنا الى الجمل الشرطية وجدنا لنظامها أنماطا وزعناها بحسب أداة الشرط.

النمط الأوّل ــ الجملة الشرطية التي تعتمد على الأداة «إن»:

تمثل هذا النمط في الصورة الآتية:

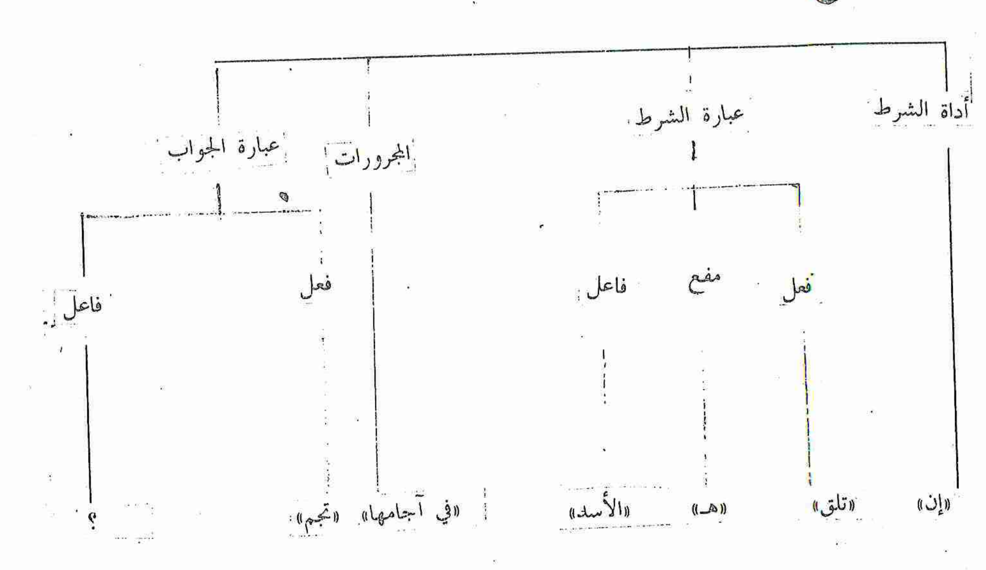
الصورة الأولى ــ أداة الشرط «إن» + عبارة الشرط / فعلها مضارع + جار ومجرور + عبارة الجواب / فعلها مضارع:

«ومن تكن برسول الله نصرته ان تلقه الأسد في آجامها تجم»(247)

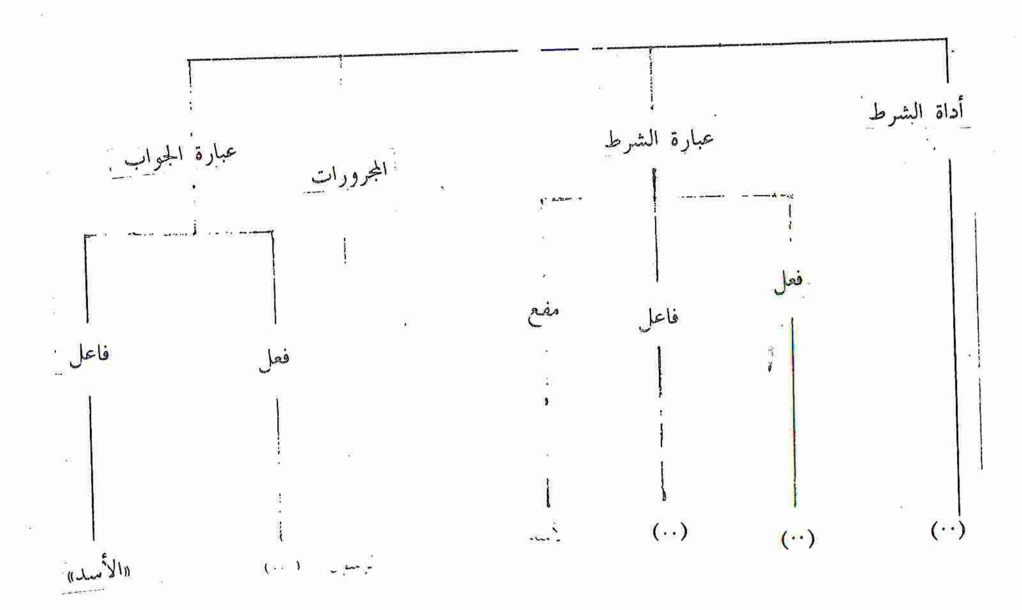
---

(1) انظر الجرجاني، دلائل الاعجـ . ص 189، وابن يعيش، شرح المفصل، ج 6، ص 156.

بنية السطح



بنية العمق



البنيتان: السطحية والعميقة مختلفتان من حيث التقديم والتأخير، والاضمار والاظهار، وعبارتا الشرط والجواب مؤلفتان، لأن كلا منهما بصيغة المضارع. والجار والمجرور» في آجامها» حال من الأسد.

وقد عبّر الناظم «بأن»، لأن الشرط مجرّد فرض.

الصورة الثانية: أداة شرط «إن» عبارة الشرط/فعلها ماض + عبارة الجواب/فعلها ماض + أداة عطف + معطوف (جملة استفهامية تحوي جملة شرطية مكونة من أداة شرط «إن» + عبارة الشرط/ فعلها ماض + عبارة الجواب/فعلها مضارع:

«فما لعنيك إن قلت اكففا هـتـا وما لقلبك إن قلت استفق يهم ؟(233)

الواو في «وما لقلبك إن قلت...«رابط ضمّ جملتين استفهاميتين، وهذا من عطف الانشاء على الانشاء. والنظام المستخدم في هذا السياق أسلوب عربي عادٍ، وهو أداة الشرط + عبارة الشرط + عبارة الجواب. والشرط دال على الانكار والتعجب المستفاد من الاستفهام.

خرج الكلام في هذا التركيب ـــ على خلاف أصله حيث أستعملت «إن» للمقطوع بثبوته. وهذا دالّ على أن الناظم نزّل المخاطب منزلة المتجاهل لمخالفته مقتصى علمه أي الحب. فالأداة الشرطية «إن» دالّة على الندرة بالنسبة للحدث، لأن البكاء والهميان يحصلان عند توفر المنبّه (عبارتا اكففا، واستفق).

أما ورود عبارة الشرط والجواب مؤتلفتين بصيغة الماضي في صدر البيت فلدلالة الجملة الشرطية على الوقوع والحصول قطعا. وأما ورود الجار والمجرور «له» محذوف في «إن قلت» فالاختصار؛ معروف من السياق. وأما العلاقة بين الشرط والجواب[1]، فقائمة على الارتباط التلازمي، لأن عبارة الجواب ليست مسببا عن عبارة الشرط، بل هما متلازمان.

(1) وردت صورة شبيهة بهذا التركيب في (245ـــ3).

الصورة الثالثة: أداة شرط «إن» + عبارة الشرط/فعلها مضارع + عبارة الجواب/فعلها ماض + أداة عطف + معطوف (جملة شرطية مكونة من أداة شرط «إن» + عبارة الشرط/فعلها مضارع + عبارة الجواب:/فعلها مضارع[1]:

«والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم»(239)

عبارتا الشرط والجواب — في صدر البيت — مختلفتان: الأولى مضارعية، والثانية ماضوية، ولفظ المضارع بعد «إن» يدل على المشكوك في وقوع فعله، لأن الطفل قد يهمل وقد لا يهمل. أما العبارتان — في عجز البيت — فمؤتلفتان لأنهما بصيغة المضارع، و«إن واقعة بعدهما، فدلّ الشرط على المقطوع بثبوته، لأن الفصام حاصل لا محالة. وقد اضطره الوزن، الى استعمال «إن» بدل «إذا». كما حوت عبارة الجواب فعلاً مطاوعًا، وهي صفة تتماشى مع طبيعة الطفل الرضيع، لأنه إن ترك على الرضاع فقد يبلغ سن الشباب، وإن فطم امتنع ولم يتضرر منه. وبناء على هذا فالعلاقة بين الشرط والجواب — في البيت — قائمة على الارتباط السببي، لأن الجواب مسبب عن الشرط مترتب عليه.

والجار والمجرور: «على حب» متعلق «بشب»، والواو في قوله: «وإن تفطمه ينفطم «رابط جمع بين جملتين شرطيتين. وهذا من باب عطف الشرط على الشرط.

الصورة الرابعة: أداة شرط «إن» + عبارة الشرط/ فعلها ماض + رابط + عبارة الجواب/ فعلها أمر:

« وخالف النفس والشيطان واعصمها وإن هما محضاك النصح فاتهم»(240)

الضمير «هما» فاعل لفعل محذوف في البنية السّطحية يفسره الفعل المذكور. وقد يكون أصل الكلام «وإن محضا» فحذّف الفعل وانفصل الضمير فصار «وإن هما محضاك». ويجو أن يكون الضمير «هما» مبتدأ والجملة بعده خبرا.

---

[1] نسمي أحيانا عبارتي الشرط والجواب ب(الشرط والجواب) للاختصار.

على مذهب الأخفش والكوفيين. الواو في قوله: «وإن هما محضاك...» رابط جمع بين جملة شرطية وأمرية وهذا من باب عطف الانشاء على الانشاء، لأن الجواب مرتبط بالفاء دال على الطلب. وحذف المفعول به «هما» (النفس والشيطان) في «تهم» لمراعاة الوزن.

أما التعبير «بإن» التي هي للشك فإشارة الى أن اخلاص النفس والشيطان النصح أمر مشكوك فيه، بل لا يحصل البتة.

الصورة الخامسة: أداة شرط «إن» «عبارة الشرط/فعلها مضارع + رابط + عبارة الجواب/جملة اسمية منسوخة + أداة عطف + مصطوف:

«ان آت ذنبا فما عهدي بمنتقض من النبيّ ولا حبلي بمنصرم»(243)

عبارتا الشرط والجواب مختلفتان: الأولى مضارعية، والثانية جملة اسمية، والتنوين في «ذنبًا» للعموم، لأنه يشمل الذنوب كلها واحدا بعد آخر. والبناء في كلمتي «بمنتقض، وبمنصرم» زائدة، والجار والمجرور «منَ النبّي» متعلق بمنتقض.
أما حذف الجار والمجرور «من النبّي «في» ولا حبلي بمنصرم «فدالّ عليه السياق. وأما الاضافة في «عهدي» فهو للعهد والمعهود هو الايمان.

والعلاقة بين الشرط والجواب قائمة على الارتباط التلازمّي، لأن إيمان الشاعر ملازم لعهده.

الصورة السادسة: أداة شرط «إن» + عبارة الشرط/جملة اسمية منسوخة + جار ومجرور + متضايفان + تمّيز أو مفعول لأجله + رابط + أداة شرط «الا» + جملة شرطية مختزلة + رابط + عبارة الجواب/فعلها أمر:

تمييز هذا التركيب فيما يلي:

1 — عبارة الشرط جملة اسمية منسوخة «لم يكن في معادي آخذا بيدي فضلاً، المبتدأ فيها ضمير مستتر يعود على النبّي (ﷺ).

2 — كلمة فضلا «تمييز من نسبة آخذا الى فاعله. ويجوز أن تكون مفعولا لأجله. قد وضح سبب الأخذ باليد.

3 ــ أفاد الواو في قوله «والا فقل...» الربط والاعتراض بين عبارة الشرط الأولى، وعبارة الجواب. وقد يكون توكيدا للشرط الأوّل.

4 ــ المجرورات «في معادي، وبيدي» الأوّل متعلّق بيكن، والثاني متعلق «بآخذ».

5 ــ الجملة الشرطية مختزلة بين عبارة الشرط، وعبارة الجواب، مقدّرة في البنية العميقة «وإن كان آخذا بيدي فزت»، لأنها مصدرة بلا النافية، وأداة الشرط «إن». أدغمت الثانية في الأولى فصارت «إلاّ». وقد تكون هذه الأداة زائدة في الكلام فتصير «فقل» جوابا لعبارة الشرط.

النمط الثاني: الجملة الشرطية التي تعتمد على الأداة لو

ضمّ هذا النمط ثلاث صور:

الصورة الأولى: أداة شرط «لو» + عبارة الشرط/فعلها ماض + تمييز + عبارة الجواب / فعلها ماض + مضاف + مضاف إليه (جملة فعلية):

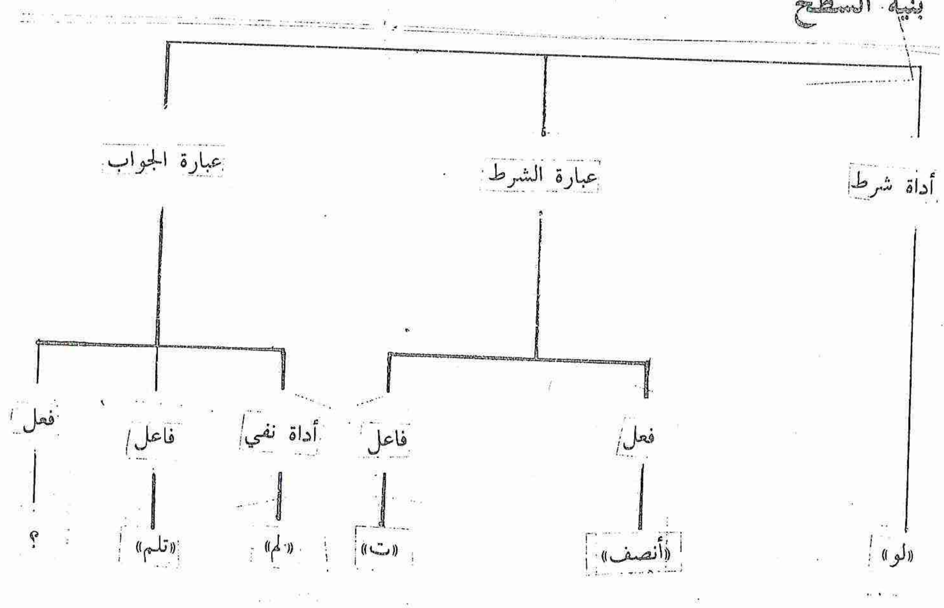
«لو ناسبت قدره آياته عظما أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم»(241)

تقديم المفعول به «قدره» على الفاعل «آياته» دالّ على أن قدر النبيّ ﷺ في منتهى الرفعة والقرب من الله تعالى. وكلمة «عظما» تمييز، ونائب الفاعل في «يدعى دارس الرسم» مضمر في البنية السّطحية، مقدّرة في البنية العميقة ب (يدعى به) ــ الرسول (ﷺ) ــ حذفت الباء واتصل الضمير بالفعل فاستتر. وعبارتا الشرط والجواب مؤتلفتان: كلاهما بصيغة الماضي. وقد يفهم من هذا التركيب أن الناظم لما تصوّر أن آيات الرسول ﷺ لم تناسب قدره في العظم استدل على ذلك بأنه لو ناسبت آياته قدره في العظم لكان من جملة آياته أن يحي اسمه دارس الرم حين يدعى به، لكن لم تكن من آياته قدره في العظم، لأن قدره أعظم من آياته. فعبّر بأداة الشرط «لو» التي تفيد امتناع الجواب لامتناع عبارة الشرط، أي تنتفي مناسبة الآيات لقدر النبيّ ﷺ بسبب انتفاء إحياء الموتى حين يدعى باسمه. وهذا صحيح ــ فيما يبدو ــ لأنه لم يقع، ولو وقع لنقل الينا: ولأن إحياء الموتى بالتوسّل بإسمه لم يكن من آياته.

الصورة الثانية: أداة شرط «لو» + عبارة الشرط /فعلها ماض + عبارة الجواب/فعلها مضارع:

«يالائمي في الهوى العذريّ معذرة مني إليك ولو أنصفت لم تلم»(239)

بنية السطح



عبارتا الشرط والجواب مؤتلفتان من حيث الدلالة على الماضي، مختلفتان من حيث البناء، لأن الأولى بصيغة الماضي، والثانية بصيغة المضارع.

الاستفهام والشرط متداخلان مبرزان فكرة الانصاف والملامة اللتين يشكو منهما الشاعر. هذا على الظاهر، لكن دخول أداة النفي على عبارة الجواب ووجود «لو» الدالّة على وجوب الامتناع جعلا الجواب ثابتا باعتبار نفي النفي إثباتا، فصار الشرط منفيا، فانتفت الملامة، وبانتفائها مبني على التجريد، والناظم فيه هو الباث، وهو المتلقي، وهو المكتوي بالنار.

الصورة الثالثة: أداة شرط «لو» + عبارة الشرط/جملة اسمية منسوخة + عبارة الجواب/فعلها ماض + نعت (جملة فعلية) + المجرورات:

«لو كنت اعلم ما أني ما أوقره كتمت سرا بدالي منه بالكم»(0249

جملة «أعلم أني ما أوقره «خبر، و«أني ما أوقره» مفعول به، و«ما أوقره» خبر أيضا، و«بدالي« نعت.

تعلقت «لي ومنه» ببدا، و«بالكتم»بالفعل كتم.

في هذا التركيب المعقد الذي تعددت فيه الوظائف النحوية كان انتفاء إخفاء الشيب سببا في انتفاء العلم بتعظيمه بالفعل الجميل، ذلك أن التعبير «بلو» دالّ على امتناع الجواب لامتناع الشرط.

أما عبارتا الشرط والجواب فمؤتلفتان من حيث الدّلالة على الزمن الماضي المتجدد. وهذا يوحي أن الناظم يستعيد من خلال صورة حاضره حالات الشيب التي تظهر ببطء، وتستمر حتى تأتي على شعر الرأس كلّه.

النمط الثالث: الجملة الشرطية التي تعتمد على اداة «لولا».

تمثل هذا النمط في صورتين:

الصورة الأولى: أداة شرط «لولا» + عبارة الشرط/جملة اسمية مختزلة + عبارة الجواب/فعلها مضارع + جار ومجرور:

«وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم»(240

تميّز هذا التركيب باختلاف الشرط والجواب، وورود الجملة الشرطية «لولاه لم تخرج الدنيا من العدم» صلة للموصول «من» ، وتعلّق الجار والمجرور «من العدم» بتخرّج.

الاستفهام والشرط متداخلان وألآن على الانكار المتضمن من معنى النفي، والتعبير «بلولا» دال على أن عبارة الجواب امتنعت لوجود عبارة الشرط، فلولا وجود الرسول ﷺ ـــ في نظر الشاعر ـــ لاستمرت الدنيا على عدمها، ولما وجدت، لأن وجود النبيّ ﷺ علّة في وجودها. وبناء عليه فالعلاقة بين الشرط والجواب قائمة على الارتباط السّببيّ.

الصورة الثاني: أداة شرط «لولا» + عبارة الشرط/جملة مختزلة + عبارة الجواب/فعلها مضارع + جار ومجرور + أداة عطف + معطوف (جملة فعلية) + أداة عطف + معطوف:

«لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل ولا أرقت لذكر البان والعلم»(239)

في هذا التركيب والبيت الذي سبقه التفات من الغيبة الى الخطاب. وجملة «لأرقت لذكر البان» معطوفة على عبارة الجواب، و«على طلل، ولذكر»متعلّقان «بترق»، و«بأرقت». أما أداة النفي «لا» فزائدة لتأكيد النفي.

حُذِف الخبر في البنية السّطحية وجوبًا لسد عبارة الجواب مسده، وذلك لكونه كونا مطلقًا، والتقدير في البنية العميقة «لولا الهوى موجود»، وعبّر «بلولا» لامتناع الجواب لوجود الشرط. أما العلاقة بينهما فقائمة على الارتباط السّببيّ، لأن عبارة الجواب مسبّبة عن عبارة الشرط.

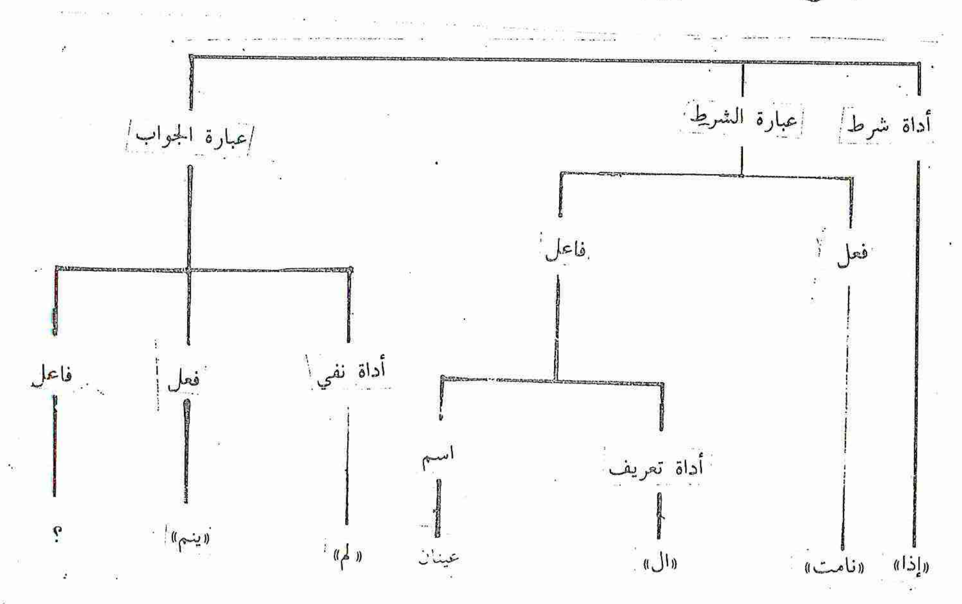
النمط الرابع: الجملة الشرطية التي تعتمد على الأداة إذا

تمثل هذا النمط في صورتين:

الصورة الأولى: أداة شرط «إذا» + عبارة الشرط/فعلها ماض + عبارة الجواب/فعلها مضارع:

«لا تنكر الوحي من رؤياه إن لـه قبلا إذا نامت العينان لم ينم»(243)

بنية السطح



الجملة الشرطية مرتبة ترتيبًا عاديًا: أداة الشرط + عبارة الشرط + عبارة الجواب وهما مختلفتان: الأولى ماضوية، والثانية مضارعية. والفاعل في هذا التركيب مضمر في البنية السّطحية مقدر في البنية العميقة ب(القلب) وهو الرسول ﷺ. أما مضمونا الشرط والجواب فمتقابلان: الأوّل قائم على أن العينين تنامان، والثاني قائم على أن القلب لا ينام وهذه صفة من صفات اليقظة الدائمة التي تحلّى بها النبي ﷺ. فعلاقة الشرط بالجواب إذن علاقة تقابل بين نوم العينين، ويقظة القلب. وأما التعبير «بإذا» ـــ مضمن معنى الشرط ـــ فدالّة من حيث الزمن على الاستمرار ومن حيث الدّلالة على اليقين + لأن النوم طبيعة الانسان.

الصورة الثانية: عبارة الجواب أداة شرط «إذا» + عبارة الشرط/فعلها ماض:

«ولن يضيق، رسول الله، جاهك بي إذا الكريم تحلّى باسم منتقم

الجملة الشرطية ـــ في التركيب ـــ مرتبّة ترتيبًا عكسيًا، لأن عبارة الجواب متقدمة على كلّ من أداة الشرط، وعبارة الجواب مكونة من أداة نفي «لن» + فعل مضارع + أداة نداء محذوفة في البنية السّطحية، مقدّرة في البنية العميقة ب(«يا» + منادى مخصص بالاضافة «رسول الله» + فاعل ومضاف اليه «جاهك» + جار ومجرور «بي» متعلق بيضيق، وهو بمعنى عنّي. أما الجملة الندائية المختزلة فهي اعتراضية، لأنها واقعة بين فعل وفاعل، دالّة على توكيد قوة معنى سعة صدر الرسول ﷺ. وكلمة «الكريم» بعد «إذا» فاعل لفعل محذوف في البنية السّطحية، مقدّر في البنية العميقة ب(إذا تحلى الكريم). وقد يكون مبتدأ، والجملة «تحلى باسم منتقم خبرا على مذهب الأخف والكوفة. أما التعبير «بإذن» ـــ وهي ظرف مضمن معنى الشرط. فقد نزّل الكلام منزلة القطع والجزم، لأن الرسول ﷺ لم يضيق جاهه إذا اشتد يوم القيام، فهو الذي يشفع للناس جميعًا، ولأن انتقام الله سبحانه وتعالى من العصاة في ذلك واقع لا محالة، إلاّ من تجاوز عنه، فالله كريم، والكريم من شأنه التجاوز عن الهفوات.

النمط الخامس: الجملة الشرطية التي تعتمد على الأداة من

ضمّ هذا النمط صورتين:

الصورة الأولى: أداة شرط «من» + عبارة الشرط/فعلها مضارع+ جار ومجرور + متضايفان + عبارة الجواب/فعلها مضارع+ جار ومجرور + أداة عطف + معطوف:

«ومن يبع آجلا منه بعاجله يبن له الغبن في بيع وفي سلم»(248)

في هذا التركيب جملة من الظواهر الأسلوبية منها:

ورود الشرط والجواب مؤتلفين، والعلاقة بينهما قائمة على الارتباط السّببيّ. والعبارة « ومن يبع آجلا بعاجله «فيها نظر، لأن الناظم أدخل الباء في قوله: «بعاجله» على غير المتروك وهو متاع الدنيا. وهذا لا يستقيم مع رغبة الشاعر التي تنشد ثواب الآخره، لامتاع الدنيا. والأرجح أن أصل التركيب كالآتي:

«ومن يبع عاجلا منه بآجله يبن له الغبن في بيع وفي سلم»

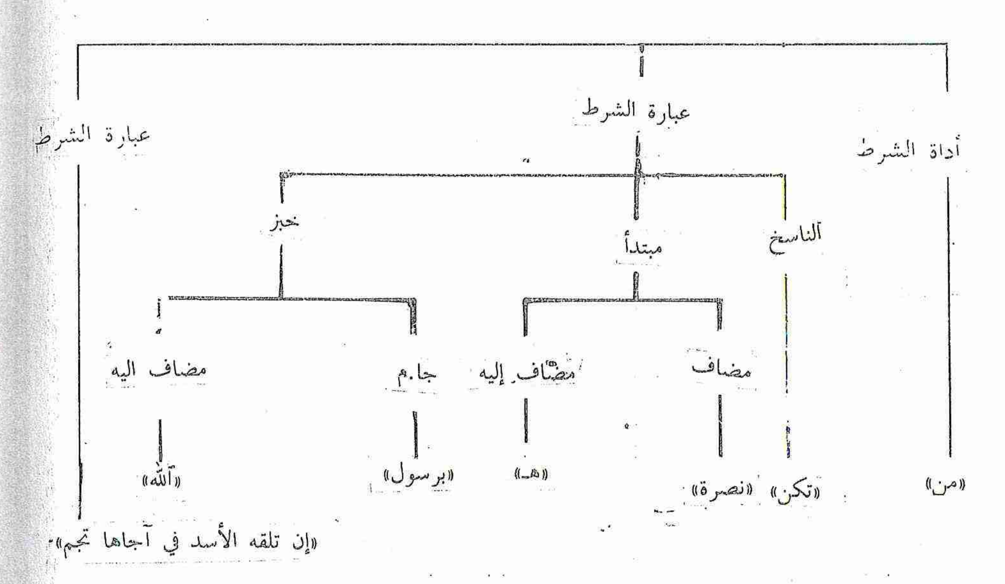
وكذا روى بعض الشارحين البيت. أما المجرورات: «بعاجله، وله، وفي بيع فمتعلقة ب (بيع، الغبن). وأما «منه» فنعت ل«آجلا. وأما العطف في بيع وفي سلم «فللتفسير، لأن السلم صورة من صور البيع.

والتركيب مشحون بطابع الحكمة التي تفيد التعبير عن حقائق خالدة غير مقترنة بزمن معين. و«من» للعاقل. وبناء على هذا فأسلوب الشرط ـــ في هذا البيت ـــ يضع الانسان أمام الاختيار وتحمل المسؤولية، وهو الاتجاه العام الذي تخيّر الناظم السير فيه، وحاول بمقتضاه ربط المتقبّل به لتتم شروط العقد بينهما.

الصورة الثانية: أداة الشرط «من» + عبارة الشرط/جملة اسمية منسوخة + عبارة الجواب/جملة شرطية:

«ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في آجامها تجم»(247)

بنية العمق



ورد ـــ في هذا التركيب ـــ اعتراض الشرط على الشرط، وهي ظاهرة طريفة، لأن الجملة الشرطية «أن تلقه الأسد في آجامها» قائمة بوظيفة عبارة الجواب، لأن لجملة الشرط «ومن تكن برسل الله نصرته». وجاءت قضية الشرط منحصرة بين أداتي الشرط: «من، وإن»، دالّة على تأكيد حقيقة النصر بالرسول ﷺ. أما التقديم والتأخير في: «ومن تكن برسول الله نصرته «فدال على أهمية الخبر باعتبار الرسول ﷺ سر النصر وسببا فيه.

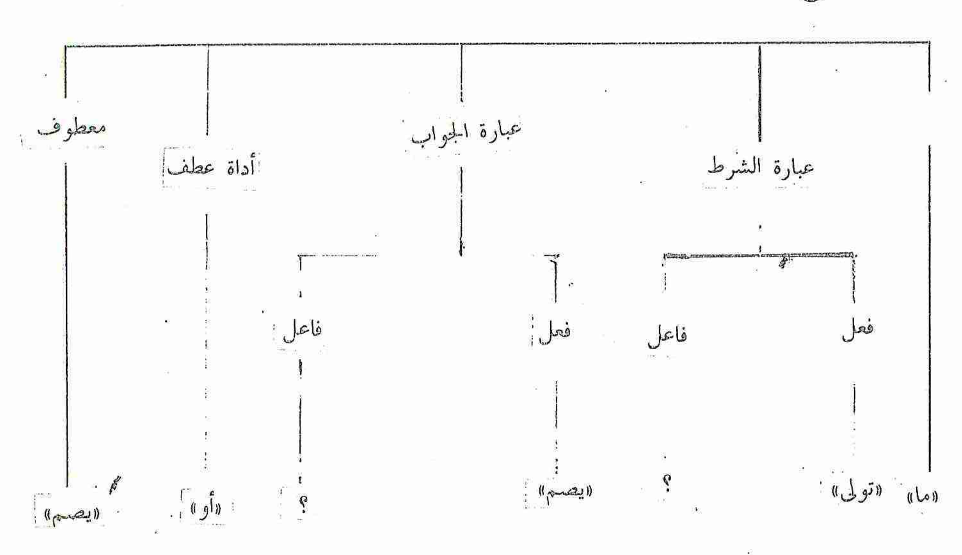
وبناء على هذا فالعلاقة بين الشرط والجواب قائمة على الارتباط السبّبي عموما، لأن عبارة الجواب مسببة عن عبارة الشرط مترتبة عليها. وأما «من» فللعاقل، لأن عبارة الجواب مسببة عن عبارة الشرط مترتبة -عنها-. وأما «من» فللعاقل.

النمط السادس: الجملة الشرطية التي تعتمد على الأداة ما

تمثل هذا النمط في صورة واحدة نظامها كالآتي: أداة شرط «ما» + عبارة الشرط/فعلها ماض + عبارة الجواب/فعلها مضارع + أداة عطف + معطوف:

«فاصرف هواها وحاذر أن توليه إنّ الهوى ما تولى يصم أو يصم»(239)

بنية السطح



الفاعل مضمر في البنية السّطحية في الفعلين: «تولى، ويصم»، مقدر في البنية العميقة بالهوى. وعبارتا الشرط والجواب مختلفان: الأولى ماضوية، والثانية مضارعية. والجملة الشرطية خبر، وأداة الشرط بمعنى (إن أو كلّما) إلا أنها أوكد منهما.

العلاقة بين الشرط والجواب قائمة على الارتباط السّببي، لأن ولاية الهوى سبب في الهلاك والضلال. وهذا مناسب للبنية الشرطية ومعناها، لأن ما لغير العاقل، والهوى ممّا لا يعقل.

النمط السابع: الجملة الشرطية التي تعتمد على الأداة أني

لهذا النمط صورة واحدة نظامها كالآتي: أداة شرط «أنى» + عبارة الشرط/فعلها ماض + عبارة الجواب محذوفة في البنية السّطحية + خبر ثان (جملة فعلية) + جار ومجرور + نعت (جملة فعلية):

«مثل الغمامة أنى سار سائرة تقيه حر وطيس للهجير حمى»(243)

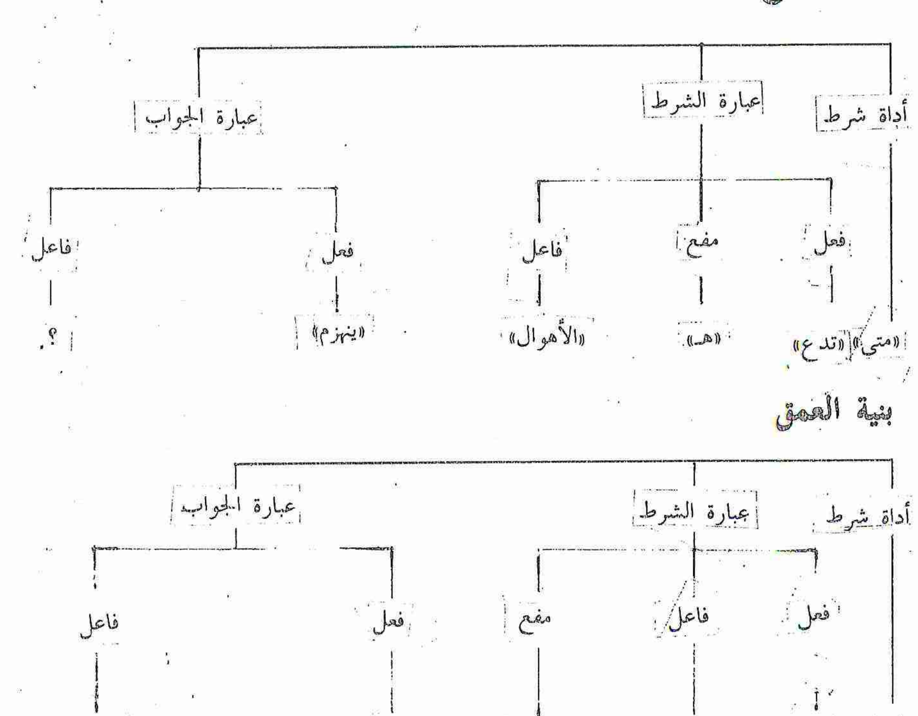
عبارة الشرط محذوفة في البنية السّطحية، مقدرة في البنية العميقة ب(فهي سائرة معه) وجملة «تقيه حرّ وطيس للهجير حمي «إما خبر ثانٍ على قراءة كلمة «سائرة بالرفع، وأما حال من الغمامة على قراءة كلمة «سائرة» بالنصب وجملة «حمي» نعت لوطيس. أما أداة الشرط «أنى» فظرف زمان مضمن معنى الشرط، وهي بمعنى «كيف»، أو «أين»، أو في أي موضع. وأما الجار والمجرور «للهجير» فمتعلق حمي، واللام بمعنى (عند).

النمط الثامن: (الجملة الشرطية التي تعتمد على الأداة متى)

ضم هذا النمط صورة واحدة نظامها كالآتي: أداة شرطٍ «متى» + عبارة الشرط/فعلها مضارع + عبارة الجواب/فعلها مضارع:

«والطف بعبدك في الدارين ان لـه صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم»(243)

بنية السطح



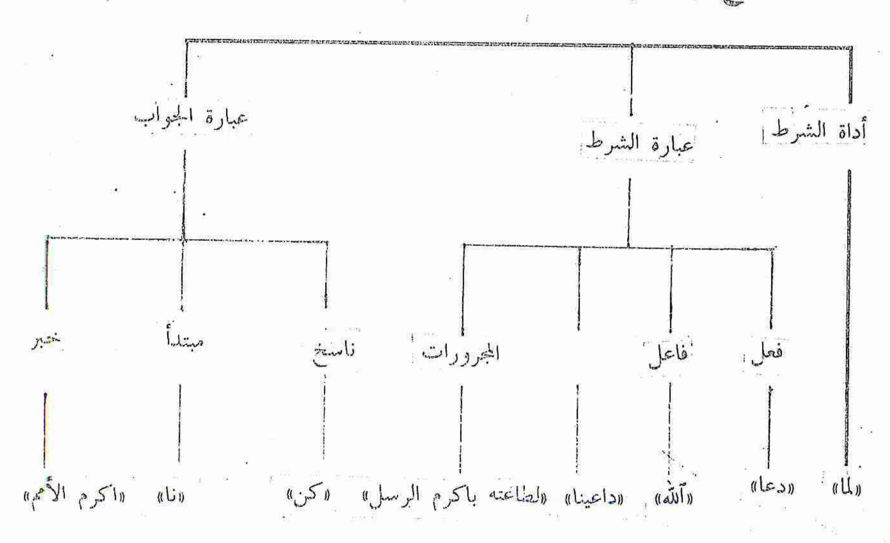
البنيتان: السطحية والعميقة مختلفتان من حيث الاضمار والاظهار والتقديم والتأخير وعبارتا الشرط والجواب مؤتلفتان، لأن كليتهما بصيغة المضارع. وأما التعبير «بمتى» — وهي ظرف مضمن معنى الشرط — فمرتبط بالزمن الاستمراري، لأن الذي يفهم من التركيب أن الشاعر صبره ضعيف لا يثبت أمام الأهوال والشدائد.

النمط التاسع: (الجملة الشرطية التي تعتمد على الأداة لمّا)

له صورة واحدة نظامها كما يلي: أداة شرط «لما» + عبارة الشرط/فعلها ماض + جار ومجرور + متضايفان × 2 + عبارة الجواب/جملة اسمية منسوخة:

«لما دعا الله داعينا لطاعته بأكرم الرسل كنّا أكرم الأمم»(246)

بنية السطح والعمق



البنيتان: السّطحية والعميقة متفقتان، وعبارتا الشرط والجواب مؤتلفتان من حيث الدّلالة على الزمن الماضي، مختلفتان من حيث البناء، لأن الأولى ماضوية، والثانية جملة اسمية. و«لطاعته، وبأكرم» متعلقان بداعينا، ودعا. أما الأداة «لما» فهي

وجود لوجود أو ظرف بمعنى حين تفيد وقوع الأمرين: «عبارة الشرط، والجواب»، لأن سبحانه وتعالى لما سمّى نبيّه الكريم بأكرم الرسل ـــ وهذا حاصل قطعا ـــ كانت أمته أكرم الأمم، لأن أكرم الرسل لا يبعث إلا لأكرم الأمم مصداقًا لقوله تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر(1)

الخاتمة:

أسفر الاستقراء عمّايلي:

1 ـــ الائتلاف والاختلاف. والجدول يوضح عدد تواتر الجمل الشرطية مؤتافة ومختلفة.

الائتلاف	نوع الشرط والجواب	ماض/ماض				مضارع/مضارع			
	عدد المرات	02				04			
الاختلاف	نوع الشرطوالجواب	اسمية	اسمية	اسمية	ماض	ماض	ماض	مضارع	مضارع
		ماض	مضارع	أمر	اسمية	مضارع	أمر	اسمية	ماض
	عدد المرات	01	02	01	02	05	01	01	02

هذه النسبة العالية في الاختلاف بين الشرط والجواب، توضح ميل الناظم الى تفادي الحالة الاعرابية باختيار أنماط شرطية لا يكون النظم فيها مقيدا بشروط القواعد النحوية.

2 ـــ لم يشذ الشاعر في الأنماط الشرطية كلّها عن النظام النحوي في العربية، لأنه في جميع الحالات التي اقتضى فيها الجزم، أورد الفعل مجزوما.

3 ـــ لم يحافظ النظام اللغوي في البردة على وجود الرابط الشرطي «الفاء» إلا في نسبة قليلة.

(1) سورة آل عمران (110).

4 ـــ أدوات الشرط «إن، وإذا، ولو» شكّلت ظاهرة أسلوبية في البردة. وهذا يتطابق مع آراء النحاة الذين عدّوا هذه الأدوات هي الأساسية في الشرط.

5 ـــ خروج الأداة الشرطية ـــ أحيانا ـــ عن دلالتها الأساسية الى دلالة أخرى عدول أسلوبيّ حقّق أغراضًا معنوية وبلاغية مهمة.

6 ـــ اختيار الأداتين : «من، وما» كان مناسبا لمحتوى الجملة الشرطية، لأن الصنفين من الكائنات العاقل وغير العاقل خوطبا بما يقتضيه الخطب غير أننا نجد خلاف هذا في القرآن وفي العربية.

7 ـــ ترادف الأدوات الشرطية ـــ في البردة ـــ سمة من سمات النظم.

8 ـــ أنبنى نظام الجملة الشرطية ـــ في البردة ـــ على الجملة الفعلية في نسبته المطلقة، وهذا يتطابق مع آراء النحاة.

9 ـــ دلالة الارتباط الشرطيّ متنوعة، فالائتلاف بين عناصره قائم على ثلاث معان:

أ ـــ السببية.
ب ـــ التلازمية.
ج ـــ التقابلية.

10 ـــ الجملة الشرطية انشائية وخبرية بحسب صيغة عبارة الجواب.

الجملة الشرطية ـــ عموما ـــ سرّ من أسرار نظام اللغة في البردة، فهي بفضل مرونتها اتّسعت لاستيعاب بعض جوانب الرسالة الأدبية مبنى ومعنى. أما فيما يتعلّق بالمعنى فقد كانت مشحونة بزيادات. وأمّا فيما يتعلق بالمبنى فقد قامت ـــ الى جانب ما ذكرنا ـــ بوظائف متنوّعة: كجواب شرط في جملة شرطية مركبة، وخبر، ونعت. هذه التراكيب سنعود إليها في القسم المخصص للوظائف النحوية.

ثالثا ـــ الجمل ذات الوظائف النحوية

وردت الجملة ذات الوظيفة النحوية في مائة واثني عشر موضعا. توزّعت توزيعًا بنويا حسب خصائص كل نوع. فبدأ الباحث بالفاعل، والخبر، ثم

المتممات: المفعول به، والحال، والنعت، والتعليل، والغاية، واقتصر على هذه الأنواع ــ دون غيرها ــ لأهميتها في البردة.

الجدول يوضح أنواع الجمل

أنواع الجمل ذات الوظائف	عدد الجمل
جملة الفاعل	01
جملة الخبر	33
جملة المفعول به	14
جملة الحال	16
جملة النعت	21
جملة التعليل	20
جملة الغاية	07
المجموع	112

أولا ــ جملة الفاعل

تمثلت في نمط واحد نظامها كالآتي: موصول حلارفيّ «أن + فعل ماض + فاعل + متضايفان:

وساء ساوة أن غاضت بحيرتها ورد واردها بالغيظ حين ظمي»(242)

جملة «أن غاضت بحيرتها «فاعل مؤخر للفعل «ساء». ومفعوله «ساوة» مقدم، وهو مضاف إليه والمضاف محذوف، مقدّر في البنية العميقة ب«أهل ساوة». وهذا على حدّ قوله تعالى: «واسأل القرية التي كنا فيها[1]»، أي واسأل أهل القرية).

ثانيا ــ جملة الخبر(*)

الجملة الخبرية ــ في البردة ــ متنوعة. وقد توزّعت بحسب أنماط وصور كالتالي:

(1) سورة يوسف (32).

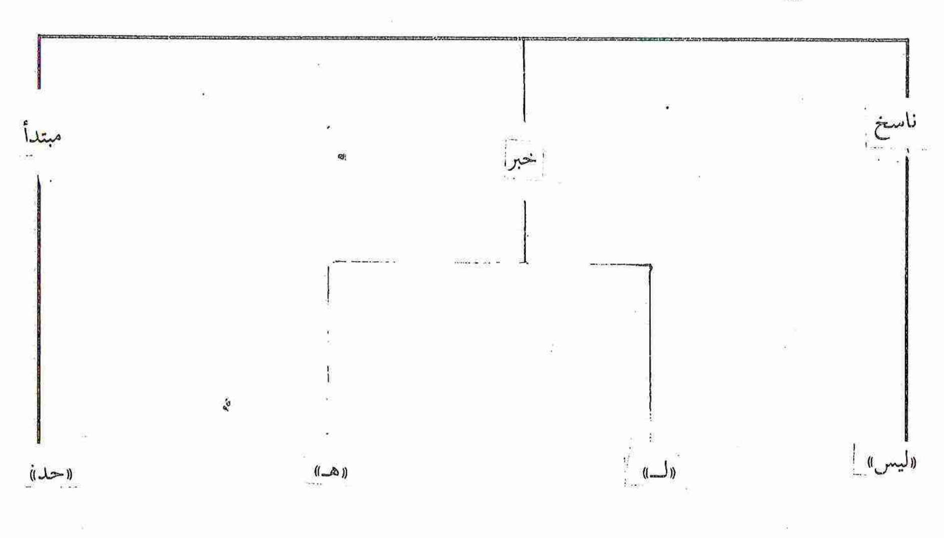
(*) نعني بالخبر الوظيفة النحوية، لا الأسلوب، انظر ابن يعيش، شرح المفصل، ج 1، ص 88ــ92.

النمط الأول: (الخبر جملة اسمية)

له صورة واحدة: ناسخ «ليس» + خبر مقدم + مبتدأ مؤخر:

«فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم»(241)

بنية السطح



جملة «ليس له حد «خبر» وهي جملة منفية. والرابط فيها «الهاء» في: «له»، يعود على فضل الرسول ﷺ

وقد عبّر الناظم بالجملة الاسمية المنفية لاثبات المعنى، وهو أن فضل النبي ﷺ ثابت، ولأنه مظهر من مظاهر الكمال المطلق الذي لا حد له.

أما بنيتا السطح والعمق فمختلفتان من حيث التقديم ولتأخير بين عناصر الجملة، ومن حيث التحويل[1].

(1) انظر الجملة المنسوخة، وفكرة التحويل، د. جعفر د ك. الباب، الموجز، في شرح دلائل الاعجاز في علم المعاني، ص 120.

النمط الثاني: الخبر جملة ماضوية

تمثل في ثلاث صور:

الصورة الأولى: جملة ماضوية مثبتة:

«وما حوى الغار من خير ومن كرم   وكل طرف من الكفار عنه عمى»(243)

«وقاية الله أغنت من مضاعفة   من الدروع وعن عال من الاطم»(243)

«إني اتهمت نصيح الشيب في عذل   والشيب أبعد في نصح عن التهم»(239)

الجمل الخبرية في هذه الأمثلة: «عمي»، و «أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم». وهما جملتان حوتا فعلين متعديين: الأول بحرف الجر، والثاني بنفسه «أغنت الرسول وأبا بكر عن مضاعفة...». والرابط فيهما الضمير في الفعلين. وأما الاخبار بالفعل في الجملة الأولى فدال على أن العمى عرض من الأعراض الطارئة التي تظهر وتزول؛ لأنه استعمل مجازا قصد منه إبراز المعجزة الالاهية.

ونكتة البيت أن الناظم لو أخبر بالجملة الاسمية لكان العمى صفة ثابتة في الكفّار، ولكان بيض الحمام، ونسج العنكبوت حقائق ثابتة. ومن ثمة لا حاجة للفن الأدبي بهذا. غير أن الناظم أخبر بالجملة الفعلية، لأن الفعل يقتضي مزاولة وتجدد الصفة في الوقت، وأعرض عن الاخبار بالجملة الاسمية لثبوت الصفة فيها، وحصولها من غير مزاولة وتجدد(1)

أما جملة «اتهمت نصيح الشيب في عذل» فهي خبر «لأن»، ونظامها فعل ماض + فاعل + مفعول به + جار ومجرور. والرابط فيها الضمير في «اتهمت»، والاضافة في: «نصيح الشيب» للبيان أي نصيحا هو الشيب، وهذا من إضافة الصفة الى الموصوف، فكأن الناظم قال: «شيبًا ناصحًا». أما الاخبار بالجملة الفعلية فدالّ على أن هناك اتهاما يتجدد من الناظم حالا فحالا.

الصورة الثانية: جملة ماضوية منفية: أداة نفي «ما» + فعل ماض + فاعل مضمر في البنية السطحية + جار ومجرور + متضايفان × 2 + أداة عطف + معطوف:

(1) حول هذه المعاني النحوية، انظر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص 134.

«فإن أمّاتي بالسوء اتعظت   من جاهلها بنذير الشيب والهرم»(239)

الجملة «ما اتعظت من جهلها بنذير الشيب والهرم «خبر لأن». والرابط فيها الضمير في الفعل. وقد ورد منفيا، لابراز إحدى صفات النفس المتمثلة في الرفض المستمر، وعدم الاتعاظ بمنذر الشيب والهرم.

الصورة الثالث: جملة ماضوية مؤكدة: أداة توكيد «قد» + فعل مبني لم لما يسم فاعله + فاعل + جار ومجرور متضايفان + أداة عطف + معطوف:

«يوم تفرس فيه الفرس أنهم   قد أنذروا بحلول البؤس والنقم»(242)

الجملة «قد انذروا بحلول البؤس والنقم» خبر «لأن». والرابط فيها الضمير في الفعل. أما الاخبار المؤكد فدال على ارتباط ولادة النبي ﷺ بالتحذير بحلول البوؤس والنقم. والمعنى على التحذير يتجدد بالتأمل والنظر في نتائجه التي تقع حالا فحالا.

النمط الثالث: (خبر جملة مضارعية)

في هذا النمط نوعان من الجمل: نوع مرتبط بالنواسخ، وآخر غير مرتبط.

1 — النوع غير المرتبط بالناسخ

له صورتان:

الصورة الأولى: الخبر جملة مضارعية مثبتة:

«والجن تهتف والأنوار ساطعة   والحق يظهر من معنى ومن كلم»(242)

«شاكي السلاح لهم سيمي تميزهم   والورد يمتاز بالسيمي عن السلم»(247)

الجملة الخبرية في هذه الأمثلة «تهتف»، و«يظهر من معنى ومن كلم»، ويمتاز بالسيمى عن السلم». والرابط فيها الضمير المستتر في الأفعال: (تهتف، ويظهر،ويمتاز). أما الاخبار بهذا النوع فمرتبط بالمزاولة والتجدد، لأن الجن — في اعتقاد الشاعر — تصوت عند ولادة النبي ﷺ ولأن صدق النبوة ينكشف للعيان. ومعنى التصويت والانكشاف حوادث تتجدد الأصوات وتتضح دلائل النبوّة فيها كالأنوار والسلم المحسوسين. وأما التمييز فتعيين وتخصيص لصفات الصحابة (رضوان الله عليهم).

وشبيه بهذا التركيب ما نجده في الأمثلة الآتية:

«نعم سرى طيف من أهوى فأرقني — والحب يعترض اللذات بالألم»(239)
«فالصدق في الغار والصديق لم يرما — وهم يقولون ما بالغار من أرم»(243)
«فالدّر يزداد حسنا وهو منتظم — وليس ينقص قدرا غير منتظم»(244)
«وأنت تخترق السبع الطباق بهم — في موكب كنت فيه صاحب العلم»(245)(245)

الجمل الخبرية هي:

— يعترض اللذات بالألم».
— يقولون ما بالغار من أرم».
— يزداد حسنا وهو منتظم».
— تخترق السبع الطباق بهم».

هذه الجمل بسيطة ما عدا الجملة: «يقولون ما بالغار من أرم» فهي مركبة، لأنها مكونة من فعل وفاعل ومفعول به (جملة اسمية). والبنى السّطحية والعميقة مختلفة، لأن الفاعل في الأمثلة كلّها مضمر إلا في الجملة المركّبة. والرابط بين عناصرها الضمير في: (يعترض، ويزداد، وتخترق، وواو الجماعة في يقولون).

أما الاخبار بالجملة الفعلية فيبدو أنه مرتبط بأحداث الأفعال نفسها، ذلك أن اعتراض اللذات بالألم تبدأ من روية الطيف الذي يهواه الناظم، وهو إحساس يتجدد به الحب ويكون في الألم. والازدياد حدث ينمو، وبنموه يتجدد حسنه. والاختراق وصف سديد لاجتياز الرسول ﷺ الطبقات جزءًا فجزءًا لأن الفعل مرتبط بظرف حركيّ يتجدد فيه الصعود، ويتم مرحلة فمرحلة أو طبقا فطبقا. وأما الاخبار في: «يقولون بالغار من أرم» فمرتبط بهيئة الكفّار المتمثلة في الوقوف أمام الغار والقول بعدم وجود إنسان فيه. وهذا خبر ثابت من وجهة نظر الشاعر. لكن الطريف في هذا التركيب هو أن الناظم لو أخبر بالجملة الاسمية لورد الكلام المنفي مثبتًا. وفي اثبات الكلام إقرار بعدم وجود النبي ﷺ وأبي بكر في الغار.

الصورة الثانية: الخبر جملة مضارعية منفية:

«عموا وصموا فإعلان البشائر لم — تسمع وبارقة الانذار لم تشم»(243)
«فالصدق في الغار والصديق لم يرما — وهم يقولون مابالغار من أرم»(243)
«وكالصراط وكالميزان معدلة — فالقسط من غيرها في الناس لم يقم»(245)

الجمل الخبرية هي:

— «لم تسمع»
— «لم تشم»
— «لم يرما»
— «لم يقم»

نظام الجمل في هذه الأمثلة: أداة نفي «لم» + فعل مضارع مبني للمعلوم أو مبني لما لم يسم فاعله + فاعل أو نائب فاعل. والرابط بين عناصر الجملة الضمير في الأمثلة كلّها. والبنى السّطحية والعميقة مختلفة من حيث الأضمار والاظهار، فالاضمار في فاعل: (تسمع، وتشم، ويقم)، والاظهار في «يرما». أما الاخبار بهذه الجمل القصيرة فنعتقد أن له ما يبرره، إذ هو أسلوب عربيّ أصيل، متصل بالنثر الشعري (أي النثر الفني) كما هو الشأن في خطبة قس بن ساعدة الشهيرة[1]. ومرد هذا الاختيار أن الجمل القصار أسهل للحفظ، وامتع للقراءة، وألذ في السمع، وأنفذ الى القلب والذوق[2].

2 — النوع المرتبط بالناسخ

له ثلاث صور:

الصورة الأولى: الخبر جملة مضارعية مثبتة:

«وبت ترق الى أن نلت منزلة — من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم»(245)
«لعلّ رحمة ربي حين يقسمها — تأتي على حسب العصيان في القسم»(248)

الجملة «ترق الى أن نلت منزلة» خبر لبات، والرابط فيها الضمير في «ترق»، والأخبار بها دالّ على استمرار الرقي وتجدّده. و«تأتي على حسب العصيان في القسم «خبر لعلّ، والرابط فيها الضمير في تأتي:

وشبيه بهذا ما نجده في هذه الأبيات:

---

(1) د.عبد المالك مرتاض، النص الأدبي من أين؟ والى أين؟ ص 78.
(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

«محضتني النصح لكن لست أسمعه ... ان المحب عن العذال في صمم»(239)
«لو كنت أعلم أني ما أوقره ... كتمت سرا بدالي منه بالكتم»(239)
«فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها ... ان الطعام يقوي شهوة الفهم»(239)
«لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه ... طوبى لمنتشق منه وملتثم»(242)
«فالدّرّ يزداد حسنا وهو منتظم ... وليس ينقص قدرا غير منتظم»(244)
«مازال يلقاهم في كل معترك ... حتى حكو بالقنا لحما على وضم»(246)
«ولن يفوت الغنى منه يدا تربت ... إن الحيا ينبت الازهار في الأكم»(243)

نظام الجملة الخبرية في هذه الأمثلة يتبع الترتيب العادي: الفعل والفاعل ثم المفعول به ثم المتعلّقات إن وجدت. وهذه الجمل أخبار لنواسخ فالأولى والخامسة خبر لليس، والثانية خبر لكان، والثالثة والسابعة خبر لأن، والرابعة خبر للا النافية للجنس، والسادسة خبر لما زال. والرابط فيها الضمير في الأمثلة كلّها أما الاخبار بالفعلية فمثبت متماش مع طبيعة الأخبار نفسها التي تسعى الى تجسيد الحوادث، ونقلها نقلا سريعا مركزا.

الصورة الثانية: الخبر جملة مضارعية منفية:

«من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم ... بأن دينهم اعوج لم يقم»(243)
«وأكدت زهده فيها ضرورته ... إن الضرورة لا تعدو على العصم»(240)

الجملة «لم يقم» خبر لأن. والرابط بين عناصر الجملة المركبة الضمير في «يقم»، والجملة «لا تعدو على العصم» خبر لأن. وقد ارتبط الخبر المنفي فيها بالزمن المطلق، لأن مضمونها حقيقة ثابتة صالحة لكل زمان. أما الرابط فضمير الغيبة (هي).

الصورة الثالثة: الخبر جملة مضارعية مؤكدة:

«أعيا الوري فهم معناه فليس يرى ... للقرب والبعد فيه غير منفحم»(241)
«وذاك حين بلوغ من نبوته ... فليس ينكر فيه حال محتلم»(244)

الجملة «يرى للقرب والبعد فيه غير منفحم» خبر ليس. والرابط فيها الضمير في «فيه» يعود على فهم معناه. و(للقرب، وفيه) متعلقان بيرى. واللام بمعنى «في» أو بمعنى «مع». والجملة «ينكر فيه حال محتلم» خبر ليس.

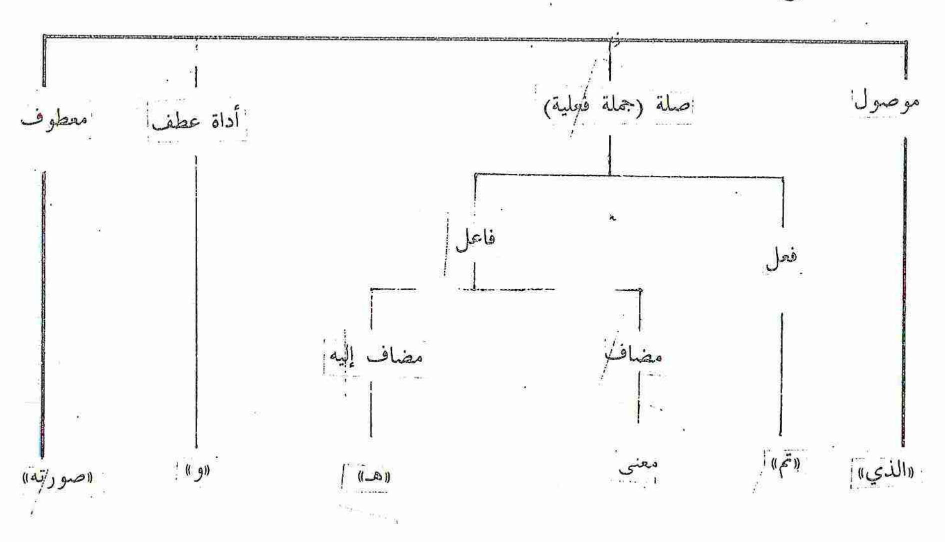
والرابط فيها الضمير في «فيه» يعود على حين بلوغ. أما الاخبار بالجملتين فمؤكد لا يدع مجالا للشك.

النمط الرابع (الخبر جملة موصولوية(*))

له صورة واحدة: اسم موصول «الذي» + صلة ذات فعل ماض لازم + فاعل + أداة عطف + معطوف:

«فهو الذي تم معناه وصورته ... ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم(241)

بنية السطح والعمق



الجملة الموصولية «الذي تم معناه وصورته» خبر لمبتدأ «هو»، والرابط فيها الضمير في: «معناه» يعود على «هو» (أي الرسول ﷺ. أما البنيتان: السطحية والعميقة فمتفقتان، لأنهما تقاطعتا. وهذا التقاطع يقلل من شأن تعدد القوالب اللغوية أمام الناظم للتعبير عن هذه الفكرة. وأما الاخبار بالجملة الموصولية فمتعلق بكلام سابق، لأن الشاعر لما ذكر محمد ﷺ عدد صفاته ثم أتى بالجملة الموصولية

(1) حول أسرار استخدام الموصول «الذي» انظر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص 154 — 155.

فمتعلق بكلام سابق، لأن الشاعر لما ذكر محمد ﷺ عددصفاته ثم أتى بالجملة الموصولية ليفصّل ما ذكر وما كان للسامع به علم. وذلك سر استعمال الفاء في أوّل البيت.

النمط الخامس: (الخبر جملة شرطية)

له صورة واحدة: أداة شرط «ما» + عبارة الشرط/فعلها ماض + عبارة الجواب/فعلها مضارع + أداة عطف + معطوف:

«فاصرف هواها وحاذر أن توليه إن الهوى ما تولى يصم أو يصم»(239)

الجملة «ما تولى يصم أو يصم» خبر. لأن، والرابط فيها ضمير الغيبة في: «تولى» يعود على الهوى.

خصائص الجملة الخبرية

1 — السمة الغالبة على الجملة الخبرية — في البردة — الاخبار بالفعل، لأن الموضوعات المعبّر عنها تتطلب سرعة في الوصف.

2 — الوسائل الأسلوبية التي اعتمدها الناظم في عملية الاخبار: الاثبات والتوكيد والنفي. وهي منبّهات تجدد النشاط وتشد المتقبل اليها.

3 — الرابط النحوي الذي حقق العضوية واللحمة بين عناصر الجملة المركبة الضمير. وهذا يوافق آراء النحاة(1).

4 — السمة الغالبة على الجملة الخبرية الاثبات، وهي ظاهرة أسلوبية ارتبطت بأفعال دالّة على التجدد والنمو.

5 — الجملة الخبرية متنوعة مبنى ومعنى. والجدول يوضح ذلك.

أنواع الجمل الخبرية	عدد الجمل
جملة اسمية	01
جملة ماضوية	05
جملة مضارعية	25
جملة موصولية	01
جملة شرطية	01

(1) انظر ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص، ص 38 — 02، والسيوطي همع الهوامع، ج 2، ص 15 وما بعدها.

ثالثا — جملة المفعول به

وردت جملة المفعول به متنوّعة، وقد توزعت حسب أنماط وصور.

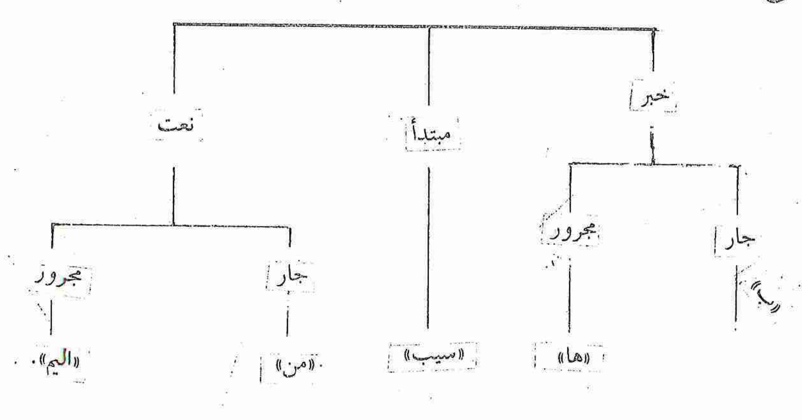
النمط الأول: المفعول به جملة اسمية

له ثلاث صور:

الصورة الأولى: جملة اسمية مثبتة: خبر مقدم (جار ومجرور) + مؤخر (نكرة) + جار ومجرور:

«بعارض جاد أو خلت الطاح بها سيب من اليم أو سيل من العرم»(244)

بنية السطح:



بنية العمق:

مبتدأ

خبر

نعت

جار

مجرور

جار

مجرور

«سيب»

«ب»

«ها»

«من»

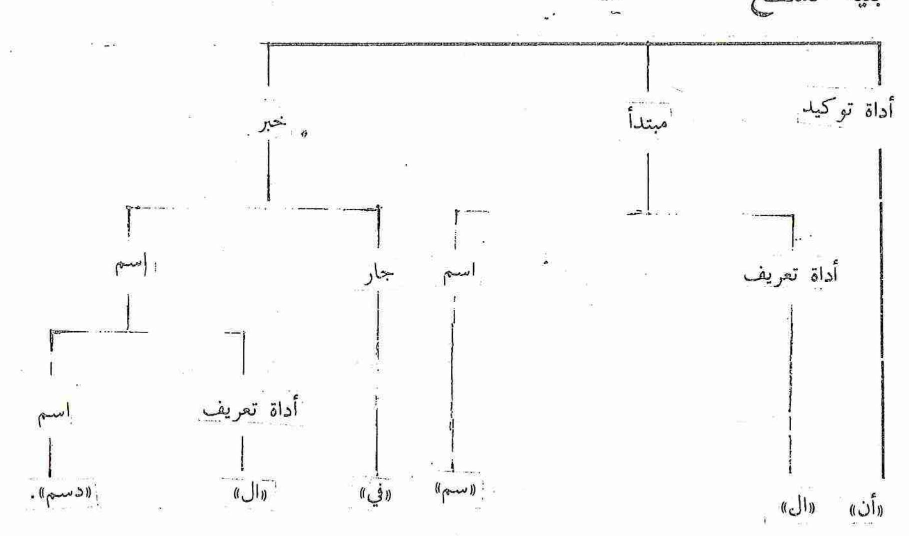
«اليم»

البنيتان: السّطحية والعميقة مختلفتان من حيث التقديم والتأخير بين عناصر الجملة. والجملة «بها سيب من اليم» مفعول ثان لخلق، والجار والمجرور «من اليم» نعت لسيب.

الصورة الثانية: جملة اسمية مؤكدة: أداة توكيد «أن» + مبتدأ (معروف بال) + خبر (جار ومجرور):

«كم حسنت لذة للمــــرء قاتلــــة   من حيث لم يدر أن السم في الدسم»(240)

بنية السطح



الجملة «أن السم في الدسم» «مفعول به للفاعل «يدر» أوضحت مضمون الجملة المركبة المتمثل في عدم العلم بالسّم المدسوس في الدسَم وشبيه بهذا ما نجده في قول الناظم:

«لــو كـنت أعلم أني مــا أقــوره   كـتـمـت سرا بــدالي بالــكتم»(239)

عبارة «أني أوقره» مفعول به لأعلم، وهي جملة اسمية مركبة مؤكدة، أوضحت مضمون الشرط.

الصورة الثالثة: جملة اسمية منفية مؤكدة: أداة نفي «ما» + خبر مقدم (جار ومجرور) + حرف جر + مبتدأ (نكرة):

«فالصدق في الغار والصديق لم يرما   وهم يقولون ما بالغار من أرم»(243)

الجملة «ما بالغار من أرم «مفعول به للفعل يقول، وهي منفية مؤكدة، لأنها صدّرت بأداة نفي، وتقدم فيها الخبر على المبتدأ. أما حرف الجر «من» فزائد للتأكيد

النمط الثاني: المفعول به جملة مضارعية منفية: أداة نفي «لم + فعل مضارع + فاعل (مضمر في البنية السّطحية):

«ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على   خير البرية لم تنسج ولم تحم»(243)

الجملتان: «لم تنسج» و «لم تحم» مفعولان ثانيان لظن، والبنيتان: السّطحية والعميقة مختلفتان من حيث الاضمار والاظهار. أما الاضمار ففي فاعلي: «تنسج، وتحم». وأما الاظهار ففي التقدير المتمثل في العنكبوت والحمام (أي ظنوا الحمام لم تحم على خير البرية «وظنوا العنكبوت لم تنسج عليه. وتقديم الجار والمجرور «على خير البرية» — في البيت — للاهتمام والتوكيد.

النمط الثالث: المفعول به جملة أمر:

«فما لعنيك إن قلت اكففا همتا   وما لقلبك إن قلت استفق يهم»(233)

«أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به   وما استقمت فما قولي لك استقم»(240)

جمل المفاعيل («اكففا»، و«استفق»، و«استقم»)، الأولى والثانية لقال والثالثة للمصدر «قولي»، وهي جملة محوّلة عن الفعلية، مقدّرة في البنية العميقة ب (أقول).

النمط الرابع: المفعول به جملة موصولية: (موصول «ما» + صلة ذات فعل ماض + جار ومجرور) × 2.

«وانسب الى ذاته ما شئت من شرف   وانسب الى قدره ما شئت من عظم»(241)

الجملتان الموصوليتان: «ماشئت من شرف»، و«من عظم» مفعولان للفعل «أنسب». أما الجاران والمجروران: (من شرف، ومن عظم» فللبيان. وشبيه بهذا ما نجده في قول الناظم:

«دع ما أدعته النصارى في نبيهم وأحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم»(241)

«إذ قلداني ما تخشى عواقبه كأنني بهما هدي من النعم»(247)

النمط الخامس: المفعول به جملة ندائية: أداة نداء «يا» منادى مخصص بالاضافة) + جواب النداء (جملة مختزنة في البنية السّطحية):

«إن لم يكن في معادي آخذا بيدي فضلا وإلا فقل يازلة القدم»(243)

الجملة الندائية «يازلة القدم» مفعول به للفعل قل. وقد أوضحت مضمون النداء المتمثل في تحقق الأمر، وتقرره.

خصائص جملة الفعول به

1 — السمة الغالبة على الجملة المصولة المفعولية اعتمادها على الموصول «ما»

2 — الجملة المفعولية متنوّعة، فهي اسمية أو فعلية، أو موصولية، أو ندائية، وهي مفضية الى تبيين المقصود، وتوضيح الدلالة من ذلك الشرط، والتعليل، والاخبار، والاستفهام، والأمر.

رابعا — جملة الحال(*)

تمثل هذا التركيب في الأنماط التالية:

النمط الأوّل: واو الحال + جملة اسمية مثبتة

«إني اتهمت نصيح الشيب في عذل والشيب أبعد في نصح عن التهم»(239)

---

(1) انظر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص 156 وما بعدها، وابن يعيش، شرح المفصل، ج 2، ص 65 وما بعدها، وابن هشام، مغنى اللبيب، ج 2، ص 410 411، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج 2، ص 230 — 235.

صاحب الحال | واوا الحال | جملة اسمية
مبتدأ | خبر | المتعلقات
«الشيب» | «واول الحال» والشيب | أبعد «في نصح عن التهم»

العناصر النحوية المحذوفة في البنية السّطحية البنية السّطحية هي: (من كل شيء» في قوله: «والشيب أبعد...»، والمضاف اليه في قوله: «نصح»، والتقدير في البنية العميقة» والشيب أبعد من كل شيء عن التهم في نصحه «والمجرورات (في نصح، وعن التهم) متعقلة بأبعد، والتعبير بالجملة الحالية» والشيب أبعد في نصح عن التهم «قد أثبت الناظم فيها هيئة الاتهام ثم أراد زايدة في المعنى والاخبار عن اتهام الشيب، فاستأنف خبرا، وابتدأ إثباتا ثانيا لبعد الشيب في النصح عن التهم، ولما كان المعنى على استئناف الاثبات احتيج الى ما يربط الجملة الثانية بالأولى فجيء بالواو.

وشبيه بهذا التركيب الأمثلة التي نجدها في الأبيات التالية:

«كأنه وهو فرد من جلالته في عسكر حين تلقاه وفي حشم»(2242)

«وبات إيواء كسرى وهو منصدع كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم»(242)

«الدّرّ يزداد حسنا وهو منتظم وليس ينقص قدرا غير منتظم»(244)

«لم تقترن بزمان وهي تخبرنا عن المعاد وعن عاد ومن إرم»(244)

«لا تعجبن لحسود راح ينكرها تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم»(245)

الجدول الآتي يبيّن الجملة الحالية وصاحب الحال

الجملة الحالية	صاحب الحال
وهو فرد من جلالته في عسكر حين تلقاه وفي حشم وهي	الهاء في تلقاء لا في كأنه
تخبرنا عن المعاد وعن عاد وعن إرم	فاعل تقترن
وهو منصدع	إيوان كسرى
وهو منتظم	فاعل يزداد
وهو عين الحاذق الفهم	فاعل ينكر

الجملة «وهو فرد من جلالته في عسكر حين تلقاه وفي مشم» حال وعبارة «من جلالته» مقدّرة في البنية العميقة بـ (من أجل جلالته) وهي تعليل للتشبيه المستفاد من كأن. وتقدير التركيب في البنية العميقة (كأنه حين تلقاه وهو فرد في عسكر وفي حشم من جلالته). أما التعبير بالجملة الحالية فلتوسيع الدّلالة وتكثيف عملية الاخبار ذلك أن الرسول ﷺ له هيبة ووقار حين تلقاه في عسكر وفي حشم، وهو كذلك أيضا حين تلقاه وهو منفرد. فنزّل الناظم بنية الحال منزلة الاستئناف الخبري وأحدث إثباتا ثانيا، ولما آحتيج الى رابط يضم عناصر الجملة المركبة جيء بالواو. ويتبع الناظم في الأمثلة الأخرى الطريقة نفسها في الاثبات والاخبار حيث يبتدىء إثباتا ثم يعضده بثان.

النمط الثاني — واو الحال + جملة اسمية مؤكدة: واو الحال + مبتدأ (ضمير) «هي» + جار ومجرور + خبر:

«وراعها وهي في الأعمال سائمة وإن هي استحلت المرعى فلا تسم»(240)

الجملة «وهي في الأعمال سائمة» حال، وصاحبه الهاء في «راعها» تعود على النفس. وقد أوضحت حالة النفس، وارتبطت بالأمر ودلالته. والرابط فيها الواو.

ونجد مثل هذا التركيب في قوله:

«وما حوى الغار من خير ومن كرم وكل طرف من الكفّار عنه عمي»(243)

النمط الثالث — الحال جملة ماضوية مثبتة(*):

له ثلاث صور:

الصورة الأولى — فعل ماض + فاعل مضمر في البنية السّطحية + المعلقات.

«أحلّ أمته في حرز ملته كالليث حلّ مع الأشبال في أجم»(247)

المجرورات: «مع الأشبال» متعلق بحل، و «في أجم» حال من الأشبال أما الجملة « حلّ مع الأشبال في أجم» فحال وصاحبه الليث، والرابط فيها الضمير في «حلّ» يعود على الليث. وقد بيّنت الجملة أن حال الرسول ﷺ مع أمته كحال الأسد مع الأشبال في الأجم، وهي صورة محسوس لمعنويّ.

الصورة الثانية — فعل ماض بعد إلا + مفعول به + جار ومجرور + متضايفان:

«ولا التمست غنى الدارين من يده إلا استلمت الندى من خير مستلم»(243)

جملة «استلمت الندى من خير مستلم «حال من فاعل» «التمست». والرابط الضمير في الفعل: «استلمت». أما الجملة الحالية في عمومها، فتوضح هيئة صاحب الحال الذي لا يرد له طلب من الرسول ﷺ.

الصورة الثالثة(**) — واو الحال وفعل ماض بعد إلا + فاعل + مفعول به + جار ومجرور + نعت (جملة مضارعية منفية).

«ما سامني الدّهر ضيما واستجرت به إلا ونلت جوار منه لم يضم»(243)

(*) لم يجز بعض النحاة وقوع الجملة الماضوية حالا، وأجازها البعض أنظر أبا البركات، الانصاف في مسائل الخلاف، ج 1، ص 152—158. وابن يعيش، شرح المفصل، ج 2، ص 68.

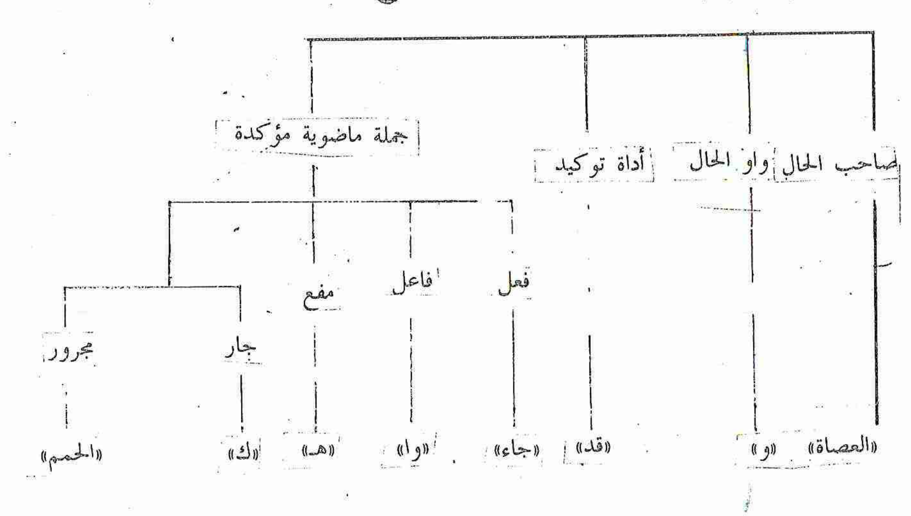
(**) منع بعض النحاة اقتران الماضي الواقع حالا بالواو بعد إلا، أنظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج 2، ص 232.

جملة «ونلت جوارا منه لم يضم» حال من الضمير في «استجرت». أما الجملة الحالية من حيث اندراجها في هذا التركيب فقد تنزلت في سياق ضم تقابلا بين دلالتي الجملتين: الأولى مرتبطة بظلم الدّهر أو الناس والثانية مرتبطة بعدل ورعاية الرسول ﷺ. فاكتسبت معنى المقابلة. والواو للتوكيد الربط(1)، لأن التركيب يصح بدونها، وهو الأصل. إنما أراد الناظم باستعمالها إبراز المدة التي لم تطل بين الضيم والاستجارة،، فكأنهما في وقت واحد(2).

النمط الرابع ــ الحال جملة ماضوية مؤكدة(3): أداة توكيد «قد» + فعل ماض + فاعل + مفعول به + جار ومجرور.

«كـأنها الحوض تبـيض الوجـو بـه من العصاة وقد جاءوه كالحمم»(245)

بنية السطح



(1) الواو في هذا المثل تفيد الربط، وهي عند الزمخشري تؤكد لصوق الصفة بالموصوف، لأن الجملة عنده مصدرة بالواو. أنظر تفسيره الآية «وما هلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم»، الكشاف، ج 2، ص 387.

(2) أنظر السكاكي، مفتاح العلوم، ص 132.

(3) اختلف النحاة في تحديد موقع الجملة الماضوية الواقعة حالا، فمنهم من لم يجزها الا ممقترنة بقد، لأن هذا الحرف يقربها من الحال. ومنهم من أجازها بقد وبدونها. أنظر أبا البركات، الانصاف. في مسائل الخلاف، ج1، ص 252. وابن يعيش، شرح المفصل، ج 2، ص 66ــ67.

جملة «وقد جاءوه كالحمم» حال من العصاة، والرابط فيها الواو والضمير العائد على العصاة في «جاءوه». غير أن الواو في مثل هذا التركيب يجوز الاتيان بها أو تركها، لأن قد تقرب الماضي من الحال وتلحقه بحكمة(1). والجار والمجرور «كالحمم» في موضع حال. أما الجملة الحالية فدالّة على معنى المقابلة، لأن سواد الوجوه يقابله بياضها. والمراد أن مسود الوجه من العصاة يبيض وجهه بشفاعة الآيات القرآنية يوم القيامة.

النمط الخامس ــ الحال جملة مضارعية مثبتة:

«جاءت لدعوته الأشجار ساجدة تمشي إليه على ساق بلا قدم»(245)

الجملة «تمشي إليه على ساق بلا قدم» حال من الفعل «تمشي»، والرابط الضمير نفسه. و «إليه، وعلى ساق» متعلق بتمشي، و «بلا قدم» في موضع نعت لساق. وفي الجملة الحالية أثبت الناظم أن المجيء لطلب الرسول ﷺ فيه مشيّ، فربط بين المعنيين، وجعل الكلام خبرا واحدا، لأن قوله: «تمشي إليه على ساق بلا قدم» بمنزلة جاءت الأشجار الى الرسول ﷺ ساجدة ماشيه(2).

وشبيه بهذا ما نجده في الأبيات الآتية:

«كـأنها الحوض تبـيض الوجـوه بـه من العصاة وقد جاءوه كالحمم»(245)

«لا تعجبن لحسود راح(3) ينكرها تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم»(245)

النمط السادس ــ الحال جملة مضارعية منفية: واو الحال + أداة نفي + فعل مضارع + فاعل + مفعول + أداة ظرفية مصدرية «ما» + صلة ذات جملة اسمية منسوخة + متضايفان + نعت:

«تمضي الليـالي ولا يـدرون عـدتها ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم»(246)

الجملة «ولا يدرون عدتها ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم» حال، وهي خالية من عائد على صاحب الحال، دالّة على الزمن. أما عن اقتران المضارع

(1) أنظر ابن يعيش، شرح المفصل، ج 2، ص 67.

(2) حول معاني الجملة المضارعية الحالية، أنظر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص 164ــ165.

(3) نعد «راح» بمعنى ذهب، وليس بمعنى صار. كذا قال بعض الشراح.

بالنافي فيقول ابن يعيش: «واعلم أن الفعل الماضي إذا اقترن به قد والفعل المضارع إذا دخل عليه ناف ووقع كل واحد منهما حالاً كنت مخيرا في الاتيان بواو الحال وتركها[1]. غير أن اختيار الواو هنا أحسن، لأنه رابط ضم الجملة الأولى الى الثانية، وبدونه يحس القارىء بتفكك عناصر الجملة المركبة.

خصائص الجملة الحالية:

الجملة الحالية متنوعة مبنًى ومعنًى.
والجدول يوضح ذلك[2]

أنواع الجمل الحالية	الإثبات	التوكيد	النفي	بالواو	بدون الواو	بالواو بعد إلا	بدون الواو وبعد إلا	بقد	بدون قد
جملة اسمية	06	—	—	06	—	—	—	—	—
جملة اسمية	—	02	—	02	—	—	—	—	—
جملة ماضوية	01	—	—	01	—	—	—	—	01
جملة ماضوية	01	—	—	—	01	—	—	01	01
جملة ماضوية	01	—	—	—	—	—	01	—	01
جملة ماضوية	—	01	—	01	—	—	01	—	—
جملة مضارعية	03	—	03	—	—	—	—	—	—
جملة مضارعية	—	—	01	01	—	—	—	—	—

1 ــ السمة الغالبة على الجملة الحالية ورودها جملة اسمية مقترنة بالواو، وهذا يوافق آراء النحاة، ويوضح ميل الشاعر إلى استخدام تراكيب ذات صفات القرار والثبوت.

(1) انظر شرح المفصل، ج 2، ص 67.
(2) الأعداد توضح نوع الجملة ونسبة شيوعها.

2 ــ الجملة الحالية من حيث الرابط أنواع: النوع الأول ــ وهي السمة الغالبة في البردة ــ اعتماده على الواو، والنوع الثاني اعتماده على الواو والضمير معا، والأخير خال من الرابط، وربما كان الناظم في هذا التركيب يهدف إلى ربط الجملتين لجعل الكلام خبرا واحدا.

3 ــ السمة الغالبة على الجملة الحالية في البردة ــ ورود الحال مرتبطا بصاحبه بيد أننا لم نلحظ ذلك في مثالين: «وكل طرف من الكفار عنه عمي[1]»، و «ولا يدرون عدتها ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم[2]»، وربما كان هذا التركيب من الجمل التي لها دلالات عامة، لا تخص عنصرا من عناصر الجملة المركبة، بل تشملها جميعا.

4 ــ الجملة الحالية الواردة فعلا مضارعا ــ في الغالب ــ عارية من الواو.

5 ــ من دلالات الجملة الحالية في البردة ــ إلى جانب معناها الأصلي ــ المقابلة والزمن.

من أسرار العربية في البردة أن وردت الجملة الحالية بأنواعها الثلاثة: الأسمية، والماضوية، والمضارعية، كما وردت بالواو وبدونه، وبالواو بعد إلا وبدونه، وبقد وبدونها. ووردت أيضا بالواو مع المضارع المقترن بالنافي.

خامسا ــ جملة النعت(*):

توزّع هذا التريب حسب الأنماط التالية:

النمط الأول ــ النعت جملة ماضوية مثبتة:

«بعارض جاد أو خلت البطاح بها   سيب من اليم أو سيل من العرم» (244)

«أمن تذكر جيران بذي سلم   مزجت دمعا جرى من مقلة بدم» (233)

«أكرم بخلق نبيّ زانه خلق   بالحسن مشتمل بالبشر متسم» (242)

(1) انظر ص 232.
(2) انظر ص 236.
(*) أنظر ابن يعيش، شرح المفصل، ج 3، ص 52 وما بعدها. ونشير الى أن الباحث يستخدم الصفة والنعت لغرض واحد.

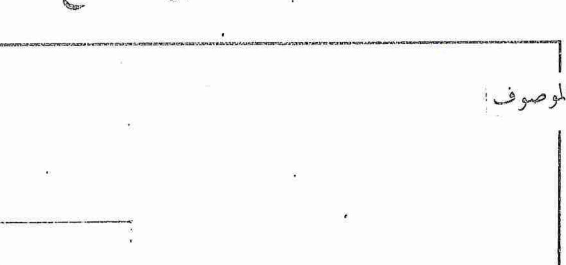
في البيت الأوّل الجملة «جاد» نعت لعارض. والمنعوت موصوف بصفات ليست من ذاته، لأن الجود من صفات الانسان، فالاستعمال من باب المجاز.

وفي البيت الثاني الجملة «جرى من مقلة بدم» نعت لدمع. وقد وصف المنعوت بما يقتضيه الوصف. والجار والمجرور «من مقلة» متعلق بيجري، وهو للتأكيد، لأن الدمع لا يجري من غير المقلة. فالقول إذن بأن الجملة الوصفية حشو»، فيه نظر للأسباب الآتية:

أ ـــ تفيد الجملة التوكيد.
ب ـــ هي رمز حسي لمعنوي، يوافق مذهب الناظم.
ج ـــ الانسجام الصوتي بينها وبين كلمة جيران.

وفي البيت الأخير الجملة «زانة خلق» نعت لنبي. وهي عنصر متمم، به اتضحت عملية الاخبار التي تضمنتها صيغة التعجب «اكرم بخلق»، لأن لفظها أمر، ومعناها خبر. فالرسول ﷺ إذن قد حسّنه خلق فتخصص بهذه الصفة الحميدة، وتميز عن غيره من المسميات بها. وبناء عليه فالمنعوت موصوف بما اختص به. أما البنيتان: السّطحية والعميقة فمتختلفتان من حيث التقديم والتأخير بين عاصر الجملة. وهذا مبناهما.

بنية السطح



بنية العمق

الموصوف
الصفة
مفع
فاعل
فعل
(ـ)
«الرسول»
«خلق»
(ـ)

وشبيه بهذا ما نجده في الأبيات الآتية:

«ولا أعددت من الفعل الجميل قرى ضيف ألم برأسي غير محتشم»(239)
«لو كنت أعلم أني ما أوقره كتمت سرا بدالي منه بالكتم»(239)
«لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه طوبي لمنتشق منه وملتثم»(242)
«يوم تفرس فيه الفرس أنهم قد أنذروا بحلول البؤس والنقم»(242)
«لا تعجبن لحسود راح ينكرها تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم»(245)
«راعت قلوب العدا أنباء بعثته كنبأة أجفلت غفلا من الغنم»(246)
«ودوا الفرار فكاد ويغبطون به أشلاء شالت مع العقبان والرخم»(246)
«كأنما الدين ضيف حل ساحتهم بكل قرم إلى لحم العدا قرم»/(246)
«خدمته بمديح أستقيل به ذنوب عمر مضى في الشعر والخدم»(247)
«ولن يفوت الغنى منه يدا تربت إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم»(248)

الجدول الآتي يبيّن الصفة والموصوف

الموصوف	الصفة
ضيف	ألمّ براسي غير محتشم
سرا	بدالي منه بالكتم
تربا	ضم أعظمه
يوم	تفرس فيه الفرس أنهم قد أنذروا بحلول البؤس والنقم
حسود	راح ينكرها تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم
بناة	أجفلت غفلا من الغنم
أشلاء	شالت مع العقبان والرخم
ضيف	حلّ ساحتهم بكل قرم إلى لحم العدا قرم
عمر	مضى في الشعر والخدم
يدا	تربت

النمط الثاني ــ النعت جملة ماضوية مؤكدة:

«واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت من المحارم وآلزم حمية النــد»(247)

بنية السطح

الموصوف — الصفة (جملة فعلية مؤكدة)

أداة توكيد — فعل — فاعل — جا.م

«عين» — «قد» — «امتلأت» — ? — «من المحارم»

جملة «قد امتلأت من المحارم» صفة لعين، وهي جملة ماضوية مؤكدة خصصت العين بامتلائها من المحارم، وميزتها عن غيرها من المسميات بهذه الصفة التي استعمل فيها المحسوس للمعنوي.

النمط الثالث ــ النعت جملة مضارعية مثبتة:

«يجر بحر خميس فـــــوق سابحة يرمي بموج من الأبطال ملتطم»(246)

«شاكي السلاح لهم سيمى تميزهــم والورد يمتاز بالسيمى عن السلم»(244)

جملة «يرمي بموج من الأبطال ملتطم» صفة لخميس، وهي جملة مضارعية مثبتة، تفيد المبالغة والتعظيم في تصوير كثرة الجيش المتوج. ومن نكت الابداع أن الفعل «يرمي» مرتبط بالحركة والتجدد والاستمرار، وهي صفات هذا الجيش العرمرم، فانسجم الوصف مع الدّلالة، وصارت العلاقة بين الدوال والمدلولات أوضح وأمتن(1). أما العناصر الأخرى فهي: «بموج» متعلق بيرمي، و «من الأبطال» نعت لموج، و «ملتطم» نعت ثان لموج.

وجملة تميزهم صفة السيمى تؤكد موصوفها لما بينهما من قرابة في الدلالة.

النمط الرابع ــ النعت جملة مضارعية منفية:

«ما سامني الدّهر ضيما واستجرت به إلا ونلت جوارا منه لم يضم»(243)

بنية السطح

الموصوف — الصفة (جملة مضارعية منفية)

أداة نفي — فعل — فاعل

«جوارا» — «لم» — «يضم» — ?

(1) أنظر الصوت المكرر، الفصل الأوّل، ص 44. وراجع فكرة العلاقة بين الدال والمدلول من عهد اليونان إلى القرن العشرين OSWALD Ducrat / TODOROX Dictionnaire encyopedique (Siqne) وحنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ص 22ــ29.

جملة «لم يضم» نعت لـ «جوارا». وقد تكون حالا، لأن «منه» نعت لجوار، فتخصصت النكرة بالوصف واقتربت من المعرفة(1).

«فيا خسارة نفس في تجارتها لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم»(247)

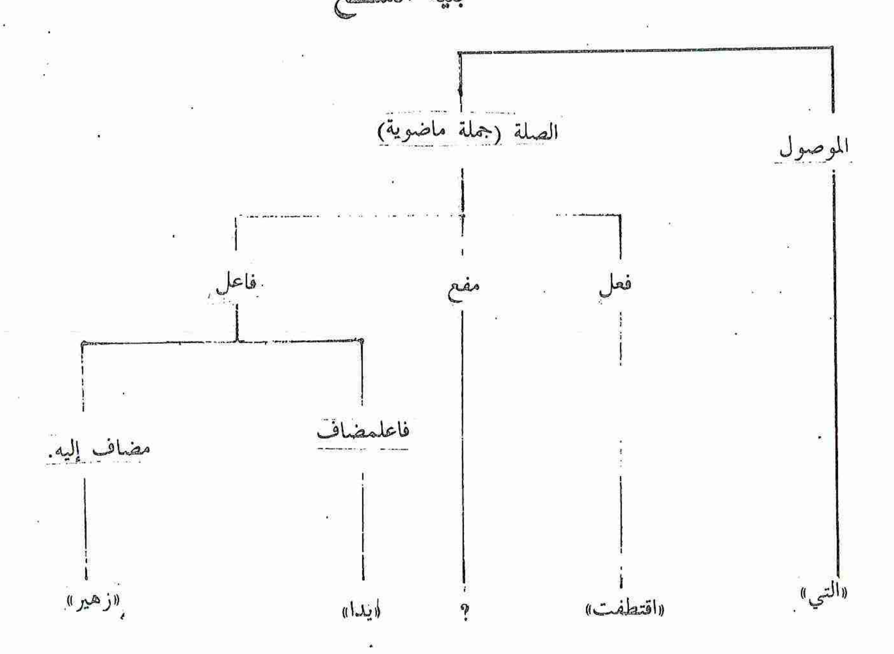
النمط الخامس — النعت جملة موصولية

له صورتان:

الصورة الأولى — موصول «التي» + صلة ذات فعل ماض + مفعول به محذوف في البنية السطحية + فاعل جار + مجرور (جملة موصولية):

«ولم أدر زهرة الدنيا التي اقتطفت يدا زهير بما أثنى على هرم»(248)

بنية السطح



(1) انظر ابن هشام، مغني اللبيب، ج 2، ص 429.

بنية العمق

الموصول
الصلة (جملة ماضوية)
جار.م
فعل
فاعل
مفعول به
مضاف
مضاف إليه مضاف
مضاف إليه
(..)
(..) «يدا»
زهير زهرة
«الدنيا» «بما أثنى على هر
(...) يدا «زهير»

الجملة الموصولية «التي اقتطفت يدا زهير بما أثنى علم هرم» صفة لـ «زهرة الدنيا والمفعول به محذوف في البنية السطحية، مقدر في البنية العميقة بالهاء العائدة على زهرة الدنيا في الفعل (اقتطفتها). والبنيتان: السطحية والعميقة مختلفتان من حيث الحذف والاضمار والاظهار، والتقديم والتأخير بين عناصر الجملة. أما الوصف بالجملة الموصولية فلملاءة القصة التي كان للسامع بها علم(1)، وهي قصة الشاعر الجاهلي زهير ابن سلمى الذي أثنى على هرم وهو ابن سنان بن حيان، أحد ملوك العرب(2).

الصورة الثانية — موصول «الذي» + صلة ذات فعل مضارع مبني لما لم يسم فاعله + نائب فاعل + متضايفان + جار ومجرور + متضايفان + جار ومجرور + نعت:

(1) انظر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص 155.
(2) أنظر حاشية الباجوري على متن البردة، ص 76.

«هو الحبيب الذي ترجى شفاعتــه لكل هول من الأهوال مقتحم»(241)

الجملة الموصولية «الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم» صفة للحبيب، وهو الرسول ﷺ. أما الوصف بها، فلأن المقام يقتضي ذلك إذ الحديث عن النبي ﷺ من الأمور التي للسامع بها سابق علم[1].

خصائص جملة النعت:

1 ــ الجملة الموصولية الوصفية مرتبطة بأغراض، للسامع بها سابق علم، وهذا يوافق آراء بعض النحاة[2].

3 ــ صفات المنعوت منها المختصة به، ومنها المجازية.

4 ــ الجملة الوصفية يغلب عليها الترتيب العادي: الفعل والفاعل ثم المفعول به.

5 ــ اعتمد الوصف ضربين من الجمل: الأوّل جمل موصولية ارتبطت بالمعارف، والثاني جملة فعلية ارتبطت بالنكرات، فخصصتها.

6 ــ السمة الغالبة على الجملة الوصفية الاثبات. والجدول الآتي يوضح ذلك.

أنواع الجمل	الاثبات	التوكيد	النفي
ماضوية	13	01	
مضارعية	02		02

يبين الجدول ورود الاثبات في نحو ثلاث عشرة جملة. فإذا ما علمنا أن المحور الأساسي الذي دارت حوله معظم النعوت هو الرسول ﷺ اتضح لنا أن هذه الوسيلة الأسلوبية «تفضيلات»[3] أرادها الناظم لتثبيت محتوى رسالته.

(1) المصدر السابق، ص 155.
(2) المصدر نفسه، ص 254 وما بعدها.
(3) يختار الأديب عددا من الكلمات والجمل دون غيرها، يؤثرها، ويجدها تعبّر عن نفسه، أنظر جورج مونان، مفاتيح الألسنية، ترجمة الطيب البكوش، ص 134، وعدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، ص 141.

سادسا ــ جملة التعليل(*):

الجملة التعليلية عنصر من عناصر الجملة المركبة، تعلل مضمونها فيتم الكلام بها ويتضح ومن أدواتها: «اللام»، و «الفاء»، و «إذ»، و «كي». وهي ــ في البردة ــ نوعان: بالأداة، وبدونها.

1 ــ الجملة التعليلية المقترنة بالأداة.

توزّع هذا النوع حسب الأنماط التالية:

النمط الأوّل ــ الجملة التعليلية المصدرة «بالفاء».

الصورة الأولى ــ جملة اسمية غير منسوخة:

«ولا تطع منهما خصما ولا حكما فأنت تعرف كيد الخصم والحكم»(240)

عبارة «فأنت تعرف كيد الخصم والحكم» جملة تعليلية تفيد تأكيد الخبر وتحقيقه[1]، لأن هذا البيت والذي سبقه فيهما إنكار منكر، فاحتاج الكلام الى هذه الوسيلة وبها صار معللا.

وشبيه بهذا ما نجده في قوله:

واخش الدسائس من جوع ومن شبع فرب مخمصة شر من التخم

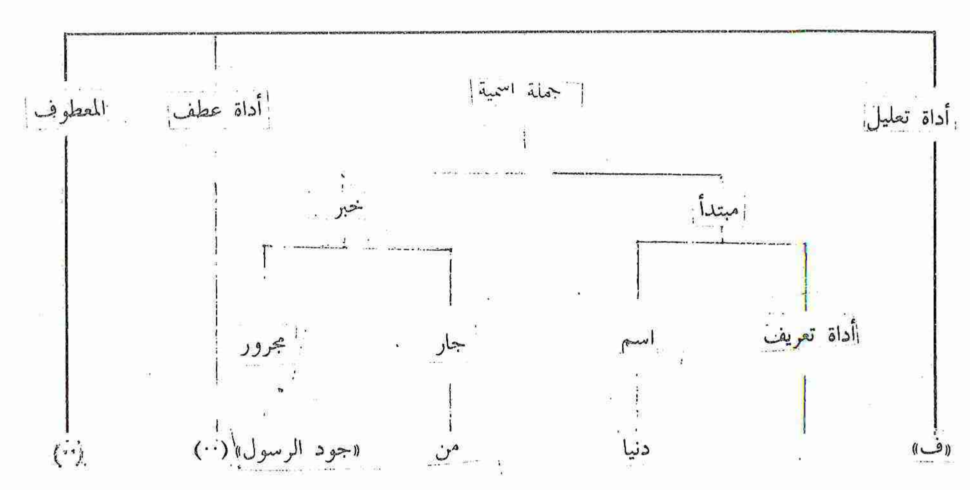
الصورة الثانية ــ جملة اسمية منسوخة.

«فـان مـن جـودك الدنيــا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم»(248)

بنية السلطح

أداة تعليل | أداة توكيد | جملة اسمية | أداة عطف | المعطوف
خبر | مبتدأ
جار | مجرور
مضاف | مضاف إليه | أداة تعريف | اسم
«ف» «إن» «من» «جود» «ك» «ال» «دنيا» «و» ضرتها ومن علومك علم

(*) أنظر ابن فارس، الصاحبي، ص 109 = 110. وابن هشام، مغني اللبيب ج1، ص 162. ومحمد إبراهيم عبادة، الجملة العربية، دراسة لغوية نحوية ص 159.
(1) أنظر وسائل تأكيد الخبر، الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص 102.



الجملة «فان من جودك الدنيا وضرتها / ومن علومك علم اللوح والقلم «علّة لـ «إن آت دنبا فما عهدي بمنتقض / من النبي ولا حبلي بمنصرم» وهي جملة شرطية.

وصل التوكيد في هذا التركيب الى وسيلتين: الأداة «إن»، والتقديم والتأخير. وبه أراد الناظم دفع الانكار وإقرار مضمون الجملة، وتثبيته في نفوس المنكرين. أما البنيتان: السطحية والعميقة فمختلفتان من حيث التقديم والتأخير بين عناصر الجملة ومن حيث وجود الناسخ(1)، وشبيه بهذا ما نجده في قوله:

«فـإن أمّـارتي بـالسوء مـا اتّعـظت من جهلها بنذير الشيب والهرم»(239)

«فإن فضل رسول الله ليس لـه حد فيعرب عنه ناطق بفم»(241)

«فإنـه شمس فضل هـم كـواكبها يظهرن أنوارها للناس في الظلم»(242)

الصورة الثانية ـــ جملة فعلية:

«.... فيعـر عنـه ناطـق بفـم»(241)

---

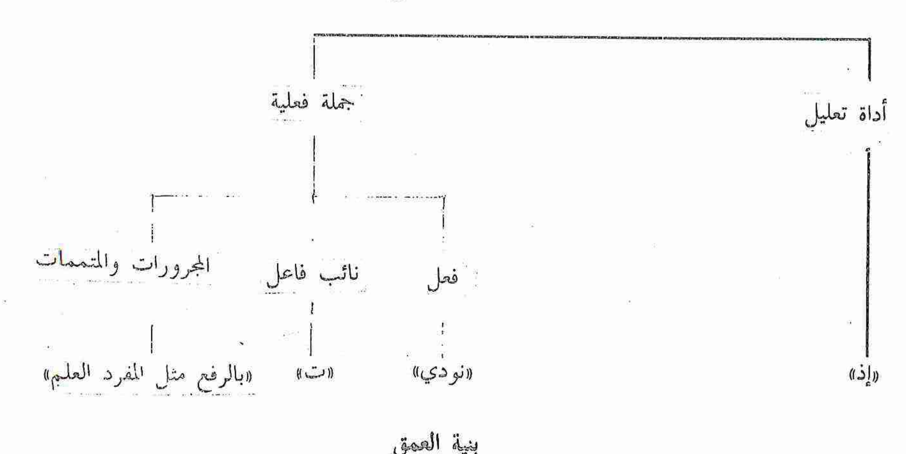
(1) انظر تحويلات الجملة المنسوخة، د. جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الاعجاز ص 120، ود. علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، ص 21 وما بعدها.

الجملة «فيعرب عنه ناطق بفم «علة لعلة سابقة» فإن فضل رسول الله ليس له حد». والمراد به فيفصح عن فضل الرسول ﷺ متكلم. أما قوله بفم بعد «ناطق» فإمّا للتأكيد كقوله تعالى «يطير بجناحيه(1)»، وإما لأن الناظم يطلق النطق على الجنان أيضا.

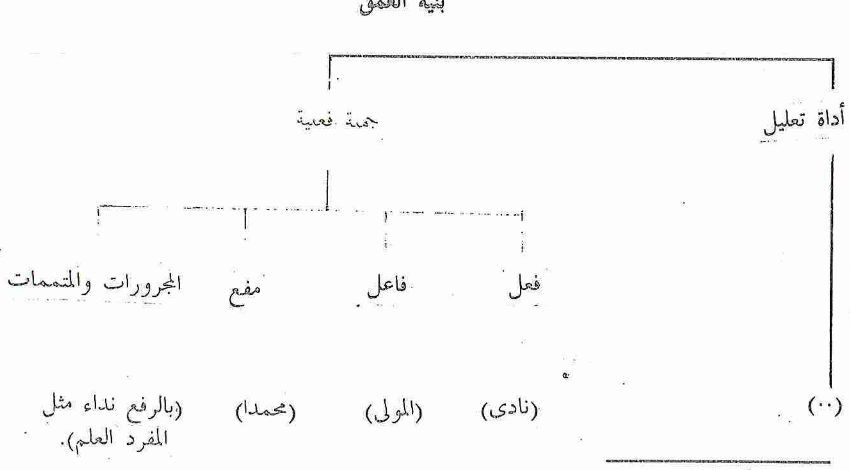
النمط الثاني ـــ الجملة التعليلية المصدرة بالأداة «إذ»(٥):

«خـفـضت كل مقـام بالاضافـة إذ نوديت بالرفع مثل المفرد العلم»(245)

بنية السطح



بنية العمق



---

(1) سورة الأنعام (88).

(٥) انظر الزركشي، البرهان، ج4، ص 207، وابن هشام، مغني اللبيب، ج1، ص 81—82.

الجملة «إذ نوديت بالرفع مثل المفرد العلم» علّة لـ (خفضت كل مقام بالاضافة) وقوله «إذ نوديت...» مقدّر في البنية العميقة بـ (لأنك نوديت يا محمد)، فإذ ضمّت الجملة الأولى الى الثانية حتى كأن الكلام أفرع إفراغا واحدا . «مثل» نعت لمفعول مطلق مقدّر في البنية بـ (نداء). أما البنيتان: السّطحية والعميقة فمختلفتان. فإذا علمنا أن البنية العميقة هي الصورة المثالية للجملة، والبنية السّطحية هي الصورة المحسوسة للجملة(1)، قلنا إن استغلال الكاتب لأنواع بعينها من التحويلات تشكل أسلوبه التركيبيّ، لأنه يكون بمقدوره مع وجود عدد من القوالب المتاحة للتعبير عن بنية عميقة معينة أن يفضل قوالب بعينها على قوالب أخرى(2). والناظم في هذا التركيب قد فضل بنية «إذ نوديت بالرفع...» على بنية «نادى المولى محمدا...» لما في الجملة الأولى من سحر وجمال ولده بناء الفعل لما لم يسم فاعله الذي عمد فيه إلى حذف الفاعل للتعظيم، وللعلم به.

ونجد ما يشبه هذا في قوله:

«دامت لدينا ففاقت كل معجزة   من النبيين إذ جاءت ولم تدم»(244)

«إذ قلد اني ما تخشى عواقبه   كأنني بهما هدي من النعم»(247)

النمط الثالث ـــ الجملة التعليلية المصدرة بالأداة «كي»(*): أداة تعليل «كي» مقترنة بما الزائدة + جملة مضارعية + جار ومجرور + نعت + متضايفان + جار ومجرور + أداة عطف + معطوف + نعت + متضايفان:

«كيما تفوز بوصل أيّ مستتر   عن العيون وسرّ أيّ مكتتم»(245)

جملة «كيما تفوز بوصل أي مستتر / عن العيون وسرّ أي مكتتم» علّة لـ (سريت من حرم ليلا إلى حرم / كما سرى البدر في داج من الظلم، وبت ترقى إلى أن نلت منزلة من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم)، والمراد من هذا التعليل أن الرسول ﷺ فعل ذلك لأجل أن يفوز بكذا وكذا. و (بوصل وعن العيون) متعلقان بتفوز ومستتر، و «أي» نعت لوصل وسر. كل من (مستتر ومكتتم) مضاف إليه:

(1) انظر عبد الحليم راضي، نظرية اللغة في النقد العربيّ، ص 488.
(2) فريمان، عن عبد الحليم، نظرية اللغة، ص 495.
(*) انظر الرّماني، معاني الحروف، ص 99ـــ100. والسيوطي، همع الهوامع، ج4، ص 199ـــ200.

2 ـــ الجملة التعليلية بدون الأداة:

هذا التركيب هو النمط نفسه للجملة التعليلية الخالية من أداة التعليل، لأن بنياتها في الأمثلة كلها متشابهات:

«محضتني النصح لكن لست أسمعه   إن المحب عن العذال في صمم»(239)

«يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت   إن الكبائر في الغفران كاللمم»(248)

«بشرى لنا معشر الاسلام إن لنا   من العناية ركنا غير منهدم»(246)

«والطف بعبدك في الدارين إن له   صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم»(248)

«فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها   إن الطعام يقوي شهوة النهم»(239)

«فاصرف هواها وحاذر أن توليه   إن الهوى ما ولى يصمم أو يصم»(239)

«وأكدت زهده فيها ضرورته   إن الضرورة لا تعدو على العصم»(240)

«لا تنكر الوحي من رؤياه إن له   قلبا إذا نامت العينان لم ينم»(243)

«ولن يفوت الغنى منه يدا تربت   إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم»(248)

الجمل التعليلية في هذه الأبيات:

«إن المحب عن العذال في صمم»
«إن الكبائر في الغفران كاللمم»
«إن لنا من العناية ركنا غير منهدم»
«إن له صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم»
«إن الطعام يقوى شهوة النهم»
«إن الهوى ما تولى يصم أو يصم»
«إن له قلبا إذا نامت العينان لم ينم»
«إن الحيا ينبت الأزهار في الأكم»

هذا الضرب من التركيب قد شكّل ظاهرة أسلوبية متميزة، لأن حذف أداة التعليل، وتكرار عنصر الأسمية، والتوكيد بالأداة «إن» في الأمثلة كلّها قد جعل منه نموذجا أسلوبيا(1) ساهم في إنشاء عنصر الانسجام إلى حد التطابق

(1) انظر فكرة النماذج الأسلوبية، عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، ص 61ـــ101. PIERRE Guirard, la stylistique, pp. 111-115.

التركيبي. ولكن الطريف فيه هو تعانق الانسجام نفسه مع الاختلاف، فالجملة التعليلية متنوعة مبنى ومعنى. والكلام عذب قويّ التأثير والايحاء بارتباط الجمل بما قبلها وائتلافها معه واتحادها به. أما أدوات التعليل فمحذوفة في البنية السّطحية، مقدرة في البنية العميقة بـ (اللام أو الفاء). والحذف في هذا السياق أبلغ، لأنه في أغلب الأحيان يعطي الجملة التعليلية طابع الحكمة، ويصرف الذهن إليها.

خصائص الجملة التعليلية:

تنوعت الجملة التعليلية — في البردة — فجاءت مثبتة، ومؤكدة بوسيلة، ومؤكدة بوسيلتين، وقد مال الناظم الى استعمال الجمل المؤكدة، لأن الكلام — فيما يبدو — مقدر بجواب عن سؤال اقتضته الجملة الأولى وهو سؤال عن علّة. أما سرّ استخدامها فالنفوس تنبعث الى قبول الأحكام المعللة بخلاف غيرها. وأما من حيث وجودها في النص فقد ساهمت في بيان المقصود، وتوضيح المعنى، إذ بها كان الكلام مفهوما، وبإحدى أدواتها أفرغ الاخبار إفراغا واحدا، وصارت الجملتان فكرة واحدة لشيء واحد.

سابعا — جملة الغاية:

الجملة الغائية جملة مركّبة يكون أحد المركبين الاسناديين فيها غاية للآخر. وتظهر بينهما أدوات هي : «حتى» و «أو» و «إلى أن ». وقد أمكن تصنيف ما ورد منها في البردة حسب الأنماط الآتية:

النمط الأوّل — الجملة الغائيه المصدرة بحتى(*):

الصورة الأولى — جملة اسمية منسوخة:

«وبعد ما عاينوا في الأفق من شهب   منقضة وفق ما في الأرض من صنم
«حتى غدا عن طريق الوحي منهزم   من الشياطين يقفوا إثر منهزم»(243)

(*) انظر الرمّاني، كتاب معاني الحروف، ص 119. وابن فارس الصاحبي، ص 150، والسيوطي، همع الهوامع، ج4، ص 164—165.

جملة «يقفوا اثر منهزم» نعت لـ (منهزم). وقد تكون حالا من «منهزم»، لأنه نكرة موصوفة بالجار والمجرور «من الشياطين»، وهي للتوكيد، وجملة «حتى غدا عن طريق الوحي منهزم...» غاية لما قبلها، والأداة «حتى» بمعنى (إلى) دالّة على انتهاء الغاية. والجملة الأصلية في هذا التركيب يمتد حدوثها حتى هروب الشياطين.

ونجد مثل هذا في قوله:

«من كل منتدب لله محتسب   يسطو بمستأصل للكفر مصطلم
حتى غدت ملة الاسلام وهي بهم   من بعد غربتها موصولة الرحم
مكفولة أبدا منهم بخير أب   وخير بعل فلم تيتم ولم تئم»(246)

جملة «حتى غدت ملة الاسلام وهي بهم...» غاية لما قبلها. والمراد أن المنتدب ما زال يسطو بسيف قاطع على أهل الكفر حتى صارت ملّة الاسلام موصولة بعد أن لم تكن كذلك، مكفولة بخير أب، وخير زوج، وهو النبّي ﷺ فلم تئم ولم تيتم. والجملة الأصلية ممتد حدوثها بعد الحد، لأن الغاية مستمرة في الزمن ولفظ «أبدا» يؤكد ذلك.

الصورة الثانية — جملة فعلية : أداة غاية «حتى» + فعل ماض + فاعل + مفعول به + جار ومجرور + نعت + جار ومجرور + نعت (جملة فعلية) + جملة غائية:

«وأحيت السنة الشهباء دعوته   حتى حكت غرة في الأعصر الدّهم
بعارض جاد أو خلت البطاح بها   سيب من اليم أو سيل من العرم»(244)

في هذا التركيب الجار والمجرور «بعارض» متعلق بالفعل «أحيت»، والباء للسببية، و «حتى» دالّة على انتهاء الغاية، أما الجملة «حتى حكت غرة في الأعصر الدهم بعارض جاد...» فغاية لأحيت السنة الشهباء دعرته، إلا أنها غاية مجازية تصل بين المشبه والمشبه به.

نجد مثل هذا التركيب في قوله:

«ما زال يلقاهم في كل معترك   حتى حكموا بالقنا لحما على وضم»(246)

الجملة «حتى حكوا بالقنا لحما على وضم» غاية لـ «مازال يلقاهم في كل معترك» وقوله: «بالقناء» أي بطعن القناءِ على تقدير مضاف في البنية العميقة. والباء للسببية أي بسبب طعنهم بالقنا. و «على وضم» نعت للحم. ويقال للذليل الحقير «لحم على وضم» على طريقة الاستعارة. أما «حتى» فدالّة على انتهاء الغاية، لأن الرسول — في نظر الشاعر — ما زال يقاتل الكفار حتى تركهم قتلى معدّين لأكل السباع والطيور.

الصورة الثالثة — جملة شرطية: أداة غاية «حتى» + أداة شرط + عبارة الشروط / فعلها مضارع + جار ومجرور × 2 + أداة عطف + معطوف + عبارة الجواب / فعلها ماض + جملة تعليلية:

«وأنت تخترقُ السبع الطباق بهم في موكب كنت فيه صاحب العلم
حتى إذا لم تدع شأواً لمستبق من الدنو ولا مرقى لمستنم
خفضت كل مقام بالاضافة إذ نوديت بالرفع مثل المفرد العلم»(245)

الجملة «حتى إذا لم تدع شأوا لمستبق من الدنو ولا مرقى لمستنم خفضت كل مقام بالاضافة...» غاية لـ «وأنت تخترق السبع الطباق بهم...»، «وأنت تخترق السبع الطباق بهم...»، فالاختراق في هذا التركيب يحده أعلى مقامات القرب، لأن «حتى» دالّة على انتهاء الغاية. أما «إذا» فمضمنه معنى الشرط، وهذا ما نرجح، وقد تكون ظرفية زمانية مجردة عن معنى الشرط زادها الناظم للتوكيد، ولضرورة النظم.

النمط الثاني — الجملة الغائية المصدرة بإلى(*): أداة غاية «إلى» + جملة فعلية + جار ومجرور:

«ظلمت سنة من أحياء الظلام إلى أن اشتكت قدماه الضر من ورم»(240)

الجملة «إلى أن اشتكت قدماه الضر من ورم غاية» لـ «أحياء الظلام» والأداة «إلى» دالة على الغاية، لأن الرسول ﷺ استمر إحياؤه للظلام إلى ذلك الحين، فهو إذن غاية في الاحياء.

(*) انظر الرماني، معاني الحروف، ص 115. وابن هشام، مغني اللبيب، ج1، ص 74.

النمط الثالث — الجملة الغائية المصدرة بأو(*): أداة غاية «أو» + جملة فعلية (فعل + فاعل + مفعول به أول + مفعول ثانٍ (جملة اسمية) + أداة عطف + معطوف:

«بعارض جاد أو خلت البطاح بها سيب من اليم أو سيل من العرم»(244)

الجملة «أو خلت البطاح بها سيب من اليم أو سيل من العرم» غاية لـ «بعارض جاد. و «أو» دالة على الغاية، لأن السحاب جاد بمطر غزير حتى خيل سيبا من البحر أو سيلا من العرم. و (من اليم، ومن العرم) الأوّل نعت لسيب، والثاني نعت كذلك.

خصائص الجملة الغائية:

1 — الجملة الغائية المقترنة بحتى متنوعة مبنى ومعنى، فهي اسمية، وفعلية، وشرطية. وهذا التركيب أكثر الأنواع تواترا، لأنه مرتبط بمواقف حربية، وبإحدى آيات الرسول ﷺ.

2 — الجملة الغائية من حيث مضمونها تميل في بعض الأحيان الى استعمال المجاز.

3 — السمة الغالبة على الجملة الغائية التعبير بالفعل، وربما كان ذلك لارتباطها بالحركة والتجدد اللذين تقتيضهما طبيعة المعاني والسياق.

4 — الجملة الأصلية في الجملة الغائية ممتد حدوثها حتى الحد، وبعده — أحيانا — في مواقف كانت تتطلب الاستمرار، في الزمن، مثل :

«من كل منتدب لله محتسب يسطو بمستأصل للكفر مصطلم
حتى غدت ملة الاسلام وهي بهم من بعد غربتها موصولة الرحم
مكفولة أبدا منهم بخير أب وخير بعل فلم تيتم ولم تئم»(1)

5 — السمة الأسلوبية المميزة للجملة الغائية الطول المفرط، وربما كان هذا لتداخل الحوادث، وتنوعها.

(*) انظر ابن هشام، مغنى اللبيب، ج 1، ص 67، ومحمد إبراهيم، الجملة الغربية، ص 120.
(1) انظر هذا الفصل، ص 253—254.

الخاتمة

اختلف بعض الدارسين في مجد البردة الأدبي الخالد، فزكي مبارك يرجعه الى الاخلاص، وعمر باشا يردّه إلى خصائصها الملحمية. أمّا نحن فقد درسناها دراسة لسانية أسلوبية وتتبعنا بنيتها اللغوية، فألفيناها من خالص شعر العرب وصافيه، لا تشوبها شائبة إلا بقدر ما يلزم الورة الجملية من الشوك، فانتهينا إلى أن مجد البردة الأدبّي الخالد، لا يعود الى الاخلاص أو السمات الملحميّة فحسب، بل الى أسرارها الدفينة، ولعلّ البنية الصوتية، والصرفية، والنحوية كفيلة بأن تكشف عنها.

أ ــ البنية الصوتية:

البناء الصوتي في البردة ليس عنصرا مباشرا، ولا هيكلا ثابتا، بل هو خط حركيّ ينفذ إلى ما وراء الخصائص الواعية للتفكير، والشعور، ويحمل أعباء المعنى والايقاع. وتتجلى بعض مميزاته من خلال الوزن والأصوات المكررة.

1 ــ يتميّز البحر البسيط بالجزالة والطلاوة، وهو من البحور الرائجة عند الشعراء قديما وحديثا. وقد أتّبع البوصيري في استعماله طريقة الشعراء الفحول، فأورد المقياس (مستفعلن) الواقع في حشو البيت خاليا من الزحافات، والمطبعون لا يستعملونه إلا كذلك، أما القافية فمكوناتها صوتية، وصرفية في بعض الأحيان، وهي عذبة الحرف، سلسلة المخرج، خالية من العيوب، متماشية مع سنن العرب وذوقهم.

2 ــ يكثر في البردة استخدام الترصيع، والتجنيس. فالترصيع أسلوب أخّاذ أثرى التعبير بنغمات موسيقيّة عذبة، وساهم في شدّ المتلقي، وربطه بأهداف الرسالة، وهو ثلاثة أنواع: متواز، ومتوازن، ومطرّف . والتجنيس نظام صوتي دلاليّ، ووسيلة من وسائل الابلاغ الموحية المؤثرة.

3 ــ صوّرت الأصوات المكررة مفردة أو مجتمعة الانفعالات النفسيّة، وارتبطت باهتمامات الناظم وأهدافه.

4 ــ المقطع الصوتّي ينبع من الوجدان، ويضفي على المتقبل نشاطا نفسيا، ويرتبط ــ في الغالب ــ بدلالات حسيّة هادفة الى إثارة العواطف، والأحاسيس، لأنه عملية حركية نفسية.

5 ــ أفضى ارتباط الصوت بالمعنى إلى طرح فكرة العلاقة المتينة بين الدوال والمدلولات. ونحن إذ نقول بوجود هذه الظاهرة في البردة لا نعني أننا ننفي قضيّة العلاقة الاعتباطيّة، بل نؤمن بها، كما نؤمن بفكرة التبرير في اللغة، وبالأخص في الأعمال الأدبية، والأسماء الطبيعيّة.

ب ــ البنية الصرفية:

الكلمة في البردة متنوعة مبنى ومعنى:

1 ــ إن أكثر معاني الأبنية الفعليّة شيوعا المطاوعة، إذ اشترك في الدّلالة عليها ثلاثة أبنية: (انفعل، وافتعل، واستفعل) يليها أربع دلالات اشترك في التعبير عنها بناءان: التعدية، والمبالغة، والاتخاذ، وجعل الشيء ذا أصله، وقد دلّ عليها ــ على الترتيب ــ فعّل، وأفعل)، و (فعل، وفاعل) و (تفعل، وافتعل). أما الأعراض، وأضدادها، والازالة والسلب، والتعريض، والتشارك، ووجود الشيء ذا أصله فهي معان دالّ على كلّ منها بناء واحد. أمّا أكثر معاني الصيغ المركبة تواترا فهي الزمن المطلق، والماضي المنتهي بالحاضر حيث اشترك في التعبير عنها ثلاثة مركبات (لا تفعل، وما يفعل، وليس يفعل)، وعبّر عن الثاني (قد فعل، ولقد فعل، وما فعل). والمستقبل البسيط والقريب والاستمراريّ، والماضي المستمر، والمتجدد، والمتصل بالحاضر دلّ عليها بناء واحد.

2 ــ تمّ تحديد معاني الأبنية الاسميّة، والعلاقات الصرفية بينها على أساس الأنماط والمقطاع الصوتية، فانتهى الباحث إلى أن أكثر الأسماء في البردة تتكوّن من مقطعين (أي أبنية تنتمي الى النمط الثاني) حيث بلغ عددها 313 اسما، وعدد الأسما التي تتكون من مقطع واحد مائتين، وعدد الأسماء ذات المقاطع الثلاثة

سبعة وسبعين اسما. وعدد الأسماء ذات المقاطع الأربعة ثلاثة. أمّا أبنيّة جموع التكسير فموزّعة بين الأنماط الثلاثة الأولى. وقد وصل عددها الى ثمانية عشر بناء تمثّلت في تسعة وتسعين اسما. وأما أبنية الأسماء الدّالة على معان فهي:

البناء	الدلالة
فعِل	صفة دالّة على الكثرة والمبالغة في الوصف
فعا (فَعَل)	مصدر دالّ على الأدواء
فِعَال	مصدر دالّ على الامتناع
فُعُولة	صفة دالة على المبالغة في الوصف
فعلة	اسم دالّ على المرة
فِعْله	مصدر دالّ على هيئة الحدث
ميعال (مِفْعال)	اسم دالّ على الآلة
تفعيل	مصدر دالّ على المبالغة والتعظيم
فَعْلان	مصدر دالّ على الستر والعفو
فِعّيل	صفة دالة على المبالغة في الوصف
فِعَالة	مصدر دالّ على الحرفة
تَفاعُل	مصدر دالّ على التظاهر
مُفاعِل	صفة دالّة على المشاركة
تَفعُّل	مصدر دالّ على الكثرة والتجدد
فَعّالة	صفة دالّة على المبالعة في الوصف
فاعليّة	مصدر دالّ على صفة معنوية

3 ــ استعملت في البردة المقاطع الخمسة، بيد أن أكثرها شيوعا المقطع الطويل المغلق حيث ورد 472 مرة، يليه المقطع القصير الذي ورد مائتين وثلاث وسبعين مرة. وورد المقطع المغرق في الطول (م ص م م) مائة وست وثمانين مرة، والمقطع (م ص ص م) مائة واثنين وثلاثين مرة، والمقطع الطويل المفتوح مائة وثلاث عشرة مرة.

4 ــ يميل الناظم في استعمال الكلمات ذات المقاطع الثلاثة الى الصيغتين (مفتعل، ومنفعل)، لأنهما يناسبان [illegible] العام. وإذا كانت صيغة منفعل

متميّزة بمعنى المطاعة، فإن مفتعل دالّة على صفة الفاعل، وفيها عمد الشاعر الى انشاء عنصر الانسام بين مكوناتها الصوتية.

5 ــ يعمد الشاعر في البردة إلى إحلال صيغ محل أخرى كوضع المشتق موضع مشتق آخر والمجرد موضع المزيد فيه، والمزيد فيه موضع المجرد.

ج ــ البنية النحوية:

تعدّ فكرة إدماج علم المعاني في الدراسات النحوية من الوسائل الناجعة في الوصف والتحليل. ويزعم الباحث أنه أستفاد من هذه الرؤية وحاول تطبيقها على قصيدة البردة، فصنّف الجمل مراعيا وظائفها ومعانيها، وحدّد أنماطها وصورها مفسرا ومحلّلا، فانتهى الى مايلي:

1 ــ يغلب على جملة الأمر النصح والارشاد. أمّا الأمر بالصيغة المرتبطة بدلالات الالتماس، والانكار، والتحسر، والاعتبار، فقد اعتمدها الناظم لعقد حوار حقيقته إشراك المتقبل في الرسالة.

2 ــ شحن الشاعر الجملة الندائية بمعاني التعجب، والاستغاثة والتحسر، والندم، والاستعطاف، والدّعاء، والتأنيس، والتوبيخ. وبها نادى القريب بالأداة «يا». وهذا عدول فيه مبالغة في المدح والتعظيم.

3 ــ الجملة الاستفهاميّة متميزة بسعة المدى، وقوة التأثير والايحاء وهي مؤديّة دور المنشّط لحركة القصيدة، ومخفّفة من سأم الطول، أما دلالاتها فقد حولّت الاستفهام من وجهته الأصليّة في إقامة الحوار بين الشاعر ونفسه إلى إقامة الحوار بين الشاعر والمتلقي.

4 ــ ترتبط جملة النهي في الغالب بالنصح والارشاد، وتعتمد أسلوب التعليل بالأداة وبغيرها. وهذا دليل على أن الناظم يتجاوز حدود الطلب والامتناع الى التعليل والتدليل، وبالأخص عندما يكون ناهيا أو مدافعا عن الرسول ﷺ.

5 ــ العدول عن الاستعمال الأصلي في الجملة الشرطيّة ملائم للعملية الابداعية.

6 ـــ الجملة الشرطية إنشائية وخبريّة بعبارة جوابها، وهي دالّة على السبب، والتلازم، والتقابل، ومؤدّية لوظائف نحوية كوقوعها جواب شرط في جملة شرطيّة مركّبة، وجملة خبريّة، وجملة نعتية.

7 ـــ أدوات الشرط المفضلة عند الناظم (إن، وإذا، ولو)، وأكثرها تواترا «إن» التي وردت نحو تسع مرات. ولعلّ ذلك يوافق آراء النحاة الذين عدّوا هذه الأدوات هي الأصليّة في الشرط.

الجملة الخبريّة اسميّة، أو ما ضويّة، أو مضارعيّة، أو موصوليّة، أو شرطيّة، والرابط فيها الضمير في الأمثلة كلّها. أما الاثبات وهو السمة الغالبة فمرتبط بأفعال دالّة على التجدد والنمو.

8 ـــ الجملة المفعوليّة اسميّة أو فعليّة أو موصوليّة، أو ندائية، وهي تبيّن دلالة الجملة المركّبة.

9 ـــ في الجملة الحاليّة سرّ بلافيّ، مهمّ، وهي اسميّة أو ماضوية، أو مضارعيّة، بالواو وبدونه، وبالواو بعد إلا وبدونه، وبقد وبغيرها وبالواو بعد المضارع المقترن بناف. وهي من حيث ارتباطها بالجملة الأصليّة نوعان: نوع اعتمد الواو أو الواو والضمير معا، ونوع اعتمد الضمير. وربما كان الناظم في هذا يهدف الى ربط الجملتين (الأصل والفرع) لجعل الكلام خبرا واحدا.

10 ـــ الجملة النعتية موصولية مرتبطة بالمعارف، فعلية مرتبطة بالنكرات وقد اعتمد الناظم في معظمها الترتيب العادي (فعل، ومفعول به إن وجد). ومال إلى الأسلوب المثبت في بعض الأمثلة وهذا يوافق اتجاهه، لأن الموصوف هو الرسول ﷺ. أما اعتماده المحسوس فلتقريب محتوى الرسالة من المدركات.

11 ـــ الجملة التعليلية مثبتة، مؤكدة بوسيلة واحدة في بعض التراكيب، وبوسيلتين في بعضها الآخر. وهي تساهم في بيان المقصود. والكلام بأن مفرغ إفراغا واحدا. أما سرّها في البردة فالنفوس تنبعث إلى قبول الأحكام المعلّلة بخلاف غيرها.

12 ـــ يكثر في الجملة الغائية عنصر الفعل، لأنه متميز بالحركة والتجدّد. والزمن فيها محدّد أحيانا، ومطلق في بعض الأحيان، أمّا أكثرها تواترا فالجملة الغائية المصدرة بحتى حيث وردت اسمية، أو فعلية، أو شرطية.

13 ـــ الجملة في البردة عموما ـــ متميّزة بالطول، والطول المفرط في بعض الأحيان ولعلّ ذلك لتداخل الحوادث وتنوعّها. وهي تتّبع ـــ في الغالب ـــ الترتيب العادي، وأن حصل تقديم أو تأخير لبعض عناصرها، فلأغراض بلاغية كالحذف، والأيصال، والتأكيد، والتنبيه. أما اعتمادها الحذف فلضرب من الاقتصاد في التعبير أو لضرورة النظم. والحذف، والتقديم والتأخير والتقدير وسائل يتمّ بها تحديد البنية العميقة للجملة التي يستعان بها لفهم البنية السطحيّة، وبالأخص عند اختلاف الترتيب بين عناصرها أوعدم ظهور عنصر منها. ويستعان بالبنيتين أيضا لكشف قدرات التعبير عند الناظم التي تتّسع باختلالهما، وتضيق بتقاطعهما.

وأخيرا يدعو الباحث إلى استثمار اللسانيات في ممارسة النص الأدبّي الذي طالما كبلته الدراسة التقليدية. ويرجو أن تجد هذه الدعوة صدىً في نفس القارىء.

المصادر والمراجع

المصدر

ـ البوصيري (شرف الدين أبو عبد الله بن سعيد بن حمّاد 696هـ)
ديوان البوصيري، تحقيق السيد محمد كيلاني، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده.

المراجع العربية

أ ـ الكتب المطبوعة

ـ إبراهيم (عبد العليم)

1 ـ النحو الوظيفي، دار المعارف، الطبعة (د.ت)

ـ الاسترباذي (رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي 686هـ)

2 ـ شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده، تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزرقان. ومحمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر العربي بيروت 1975.

ـ الانباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد 577هـ)

3 ـ الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تصحيح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر العربي بيروت (د.ت)

ـ الانطاكي (محمد)

4 ـ المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، الجزء الأول، مكتبة دار الشرق بيروت، الطبعة الأولى 1972.

ـ أنيس (ابراهيم)

5 ـ الأصوات اللغوية، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة السادسة 1981.

6 ـ دلالة الالفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، الطبعة الرابعة 1980.

7 ـ موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، الطبعة الخامسة 1981.

8 ـ من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصريّة، الطبعة السادسة 1978.

ـ الباجوري (ابراهيم)

9 ــ حاشية الباجوري على متن البردة وبها مشها شرح الشيخ خالد الأزهري، مطبعة بولاق الطبعة الثانية 1886.

ــ براجشتراسر (حوتلف)

10 ــ التطور النحوي للغة العربيّة، تعليق رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي القاهرة، ودار الرفاعي الرياض 1972

ــ البقري (أحمد ماهر)

11 ــ أساليب النفي في القرآن، دار المعارف بمصر 1980.

ــ البكوش (الطيب)

12 ــ التصريف العربّي من خلال علم الأصوات الحديث، تونس 1973

ــ الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر 225هـ)

13 ــ البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي مصر، الطبعة، الطبعة الرابعة (د.ت)

ــ جان (كانتينو)

14 ــ دروس في علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، الشركة التونسيّة لفنون الرسم 1966.

ــ الجرجاني (أبو بكر عبد الرحمن (471 هـ)

15 ــ دلائل الاعجاز في علم المعاني، تصحيح الشيخ محمد عبده، ومحمد محمود التركزي الشنقيطي. ومراجعة محمد رشيد رضاء دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت 1978.

ــ ابن جعفر قدامة 327هـ)

16 ــ نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفافي، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، الطبعة الأولى 1980.

ــ ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني 392هـ)

17 ــ الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الثانية (د.ت)

18 ــ المنصف، شرح لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني، تحقيق ابراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده مصر، الطبعة الأولى 1954.

ــ الجوزو (مصطفى)

19 ــ نظريات في الشعر عند العرب الجاهلية والعصر الاسلامي، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى 1971.

ــ جورج (مونان)

20 ــ تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة بدرالدين القاسم دمشق 1972.

21 ــ مفاتيح الالسنية، ترجمة الطيب البكوش، منشورات الجديد تونس 1981.

ــ حركات (مصطفى)

22 ــ كتاب العروض (القصيدة العربية بين النظرية والواقع، مطبعة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية 1986.

ــ حسان تمام (تمام)

23 ــ اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية 1979.

24 ــ مناهج البحث في اللغة. الشركة الجديدة دار الثقافة الدار البيضاء المغرب 1979.

ــ الحملاوي (أحمد)

25 ــ كتاب شذا العرف في فن الصرف، الطبعة السادسة عشر مصر 1965.

ــ الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي 626هـ)

26 ــ معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر (د.ت)

— خرما (نايف)

27 — أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، الطبعة الثانية 1979.

— الخولي (محمد علي)

28 — قواعد تحويلية اللغة العربية، دار المريخ المملكة السعودية الرياض، الطبعة الأولى 1971.

— دك الباب (جعفر)

29 — الموجز في شرح دلائل الاعجاز في علم المعاني، نظرية الامام الجرجاني اللغوية وموقعها في علم اللغة العام الحديث)، مطبعة الجليل دمشق، الطبعة الأولى 1980.

— ابن ذريل (عدنان)

30 — اللغة والأسلوب (دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 1980.

— الراجحي (عبده)

31 — التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت 1979.

32 — فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر بيروت 1979.

33 — النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج)، دار النهضة العربية بيروت 1979.

— راضي (عبد الكريم)

34 — نظرية اللغة في النقد الأدبي، مكتبة الخانجي بمصر 1980.

— ابن رشيق (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني 456هـ)

35 — العمدة في محاسن الشعر، وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجليل بيروت، الطبعة الخامسة 1981.

— الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي 384هـ)

36 — كتاب معاني الحروف، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شبلي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، (د.ت).

— الزجاجي (أبو القاسم 337)

37 — الايضاح في علم النحو، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس بيروت الطبعة الثالثة 1979.

— الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله 794هـ)

38 — البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل وإبراهيم، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية 1972.

— الزركلي (خير الدين)

39 — الاعلام، مطبعة كوستاتسوماس وشركائه، الطبعة الثانية 1954 — 1955.

— الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي 533هـ)

40 — الكشاف من حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1977.

— أبو زيد (علي)

41 — البديعيات في الأدب العربي (نشأتها — تطورها — أثارها)، مطبعة عالم الكتب، الطبعة الأولى 1988.

— الساقي (فاصل مصطفى)

42 — أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي القاهرة 1977.

— السعران (محمود)

43 — علم اللغة، مقدمة للقاريء العربي، دار الكتب المصرية 1962.

— أبو السعود (عباس)

44 — الفيصل في الألوان الجموع، دار المعارف مصر 1971.

ــ السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي محمد بن علي 626هـ)

45 ــ مفتاح العلوم،مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى 1937.

ــ سلوم (تامر)

46 ــ نظرية اللغة والجمال في النقد العربيّ، دار الحوار سورية، الطبعة الأولى 1983.

ــ سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر 180هـ)

47 ــ الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر، ودار الرفاعي بالرياض، الطبعة الثانية 1983.

ــ السيد (عز الدين علي)

48 ــ التكرار النمطي بين المثير والتأثير، دار الطباعة المحمّدية القاهر، الطبعة الأولى 1978.

ــ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن 911هـ)

49 ــ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، صحّحه وشرحه محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية مصر (د.ت)

50 ــ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد السلام هارون وعبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية الكويت 1975.

51 ــ الاتقان في علوم القرآن، مطبعة حجازي بالقاهرة 1368هـ.

ــ شاهين (عبد الصبور)

52 ــ في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثالثة 1980.

ــ الشايب (أحمد)

53 ــ الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السابعة 1976

ــ شوقي (أحمد)

54 ــ «الشوقيات»، دار الكتاب العربيّ بيروت (د.ت)

ــ صافي حسين (علي)

55 ــ الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري دراسة في الأدب المصري، دار المعارف بمصر 1964.

ــ صبحي (الصالح)

56 ــ دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الثانية 1981.

ــ طحّان (ريمون)

57 ــ الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني بيروت، الطبعة الثانية 1981.

ــ الطرابلسي (محمد الهادي)

53 ــ خصائص الأسلوب في «الشوقيات»، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية 1981.

ــ عاشور المنصف)

59 ــ التركيب اللغوي عند ابن المقفع في مقدمات كتاب كليلة ودمنة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982.

ــ عبّادة (محمد إبراهيم)

60 ــ الجملة العربية دراسة لغوية نحوية، مطبعة نشأة المعارف بالأسكندرية 1984.

ــ عبد التواب (رمضان)

61 ــ المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، الطبعة الأولى 1982.

ــ العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل 395هـ)

62 ــ كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1981.

ــ ابن عصفور (الأشبيلي 669هـ)

63 ــ الممتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، الطبعة الرابعة 1979.

— العلوي (يحي بن حمزة بن علي بن ابراهيم 749هـ)

64 ـ الطراز المتضمن الأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، أشرفت على مراجعته وضبطه وتدقيقه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت 1980.

— العقاد (عباس محمود)

65 ـ أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة 1970.

— ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي 769هـ)

66 ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر بيروت، الطبعة السادسة عشرة 1974.

— عيّاد (شكري) ؟

67 ـ موسيقى الشعر العربيّ (مشروع علميّ)، دار المعرفة، الطبعة الثانية 1973.

— ابن عيسى (حنفي)

68 ـ محاضرات في علم النفس اللغوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر (د.ت)

— الغزي (بدر الدين محمد 984هـ)

69 ـ الزبدة في شرح البردة، حققها وقدّم لها ودرسها عمر موسى باشا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1972.

— ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا 395هـ)

70 ـ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر بيروت 1963.

— القالي (أبو علي 967هـ)

71 ـ كتاب أفعل، تحقيق محمد عاشور، تونس (د.ت)

— قباوة (فخر الدين)

72 ـ تصريف الأفعال والأسماء، جامعة حلب كلية الآداب 1973

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم 276هـ)

73 ـ أدب الكاتب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة مصر، الطبعة الرابعة 1963.

— القرطاجني (أبو الحسن حازم 684هـ)

74 ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الاسلامي بيروت، الطبعة الثانية 1981.

— القيرواني (أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيرواني 412هـ)

75 ـ ما يجوز للشاعر في الضرورة، تحقيق المنجي الكعبي، الدار التونسية للنشر 1971.

— الكتبي (علي محمد بن شاكر 764هـ)

76 ـ فوات الوافيات والذيل عليها، تحقيق احسان عباس، بيروت 1973.

— كشك (أحمد)

77 ـ من وظائف الصوت اللغوي: محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلاليّ، مطبعة المدينة بدار السلام القاهرة 1983.

— لاشين (عبد الفتاح)

78 ـ الفاصلة في القرآن، دار المريخ للنشر، الرياض 1982.

— ابن مالك (أبو عبد الله جمال الدين محمد 672هـ)

79 ـ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب للطباعة والنشر 1968.

— ماريو باي

80 ـ أسس علم اللغة. ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر، مطبعة عالم الكتب القاهرة، الطبعة الثانية 1983.

— المبارك (محمد)

81 ـ فقه اللغة وخصائص العربية (دراسة تحليلية مقارنة لكلمة العربية وعرضها لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة السابعة 1981.

ـ مبارك (مبارك)

82 ـ قواعد اللغة العربية، دار الكتاب اللبناني بيروت، الطبعة الأولى 1973.

ـ مبارك (زكي)

ـ 83 ـ المدائح النبوية في الأدب العربي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر 1935.

ـ المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد 285هـ)

84 ـ المقتضب، تحقيق عمر عبد الخالق عضيمة (د.ت)

ـ محجوب (فاطمة)

85 ـ دراسات في علم اللغة، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية 1976.

محمد بشر (كمال)

86 ـ علم اللغة العام/ الأصوات، دار المعارف، الطبعة السابعة 1980.

ـ مختار عمر (أحمد)

87 ـ دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب القاهرة، الطبعة الثانية 1971.

ـ المخزوسي (مهدي)

88 ـ في النحو العربي نقد وتوجيه منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت، الطبعة الأولى 1964.

ـ مرتاض (عبد المالك)

89 ـ النّص الأدبي من أين ؟ والى أين ؟ ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983.

ـ المسدي (عبد السلام)

90 ـ الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب تونس 1977.

91 ـ النقد والحداثة، دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى 1983.

ـ المسدي (عبد السلام) والطرابلسي الهادي)

92 ـ الشرط في القرآن، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس 1980.

ـ مصطفى بكر (محمد صلاح الدين)

93 ـ النحو الوصفي من خلال القرآن، الجزء الثاني، مؤسسة الصباح الكويت (د.ت)

ـ المطلبي (مالك يوسف)

94 ـ في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر، منشورات وزارة الثقافة والاعلام الجمهورية العراقية 1981.

ـ مطر (عبد العزيز)

95 ـ لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، مطبعة دار المعارف الطبعة الثانية 1981.

ـ ابن المعتز (عبد الله بن المعتز بالله محمد بن المتوكل على الله 296هـ)

96 ـ كتاب البديع، تحقيق أغناطيوس كراتشفوسكي، دار المسيرة الطبعة الثانية 1982.

ـ ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن عمر بن مكرم 711هـ)

97 ـ لسان العرب، دار صادر بيروت لبنان (د.ت)

ـ الميداني (أحمد بن محمد 513هـ)

98 ـ نزهة الطرف في علم الصرف، تحقيق السيد محمد عبد المقصور درويش، دار الطباعة الحديثة مصر، الطبعة الأولى 1982.

ـ نحلة (محمود أحمد)

99 ـ لغة القرآن في جزء عمّ، دار النهضة العربية بيروت 1981.

ـ نعيم (مؤيد إسماعيل)

100 ـ الصيغ الرباعية والخماسية، اشتقاقا ودلالة،مطبعة الحجاز دمشق 1983.

ــ نور الدين (عصام)

101 ــ أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، دراسة لسانية ولغوية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع لبنان 1982.

ــ النويهي (محمد)

102 ــ الشعر الجاهلي: منهج في دراسته ونقده، القاهرة (د.ت)

ــ نويوات (موسى بن محمد بن الملياني الأحمدي)

103 ــ المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي بيروت 1969.

104 ــ معجم الأفعال المتعدية بحرف؛ دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الأولى 1979.

ــ هنري (فليش)

105 ــ العربية الفصحى، نحو بناء لغوي جديد، تعريف وتحقيق عبد الصبور شاهين، دار المشرق م بيروت، الطبعة الثانية (د.ت)

ــ ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد الأنصاري 761هـ)

106 ــ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة وشركة محمد علي صبيح وأولاده بالقاهرة دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت)

ــ هوميروس)

107 ــ الالياذة، تعريب سليمان البستاني، مطبعة البابي الحلبي القاهرة 1938.

ــ اليسوعي (الأب رفائيل نخلة)

108 ــ غرائب اللغة العربية، المطبعة الكاتوليكية، بيروت، الطبعة الثانية 1960.

ــ ابن يعيش (موفق الدين ابن ايعيش بن علي بن يعيش النحوي 643هـ)

109 ــ شرح المفصل، مكتبة المتنبي القاهرة (د.ت)

ب ــ الرسائل المخطوطة:

1 ــ البوصيري ومدائحه النبوية، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة القاهرة كلية الآداب 1978.

ــ خان (محمد)

2 ــ نظام الجملة ودلالتها في سورة البقرة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عنابة الجزائر 1985.

ــ الشايع عبد الرحمن (ندي)

3 ــ ديوان عمرو بن قميئة: معجم ودراسة دلالية، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة القاهرة، كلية الاداب 1973.

ــ علي (مصطفى إبراهيم)

4 ــ البنية اللغوية لشعر عروة بن الورد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة كلية الآداب 1978.

ج ــ المجلات والدوريات والملتقيات

1 ــ فصول، مجلة النقد الأدبي، المجلد الثالث، العدد الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بولاق القاهرة 1983.

2 ــ اللسانيات، مجلة في علم اللسان البشري، المجلد الأول الجزء الأول والثاني سنة 1971، والمجلد الثاني سنة 1972 والعدد الرابع سنة 1973 ــ 1974، معهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر.

3 ــ المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، العدد 66، و67، نشرية مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية الجامعية التونسية 1981.

4 ــ مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء الثامن عشر، المطبعة الأميريكية القاهرة 1965.

5 ــ ملتقى دولي حول التحليل اللساني للنصوص (جامعة عنابة، معهد اللغة والأدب العربي الجزائر من 6 الى 9 ماي 1985.

المراجع الأجنبية

- Andret Martinet

  1 - Eléments de Linguistique générale, A.Colin, Paris 1980

- Ferdinand de saussure

  2 - Cours de Linguistique général, Publié par Charles Bally et Albert sechaye, edition critique préparée par Tullio de Mauro 1980

- Georges Mounin

  3 - Dictionnaire de linguistique, PUF, 1974
  4 - Clefs pour la linguistique, seghers, Paris 1968, 1971

- Jean Dubois

  5 - Grammaire structurale du français la phrase et les transformations librairie Larousse 1969

- Jean Dubois et autres

  6 - Dictionnaire de linguistique libraire Larousse 1973

- Joseph vendryes

  7 - Le langage introduction linguistique à l'histoire, Albin Michel, Paris 1968

- Noam Chomsky

  8 - Aspets de la théorie syntaxique, traduction de jean Claud Milner, edition du, Paris 1971

- Oswald Dicrot et TZVTAN TODOROV

  9 - Dicyionnaire ency clopédique des sciences du Langage

- Pierre Guiraud

  10 - que sais-je la stylistique, 5è édition, PUF 1967.

الفهرس

الفهرس التفصيلي

أنجز طبعه على مطابع
ديوان المطبوعات الجامعية
الساحة المركزية بن عكنون
الجزائر